

قرار قاتل

تأليف : جون غرين وود

ترجمة: ليس حيدر إسماعيل

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٨م



تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد



قرار قاتل

العنوان الأصلي للكتاب:

Fatal Decision

الكاتب : John Greenwood

الناشر : John Greenwood at Smashwords

قرار قاتل = Fatal Decision / تأليف جون غرين وود؛ ترجمة لميس حيدر إسماعيل .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨ .- ٤٢٨ص؛ ٢٠سم. - (المشروع الوطني للترجمة؛ ٣. الرواية العالمية).

١- ٨٢٣ إ ن غ ر ي ق   ٢- العنوان   ٣- العنوان الموازي

٤- غرين وود   ٥ - إسماعيل   ٦- السلسلة   ٥- السلسلة

مكتبة الأسد



مُقَدِّمَة

بعد اختطاف ولده تومي، تلقى شيلدون سميث بطل الرواية عدة اتصالاتٍ غامضةٍ من الخاطف يُطالبه فيها بارتكاب جرائم عدة مقابل أن يعيد ولده إليه. بدأها شيلدون بإيداع مبلغٍ من المال المسروق في أحد البنوك، ثم اقتحام أحد مكاتب المحاماة وسرقة ملفاتٍ منه، وانتهى به الأمر إلى ارتكاب جريمة قتلٍ بحق رجلٍ بريءٍ هو «سورينسون دوغلاس»، وهنا كان القرار الأصعب لدى شيلدون في الاختيار بين قتل هذا الرجل أو عودة ولده إليه جثةً هامدةً. بعد معاناة مع ضميره اتخذ قراره بقتل «سورينسون» لإنقاذ ولده من بين يديّ مجرمٍ لا يتورّع عن فعل أيّ شيءٍ مقابل الحصول على المال.

قد تبدو هذه الرواية مجرد روايةٍ بوليسيةٍ، تتسارع أحداثها كأحداث الأفلام الأمريكية البوليسية. غير أنّ الدافع فيها لارتكاب الجرائم المتتالية هو «حبّ الوالد لولده»، فقد استغلّ الخاطف عبارة «إنَّ الأهل يفعلون أي شيءٍ لأجل أولادهم»

للضغط على الأب. ولكن هل حقاً يفعل الأهل «أيّ شيءٍ» لأجل أولادهم، وهل «أيّ شيء» قد تصل بنا إلى حد السرقة وقتل الأناس الأبرياء؟ هل يمكن لحبنا أطفالنا وتعلقنا بهم وخوفنا عليهم أن يكون مبرراً لارتكاب جريمةٍ أيّاً كانت، ومبرراً لمخالفة ضمائرنا، ومبرراً لمخالفة أخلاقنا ومبادئنا؟ هل سيبقى هذا الحب نقطة ضعفٍ لدينا يمكن لأيٍّ كان استغلالها للوصول إلى مآربه؟ هل يمكن لمشاعرَ ساميةٍ كالأبوة والأمومة أن تكون دليل براءةٍ من أي جرمٍ نقترفه أمام القانون والمجتمع؟ هل يمكن لها أن تكون سبباً للتعاطف مع المجرم الأب أو المجرمة الأم؟

قد تبدو هذه العاطفة أمراً طبيعياً وفطرياً ومنطقياً؛ ولكنها في حالاتٍ، كحالة شيلدون تستحق شيئاً من التفكير والتساؤل.

المترجمة

الفصل الأول

«شيلدون، لدينا مشكلة.»

وضعتُ سماعة الهاتف بسرعةٍ في مكانها، وتوجهتُ إلى غرفة المُخدِّم حيث رأيتُ جيم، مدير شبكة الإنترنت لدينا، يطبعُ على لوحة المفاتيح بسرعةٍ مذهلةٍ. إنّه شابٌّ في أواخر الثلاثينات من عمره، بدينٌ بعض الشيء، يرتدي نظّارةً طبيةً سميكةً، تبدو كأنّها مصنوعةٌ من الزجاج نفسه المُستخدَم في البنوك لفصلِ أمين الصندوق عن العملاء. كان يقف خلفه بريان وهو الخبير التّقني للمُخدِّم. إنّه عبقريٌّ في التّكنولوجيا، ولا أُبالغُ إذا قلتُ إنّه ليس لديه في هذه الحياة ما يشغله سوى عمله هذا. إنّه تقريباً في الخامسة والعشرين من عمره. ولكنّ شكله يوحي أنّه في الخمسين. وهو نحيلٌ جداً، لديه خصل رمادية خفيفة في شعره موجودةٌ فيه منذ أن بدأ العمل هنا.

«ماذا يجري؟» سألتُ.

أدارَ جيم رأسه ببطءٍ نحوي ونظرَ إليَّ. كان القلقُ بادياً على وجهه. «لا يبدو الأمر جيداً، شيلدون. أعتقدُ أنَّ لدينا فيروساً. لدينا الآن ستة خوادم معطلة. لم أرَ شيئاً كهذا من قبل». نظر خلفه إلى أحد حاملات الخوادم السبعة الكبيرة المغلقة التي تحتوي خمسة وثلاثين مُخدِّماً. كلُّ حاملٍ طوله نحو ستّ أقدام ويشبه الرجل الآلي في أفلام الخيال العلمي. «لا أعتقد أننا سنتمكن من التخلص منه في وقتٍ قريبٍ».

شعرتُ بهاتفي يهتزُّ في جيبي. حاولتُ تجاهُلَه لأنّي أعلمُ ماذا سيحدث إذا تعطلتْ مُخدماتنا وتوقفَ الإنتاج. نحن شركةٌ كبرى للتعهدات والصيانة، وكلُّ دقيقةٍ فيها محسوبة، فالوقت من ذهب، كما يُقال، في عملنا. استمرَّ هاتفي بالاهتزاز حتى شعرتُ أنّه سيقفز من جيبي، لذلك رأيتُ أنَّ من الأفضل أن أُجيبَ. تراجعْتُ إلى الخلف عندما سَمعْتُ صوت ميشيل.

«تومي مفقود».

«ماذا؟» سمعتُ الكلمة تخرجُ من فمي، ولكني لا أعرف إذا كانت قد خرجَتْ مني فعلاً أو من شخصٍ آخر.

«لم يَعُدْ إلى المنزل وانصرفَ التّلاميذ منذُ عشرين دقيقة». شعرْتُ أنّ أنفاسي انقطعَتْ.

«ربما يتحدَّث إلى معلِّمَتِه أو ربَّما شيءٌ من هذا القبيل».

«رأيتُ لتويّ معلِّميه. قالوا إنّه انصرف باكراً. سأتحقق من مكتب الخروج الآن».

«ماذا؟» صرخْتُ ثانيةً، ما جعل بريان وجيم ينظران إليَّ بفضولٍ. «كيف يمكنه فعل ذلك؟»

«لا يمكنه فعل هذا. شخصٌ بالغٌ فقط يُمكن أن يخرجَهُ من المدرسة. انتظر قليلاً إنّهم ينظرون في سجل الخروج». لم أُجِبْ؛ فقط حَدَّقْتُ بالشاشة السّوداء أمامي. «خرجَ مع لورانس».

«أخي؟».

«نعم».

«انتظري. سأتَّصلُ به الآن». تجاهلْتُ جميع الرّسائل الإلكترونية، والمكالمات الواردة، واتصلْتُ به. من غير الممكن أن يصطحبَ لورانس تومي من دون أن يُخبرَنا. لقد أضفناه إلى

قائمة الطوارئ لأنّه كان من المفترض أن نضعَ اسم شخصين بديلين عنّا لأخذِه من المدرسة. لكن لورانس يعيش ويعمل في «العاصمة». أَجابَ على هاتفه من الرَّنة الثانية، لا بدَّ أن عمله قليلٌ اليوم. «لورانس هل تومي معك؟» سمِعْتُه يَسْعُل. مِنَ الواضح أنّه ارتبكَ من سؤالي ونبرةِ صوتي.

«لا ليس معي. هل هناك خطبٌ ما؟»

«لستُ متأكداً. لم يَعُدْ من المدرسة اليوم. وسجلّ الخروج مدوَّن فيه أنّكَ أنت من اصطحبه».

«لا يُمكن أن أكونَ أنا. لقد كنْتُ في المحكمةِ طوالَ النّهار. كيف يمكنهم قولُ هذا».

«لا أعرف، ولكن عليَّ أن أذهب. شكراً لكَ. إذا سمعْتَ شيئاً عنه أرجوك أخبرني».

«أَعدُك بذلك. أخبرني إن كان بإمكاني مساعدتك». أنهيتُ المكالمةَ بسرعةٍ وعاودْتُ الاتصالَ بميشيل.

«ليس مع لورانس». سَمِعْتُ أنفاسها تتسارع.

«تَذَكَّرَتْهُ السّيّدة في مكتب الخروج عندما دخلَ، لقد أَظهرَ إجازةَ السَّوقِ وكلَّ الأوراق المطلوبة، حتّى إنّها وصفَتْه لي».

«قال إنّه كان في المحكمة طوالَ النهار. هناك خطأ ما. سأكون هناك في الحال». نظرتُ إلى جيم وبريان اللذين كانا يحاولان، دون جدوى، استعادة ضبط المُخدمات، وإِنهاءِ هذه المشكلة.

«عليَّ أنْ أَذهبَ يا أصدقاء. ابني مفقود». لا أُصدق أنِّي قلْتُ هذا فعلاً. بدا هذا خيالياً جداً.

نظرا إليَّ ينتظران جواباً، لذلك قلتُ: «أنا متأكد أنّه أمرٌ بسيطٌ. عليَّ أنْ أعودَ حالاً. تابِعا بحثكما لمعرفة ما يحدُث هنا وأخبراني بذلك».

ألقيْتُ أغراضي على طاولةٍ فارغةٍ، وشعرْتُ بِقدَميَّ تقودانني بسرعةٍ وباتجاهٍ غير معروف. الشيءُ الآخر الذي أذكره هو أنني كنتُ في السيارة متوجِّهاً إلى المدرسة. وصلتُ إلى هناك، وركنْتُ سيارتي أمام المدرسة في المكان الذي تقفُ فيه حافلات المدرسة عادةً، حسب ما أعتقد، ولكني لم أبالِ بذلك. لم أرَ ميشيل أو تومي في أي مكان، لذلك ركضْتُ بسرعةٍ عبر الباب الأمامي، لم يكُنْ مُقفلاً لكنّي أعتقدُ أنه فُتِحَ بعد ساعاتٍ عدة

على الحادثة. لمَّا وصلتُ إلى غرفة الإدارة رأيتُ ميشيل جالسةً على أحد الكراسي، ويداها تُغطيان وجهها.

«هل تعلمين أين هو؟» نظرَتْ إليَّ ووجهُها يُنبئ بالقلق.

«لا»، قالوا إنَّ أخاك أَتَى واصطحبه عند الساعة الواحدة». نظرْتُ إلى السيدات المجتمعات خلفي وهنَّ يَنْظُرْنَ إليَّ باهتمامٍ. عرفْتُ واحدةً منهن وهي السيدة جاكسون مديرة المدرسة. كانتْ امرأةً صغيرةً وبدينةً في منتصف أو أواخر الخمسينات من عمرها، ولا بُدَّ أنّها تُصفِّف شعرها مرّةً على الأقل كلَّ شهر، لأنه يبدو دائماً في المظهر نفسه، مجعداً قصيراً أنيقاً مرتباً.

سارَتْ نحوي امرأةٌ نحيلةٌ، شعرُها أشقر ذهبي في سن التقاعد تقريباً وقالت لي: «إنّها محقّة، سيد سميث، لقد أتى أخوك وأَخذَهُ. طلَبْنا منه إبرازَ إجازة السَّوق لأننا لم نرَهُ من قبل». نظرتُ إلى المرأةِ بإمعانٍ. رأيْتُ القلقَ بادياً على وجهِها. لا بُدَّ أنَّها أَحد العاملين في المكتب. أعتقدُ أنّي رأيتُها من قبل.

«أَليسَ من المُفترض بِكُم أن تتصلوا بنا في حال قدوم شخصٍ آخر لأخْذِ ولدنا؟» صرخْتُ.

وقفَتْ مديرة المدرسة بيني وبين تلك المرأة.

«إنَّ اسمه موجود في قائمة الطوارئ، وقد تأكدنا من بطاقتِه الشخصية». أومأتُ برأسي ونظرتُ إلى ميشيل.

«من الأفضل أن تتصل بلورانس مرةً أُخرى، شيلدون» وضعَتْ رأسها بين كفّيها. أخرجتُ هاتفي واتصلتُ به. سمعتُ المديرة تطلب من السيدات الأُخريات البحثَ في أرجاء المدرسة مجدداً، وبعدها اتصلتْ بالشرطة. بدأتُ ألهثُ عندما أجاب لورانس.

«مرحباً شيلدون. هل من أخبارٍ عن تومي؟» سمعتُ صوتَ تقليبِ الورق وهو يتحدَّث.

«تدَّعي المدرسة أنّك أتيتَ وأخذْتَه عند الساعة الواحدة اليوم. وأبرزتَ إجازة السَّوق الخاصةِ بك ووقعتَ على أخذِهِ». نظرتُ إلى السّجل وتأكدتُ من أنّ التوقيع يشبهُ توقيع أخي. رأيتُه مراتٍ كافية بعد أن أصبح مُحامينا مُنذ أن تزوجنا أنا وميشيل. «إنّه توقيعك لورانس».

«لا أعرف ما الذي يتحدثون عنه، لقد كنتُ في المحكمة عند الساعة الواحدة. يُمكنك التأكد من ذلك من القاضي

وحاجب المحكمة إن لم تكن تُصدقني». سمِعْتُه يتنفَّس بصعوبة على الهاتف.

«أُصدقك لورانس، أُصدقك. لكنّي فقط لا أفهم أين هو. انتظر لحظة». بحثتُ في هاتفي بسرعة ووجدتُ الصورة التي أُريدها، إنّها صورةٌ لي مع أخي في عيد ميلادي العام الفائت. أَريْتُها للسكرتيرة. تصبّب وجهها عرقاً وتبعثر شعرها قليلاً. «هل هذا هو الشاب الذي أخذ تومي؟» أمسكتْ بهاتفي وحدقتْ بالصورة لدقيقة ثمّ هزّتْ برأسها. «لستُ متأكدةً، أعني أنّه يُشبهُهُ إلى حدٍ ما، رُبما كان أكبر قليلاً». نظرْتُ إلى هاتفي. لقد فقدتُ الاتصال بلورانس، ولكن إن كان في المحكمة فكيف يمكنه أن يأخذ تومي. يعلم أنه بإمكاننا التأكد من صحة كلامه بسهولة فلماذا يكذب إذاً؟ سمعتُ صفارات الإنذار من بعيد ونظرتُ إلى ميشيل. لم تتحرك. دخل شرطيان إلى المكتب وهزا برأسيهما. سمعتُهما يخبران المديرة أن رجال الشرطة فتَّشوا المدرسة بأكملها ولم يجدوا تومي. بدا كلُّ شيءٍ حولي ضبابياً. شعرتُ بدوارٍ في رأسي، كلُّ شيءٍ خارج عن السيطرة. لا أصدق أنَّ تومي مفقود. أردْتُ أن أصرخ. الشيء

الآخر الذي أعرفه هو أني كنتُ أجلس إلى جانب ميشيل، ويداها على كتفيّ. رأيتُ رجال الشرطة ينتشرون ويتوزَّعون بسرعة. أعتقد أنهم يُفتشون البناء والمنطقة المجاورة. دخل رجلان يرتديان زياً رسمياً تحدثتْ إليهما السيدة جاكسون باختصار ثم أشارتْ إلينا.

«سيد سميث، أنا المحقق ستانتون، وهذا المحقق آدامز». مددتُ يدي وصافحتُ الرجل الضخم. كان تقريباً في مثل عمري، ولكنه أطول مني بثلاثة إنشاتٍ ويزيدني بخمسين باونداً. شعره أسود كثيف يفرقه إلى الجهة اليسرى. أشار إلى الرجل الأصغر، الذي عرَّف عن نفسه بأنه المُحقق آدامز، وهو أيضاً بالعمر نفسه، لكنه أصغر بكثير، وأفتح بشرةً، يرتدي نظارة طبية وشعره خفيف بدا أنه يتساقط. يبدوان كنقيضين لبعضهما. رفعَتْ ميشيل نظرها بسرعةٍ خاطفةٍ وتعرَّفتْ إليهما. شعرتُ بهاتفي يهتز ويرنُ في جيبي من دون توقف. «ألا تريد أن ترد على هاتفك؟» سأل المحقق آدمز بسرعة. أخرجت هاتفي في الحال، ونظرت إلى الرقم المتصل.

«إنه هاتف العمل. هناك مشكلة صغيرة تواجهنا». نظرت ميشيل إلي، ثم أشاحت نظرها عني. أعدت الهاتف إلى جيبي. رأيت المحقق ستانتون يأخذ سجل الخروج من السيدة جاكسون ويتفقده بسرعة.

«إذاً أخبرني من هو لورانس؟» كان له صوتٌ رسميٌّ جداً.

«إنّه أخي. تحدثتُ لتوي معه. قال إنه كان في المحكمة عند الساعة الواحدة». أومأ المحقق برأسه، وأعطى السجل لآدامز.

«سنحتاج لإثبات هذا، لأنّ لدينا توقيعه ورقم هويته. هل سبق أن اصطحب ولدك من مدرسته؟»

أجابتْ ميشيل على الفور بالنفي.

«وضعنا اسمه على لائحة الطوارئ فقط في حال لم نتمكَّن، أنا ووالدته، من الوصول لاصطحابه في الوقت المحدد. نحن نسكن قريباً من المدرسة فلا حاجة بتومي ليستقلّ الحافلة. لا نسمح له بالعودة إلى المنزل بمفرده، لأننا لا نريد له أن يُصاب بأي مكروه... والآن إنّه مفقود». شعرتُ بصوتي يرتجف وأنا أقول هذا.

«رجال الشرطة يبحثون في المدرسة وفي الجوار. إذا كان لديك أيّ صور حديثة له قد تساعدنا في البحث». أخرجتُ هاتفي في الحال، وأريتهم بعض الصور لتومي التُقِطَتْ له قبل شهر. أخذ المحقق الهاتف، وأرسل الصور عبر الإيميل إلى مكان ما. لستُ متأكداً لِمَنْ أُرسلَتْ ولا يهُمُني حقاً. «هناك أيضاً طائرة هليكوبتر في طريقها إلى هنا، لقد أطلقنا الإنذار، إن كان في الجوار فسوف نجده».

«هل حدث مثل هذا الأمر من قبل؟» نظر المحقق إلى السيدة جاكسون التي هزتْ رأسها نافيةً.

«ولا بالقرب من هنا حسب ما أعرف. عادةً أمرٌ كهذا يتطلب وصايةً ما، لكنَّ كليكما هنا. لا أحد آخر له علاقة بالأمر، صحيح؟ زوجة أخرى أو أي شيء؟»

أومأتُ برأسي. «لا، فقط نحن ولورانس، وهو مُنشغلٌ دائماً، نراه مراتٍ عدة في السنة فقط».

«هل لديه أسرة؟»

«لا، هو فقط. وهو يعمل دائماً».

«حسناً، سنُضطَرُّ إلى استجوابه. المحقق آدامز سيتصل بـ «العاصمة» للتحقق من ادعائه».

أومأتُ برأسي. لا أُصدق أنّه قال ادّعاء. كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ «إذاً، ماذا نفعل الآن؟»

«علينا أن ننتظر. يجب أن ندعَ رجال الشرطة يقومون بعملهم، وندعَ الإنذار ينطلق».

نظر في أنحاء المكتب. «هل لديكم تلفاز هنا؟» فتحتْ السيدة جاكسون خزانة خشبية بسرعة فظهر تلفاز CRT كبير. شغَّلت التلفاز على محطةٍ محليةٍ، وظهر تومي على الشاشة. نظرتُ إلى ميشيل التي كانت تُحدِّق بالشاشة، وعيناها مغرورقتان بالدموع. حتى أنا لم أتمكن من التوقف عن النظر إليها. ذُهلتُ لرؤية وجه ابني.

«تومي. تومي». صرخَتْ ميشيل. وضعتُ ذراعي حولها فخبأت وجهها بكتفي. لم يكن بإمكاننا فعل أي شيء لذلك بدأنا بالبكاء. شعرتُ بدموعي تسيلُ على خدي وبدموع ميشيل على قميصي. كان المحققان يتحدثان على هاتفيهما. بقينا على

هذه الحال لمدة عشر دقائق. استمررتُ في التحديق بصورة تومي على شاشة التلفاز وهو يبتسم لي.

«سيد وسيدة سميث، لقد تأكدنا للتو من أن أخاك كان في المحكمة بعد الظهر، وهذا يضعنا أمام سؤالين هما: من أخذ تومي، وكيف حصل على إجازة السَّوق الخاصة بأخيك لورانس».

أخرجتُ هاتفي واتصلتُ بلورانس مجدداً. أجابَ بعد الرنة الأولى.

«لورانس، تأكدَتْ الشرطة من أنك كنت في المحكمة. هل إجازة السَّوق خاصتك بحوزتك؟» سمعتُ صوت خلط الأوراق عنده.

«إنّها معي هنا».

«شكراً لك لورانس. بطريقةٍ ما حصلوا على نسخةٍ من إجازتك».

«سأتوجه إليك حالاً. وسأتصل ببعض معارفي في طريقي».

أومأتُ برأسي على الهاتف. «شكراً». نظرتُ إلى المحققين اللذين كانا يقفان أمامنا الآن. «إجازته بحوزته». راقبتهما وهما ينظران إلى بعضهما بعضاً.

«هذا يعني أنَّ لدينا إجازة سوقٍ مزورة، إنه شخصٌ يعرف أسماء قائمة الطوارئ، هل لديك أيّ فكرة عمَّن يكون؟» نظرنا أنا وميشيل إلى بعضنا بعضاً وهزَّتْ رأسها نافيةً.

«لا يمكنني أن أفكر في أي شخصٍ أو أي سببٍ يدفع أيَّ شخصٍ لمعرفة أمرٍ كهذا. لا أعتقد حتى إنّ تومي على علمٍ بأنَّ عمَّه لورانس يُسمح له بأخذه من المدرسة».

نظر المحقق إلى السكرتيرة المرهقة. قالت «إنَّ هذه المعلومات كلها موجودة على الكومبيوتر. أعتقد أن فريق العمل في المكتب فقط هو من يمكنه الوصول إليها».

«إنّها محقَّة. يوجد قليل من الموظفين هنا، وأنا أثق بفريق التكنولوجيا IT». أجابت السيدة جاكسون بهدوء. تسمَّرت عيناها على التلفاز عندما بدأ عرض صور مدرسة «بلو كريك» الابتدائية.

«علينا استجواب الجميع هنا». أخرج المحقق ستانتون مفكرةً صغيرةً.

«أعتقد أنَّ كل من تحتاج إليهم موجودون في هذه الغرفة». نظرَتْ السيدة جاكسون حولها. شعرتُ أني في حاجةٍ إلى الخروج

مـن هذا المكان. توجهتُ إلى الباب وخرجتُ إلى البهو. إنّه بهو مدرسةٍ ابتدائيةٍ عاديةٍ. يوجد فيه مقاعد عدة للأهالي لانتظار أطفالهم، ولوحات للجنة المعلمين وأولياء الأمور معلقةٌ على الجدران. يوجد أيضاً جهاز عرض صغير تظهرُ عليه دروس ونشاطات اليوم، وقائمة الغداء. بيتزا اليوم، إنها وجبة تومي المفضلة. خرجتُ من المبنى، ولمَّا وصلتُ إلى الممشى شعرتُ أني في موقعٍ لتصوير فيلم. سيارات الشرطة موجودة في كل مكان، طائرات الهليكوبتر تحلِّقُ فوقي، سيارات وكالات الأنباء مع هوائياتها الحلزونية منصوبة في موقف السيارات. لا أُصدق هذا، لا يبدو حقيقياً. أريد أن أصرخ باسم «تومي»، لكن لا فائدة تُرجى مع أصوات كل تلك الطائرات التي تحلق فوقي. مشيتُ ببطءٍ إلى جانب المدرسة. إنها مدرسةٌ كبيرةٌ جداً لتكون مدرسةً ابتدائيةً. أعتقد أن تومي أخبرني أنه يوجد ٨٠٠ طفل في هذه المدرسة. كيف يمكن أن يحدث هذا ويضيع ابني بين كل هؤلاء الأولاد؟ رفعتُ نظري إلى السماء وتمنيتُ أن تكون عين الله ترعاه. لستُ من المواظبين على الذهاب إلى الكنيسة، لكني أُؤْمِنُ بالله، أمضينا أنا وتومي وقتاً طويلاً نتحدثُ عنه. أتمنى أن يكون هو الآن يدعو الله أن يساعده. وصلتُ

إلى الجزء الخلفي من المدرسة حيث الملعب. رأيتُ أخيلة ضباط الشرطة تتحرك بين الأشجار، حاولتُ ألّا أُراقبهم. تسلقْتُ إلى أعلى المنحدر، وجلستُ هناك.

أغمضتُ عينيَّ وحاولتُ أن أَتخيَّل أنّ تومي بخير. يُقال إنه كُلَّما طالتْ فترة فقدانِك لشخصٍ ما، قلَّتْ فرصُ إِيجادك له، أَتساءل لماذا يُقْحِم شخصٌ نفسه في كل هذه المشكلات ليأخذ تومي ليؤذيه فقط. أعنِي، ليس لديَّ أعداء، وحتماً تومي ليس لديه. لا أعتقد أنه تشاجر مع أحدٍ أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل. لا أدري كم من الوقت مضى عليَّ هنا، ولكن بعد ساعاتٍ جاءتْ ميشيل والمحققون من جانب المدرسة.

«ليس هو مَنْ أخذ تومي من المدرسة» قال المحقق ستانتون مشيراً إلى لورانس. قالت السكرتيرة إنّه شخصٌ آخر». نزلْتُ المنحدر ببطءٍ وعانقْتُ لورانس. بقينا هناك حتى أخبرنا المحقق أنَّه علينا الذهاب إلى المنزل في حال حاول تومي الاتصال بنا. نظرتُ إلى ساعتي وأدركتُ أنّ اللعبة ستبدأ في أيِّ لحظة من الآن. كان ينبغي على تومي أن يكون الآن واقفاً على قاعدة البيسبول الثالثة، لا أن يكون صورةً على شاشة التلفاز كتبتْ تحتها عبارة «تنبيه».

الفصل الثاني

أخيراً عُدْنا إلى المنزل، كان هادئاً جداً. شعرتُ أنني أصرخ، وأنا أسمع صوتي أتحدث. تفقدتُ المجيب الآلي، كان يشير إلى وجود ثلاث رسائل جديدة. استمعتُ بانتباه إلى كلِّ واحدةٍ منها، ولكن خاب أملي عندما أدركتُ أنها لم تكن من تومي، بل كانت جميعها من أهالي الأطفال في فريق البيسبول يسألون لماذا لم نأتِ. بقي هاتفي يرنُّ دونما توقف، وفي كل مرةٍ كنتُ أتفقدُه لأرى إن كان تومي هو المتصل، لكن المتصلين كانوا جميعهم من العمل يريدون معرفة ماذا حدث في مشكلة المُخدم. قرَّرتُ أن أُعالج أمرهم فيما بعد. لا أدري حقاً لماذا كنتُ أتفقد هاتفي منتظراً رقم تومي على الرغم من أن هاتفه في غرفته على خزانته. عرفتُ هذا عندما اتصلتُ به، وسمعتُ أغنية «كاتي بير» الجديدة. قررتُ أن أصعد إلى الطابق العلوي، فوجدتُ نفسي أقفُ أمام غرفة تومي أتأمل سريره الفارغ. غطاؤه الأزرق

الغامق مرتبٌ بشكلٍ جيدٍ على سريره. بالتأكيد ليس تومي من رتَّبه. إنه يحذو حذوي عندما يتعلق الأمر بأشياء كهذه. ميشيل تتذمر دائماً من عدم قيامنا بالتنظيف أو بترتيب أسرّتنا. ميشيل والمحققان في الأسفل. أسمعهم يتحدثون. أحتاج إلى البقاء بعيداً عنهم، هذا أمرٌ محزنٌ جداً. إنّهم يعتقدون أنّ تومي قد يحاول الاتصال بنا، ولكن ما يقصدونه حقاً هو أن شخصاً آخر قد يحاول الاتصال، لذلك طلبوا منا أن نبقى متماسكين، الأمر الذي لا أعتقد أنّي قادر عليه الآن. أريد أن أذهب للبحث عنه. ميشيل عبر الهاتف تُجري اتصالاتٍ مع كل الأصدقاء والأهالي الذين تجد أرقامهم، لكني متأكد من أنّ تومي قد غادر مع شخصٍ غريبٍ وهو معه الآن. لدى المحققين رسمٌ للشخص الذي ادّعى أنه لورانس. بالفعل هناك شبه بينه وبين أخي. ذهب لورانس مع رجال الشرطة إلى المخفر لمعرفة كيف ولماذا حصل شخص ما على نسخةٍ من إجازة السَّوق الخاصة به، وليسألوه أسئلةً أُخرى ربما، ولكنني أعتقد أن الجميع مقتنعٌ أنه ليس هو من أتى إلى المدرسة وأخذ تومي. سمعتُ ميشيل تصعد الدرج ورائي بهدوء.

«هل رآه أحد؟»

هزَّت برأسها «اتصلتُ بالعديد من الأصدقاء، ولكنَّ أحداً منهم لم يرَهُ منذ الصباح».

عانقتُها وشعرت بيديها تلتفان حول كتفي. «ما لم أفهمه هو لماذا يخرج تومي مع شخصٍ غريبٍ تماماً عنه من دون أن يقول أي شيء».

«كنتُ أُفكر بذلك أيضاً. لا بدَّ أنه قال شيئاً ما له». حضنتُها بقوةٍ أكثر.

«مثل ماذا؟ أعني من المؤكد أنه عرف بأنه ليس عمه لورانس».

«لا مَحالة». سمعتُ شخصاً يتحدث خلفنا.

«ربما كان بعيداً». قال المحقق ستانتون بصوتٍ منخفضٍ أقرب إلى الهمس. «تذكرت السكرتيرة أن تومي كان مضطرباً وعلى وشك البكاء».

«ماذا يعني هذا؟» ابتعدتُ عن ميشيل قليلاً.

«يمكن أن يعني أشياء كثيرة. كأن يكون هذا الشخص قد أخبره بأن أمراً ما قد حدث لأحدكما وأنه يجب عليه أن يذهب معه».

«ولكن أَلَمْ يسمعه يخبر السكرتيرة بأن اسمه لورانس؟» سألت. «أعني أعرف أنه فقط في الثالثة عشرة من عمره ولكنه ليس بهذه السذاجة والغباء».

«ليس من الضروري أن يكون قد سمعه. من الواضح أن هذا الرجل قد وقّع على إخراج تومي عندما دخل غرفة الإدارة، لذلك قد يكون كل شيء حدث قبل وصول تومي إلى هناك».

«ولكن تومي سيسأل من يكون هذا الرجل؟» ردَّتْ ميشيل.

«حسب ما قالته المدرسة فإنّ الرجل كان ينتظر قرب باب المكتب تماماً، لذلك وصل إلى تومي قبل أن يتمكن أي شخص من سماع ما سيقوله له. تذكرت، قالوا أيضاً إنَّ تومي بدا حزيناً عند خروجه».

«ما السبب الأساسي الذي جعلهم يوافقون على إخراجه من المدرسة؟» سألْتُ.

«أيضاً وفقاً لقواعد المدرسة، التي ربما تعرفانها أكثر مني، لا حاجة لوجود سبب أساسي لإخراجِكَ طفلك من المدرسة». توقف ثم تحدث بهدوء أكثر. اقتربتُ منه لأسمعه. «أخبر

السكرتيرة أنها حالة طارئة ولم يُضف شيئاً آخر. إنه رجلٌ قليل الكلام». سمعتُ خُطَا أقدامٍ تصعد الدرج خلف ستانتون فظهر المحقق آدامز متحمساً.

توقف أعلى الدرج وقال: «لديَّ أخبارٌ قد تكون جيدة». شعرت بقلبي يخفق بشدة، وأمسكتْ ميشيل بي بقوة. يبدو أنّ المدرسة لديها تسجيل لكاميرات مراقبة. سنحصل عليه حالاً. قد نستطيع رؤية سيارة ما، أو كيف غادرا. شعرتُ برعشةٍ من الإثارة والسعادة تسري في جسدي برغم أني كنت آمل أن أسمع خبراً أفضل من هذا، لكن رؤية ستانتون وآدامز ينزلان الدرج بسرعة أعطتني بعض الأمل. ذهبتُ أنا وميشيل إلى غرفتنا، وجلسنا على حافة السرير. لا نعرف ماذا سنفعل. ولدنا ضائع، ولا يَسعُنا فعل شيء سوى الانتظار. لا أعتقد أنه يمكنني الجلوس هكذا فقط. اقتربت من النافذة. نحن نسكن في حيٍّ هادئ جداً، الجميع فيه يعرف بعضهم بعضاً، ولكننا لا نقوم بأي نشاطٍ معاً سوى إقامة الحفل السنوي في الرابع من تموز حيث نُغلق الطريق ونُقيم حفل شواءٍ. نُمضي وقتاً ممتعاً معاً ونَعِدُ بعضنا كل عام بأن نجتمع أكثر، لكننا جميعاً مشغولون بأمور حياتنا. رأيتُ خمس أو ست سيارات تعود

لوكالات الأنباء، والعديد من سيارات الشرطة، تقف على طول الرصيف. كانت هناك أيضاً مجموعة صغيرة من الناس الذين أعرفهم، إنهم جيراننا وهم مجتمعون عند سياج بيت أسرة هينسون، لديهما طفلان، أحدهما أصغر من تومي بقليل، والآخر أكبر منه بسنوات عدة. سمعتُ مؤخراً أن الابن الأكبر عبقري في الحاسوب. نظرتُ خلفي إلى ميشيل، إنها تبكي مجدداً ورأسها بين كفيها. استمرَّ الهاتف يرنُّ. كنتُ أتفقد اسم المتصل في كلِّ مرةٍ. ولكن الاتصالات جميعها كانت من وسائل الإعلام. لذلك كنتُ أحولها إلى المجيب الآلي. عليَّ فعل شيءٍ ما. ذهبتُ إلى غرفة تومي وتوقفتُ فجأةً عند الباب عندما رأيتُ شخصاً آخر في غرفته.

«هل يُمكنني مساعدتُك؟» سألْتُه. كان يُفتِّش في أغراض تومي.

«مرحباً سيد سميث. أنا خبير الأدلة والبصمات». مدَّ يده لي مُصافحاً. «طلب مني المحقق ستانتون أن أبحث عن أي شيءٍ من شأنه أن يساعدنا في إيجاد ولدك». أومأتُ له برأسي وخرجتُ من الغرفة. نزلْتُ الدرج إلى الطابق السفلي، فلم أرَ أياً من المُحَقِقَيْن بل وجدتُ أربعة أو خمسة من رجال الشرطة بلباسهم الرسمي واقفين في غرفة الجلوس. أحدهم ينظر إلى

هاتفنا. أعتقد أنهم يقولون شيئاً ما، ولكني أومأتُ لهم فقط، وتوجهتُ إلى المطبخ، لحسن الحظ لم يكن فيه أحد. جلستُ إلى طاولة البار التي وضعناها مؤخراً، وهي تفصل المطبخ عن غرفة الطعام. إنها من خشب البلوط، وسطحها من الغرانيت، لها ثلاث كراسي مريحة مرفوعة على أعمدة، وهي تشبه كراسي البارات. في الحقيقة كانت فكرة تومي. أعتقد أنه رآها في منزل أحد أصدقائه. أتمنى لو كان تومي جالساً إلى جانبي الآن. تناولتُ بعضاً من قطع الكعك المملح من كيس موجود على البار على الرغم من أني لست جائعاً. أشعر بالغثيان، لكن فعل شيءٍ ما قد يُشعرني بتحسن. أسمع أجهزة الاتصال التابعة للشرطة تُصدر أصواتاً عاليةً في الغرفة المجاورة، وفي كل مرةٍ أسمع فيها صوتاً أحاول أن أستمع لأرى إن كان عن تومي، ولكن كثيراً منها كان مجرد رموزٍ، لذلك لم أكترث بها. لم يسبقْ لي أن تعاملتُ مع الشرطة قط، لكني أشعر دائماً بأن لديَّ ثقةً بهم. أتمنى أن يفعلوا كل ما هو ممكن لإيجاده. فجأةً خطرت لي فكرة أنْ أَخرُج وأبدأ البحث عنه بنفسي. لا أعرف إلى أين أذهب، أو إلى ماذا سيقود هذا البحث. آمل أن يحوي شريط

التسجيل لكاميرات المراقبة شيئاً يفيد البحث. عدتُ بهدوءٍ إلى غرفة الجلوس مارّاً برجال الشرطة ثم توجهتُ إلى كراج السيارات. ما إن فتحتُ باب السيارة، حتى سمعتُهم يصرخون. اقترب مني الشرطي الذي كان واقفاً قرب الهاتف. يبدو في الثلاثين من عمره. طويلٌ جداً، طوله على الأقل ستّ أقدام ونصف القدم، لذلك توقفت.

«أنا آسف سيد سميث، لكننا نحتاج إلى بقائك هنا في حال حاول أحدٌ الاتصال بك». أعتقد أن حمل المفاتيح بيدي كان محاولة فاشلة.

«أريد فقط أن أذهب للبحث عن تومي».

هزَّ برأسه «أفهمك، ولكن رجالنا كلّهم ذهبوا للبحث عنه». استدرتُ ببطءٍ وعدتُ إلى المطبخ. لمَّا دخلتُ سمعتُ المحققين ستانتون وآدامز يدخلان من الباب الأمامي. استدرتُ نحوهما بسرعة. انزلقتْ قدماي بمشمع الأرضية.

«سيد سميث، نريد منك أن تأتي وتلقي نظرة على هذه الصورة». مشيتُ نحو المحققين. كان آدامز يمسك صورة كبيرة

مطبوعة على ورقة بيضاء. أعطاني إياها. شهقتُ بصوتٍ عالٍ جداً، فوضع ستانتون يده على ظهري وقال: «هل أنت بخير؟»

«هل هذا يعني أنك تعرف هذا الرجل؟» نظر آدامز إلي. رأيت عينيه تتلفتان بحماس. هززتُ برأسي بأني لا أعرفه. شعرتُ بجسدي يرتعش عندما واصلتُ التحديق في الصورة. لم أكن أنظر إلى الرجل الذي فيها، أنا لا أعرفه. كنتُ أنظر إلى شيءٍ آخر. شيء يُمسكه بيده.

«ماذا هناك؟» سأل ستانتون.

«لا شيء. إنه فقط ينظر إلى صورة الرجل الذي اختطف تومي». نظرتُ إلى الصورة مجدداً. هذه المرة لم أنظر إلى الغرض الذي في يده بل ركزت على وجهه. إنه يشبه لورانس بطريقةٍ مذهلة، لكنه أضخم وأطول. يبدو كلاعبٍ رياضيٍّ رشيقٍ جداً، من أولئك اللاعبين مفتولي العضلات. ملامحه داكنة، وشعره مقصوص بإتقان مرفوع عن جبهته، ربما كان يستخدم له مثبتاً للشعر. يمكنني القول إنه في الثلاثينات من عمره. التُقِطت هذه الصورة خارج المدرسة. عرفْتُ مخرج المدرسة.

«ماهذا شيلدون؟» قالت ميشيل وهي تقف أسفل الدرج.

«سيدة سميث، رجاءً هل يمكنك أن تأتي إلى هنا لتُلقي نظرةً على الصورة التي أُخذت من كاميرات المراقبة؟» طلب ستانتون منها هذا بهدوءٍ ولطفٍ. أومأتْ ميشيل برأسها واقتربتْ من المحققين، نظرت إلى الصورة بسرعةٍ وهزَّتْ رأسها بأنها لا تعرفه. عيناها حمراوان من البكاء. رأيتُ ستانتون يشكُرُها، وبعدها صعدَت الدرج بسرعة وغابتْ عن الأنظار.

«والآن ماذا؟» سألْتُ.

«إننا ننتظر. الهواتف جميعها أصبحتْ مُرَاقبة». نظرنا إلى رجال الشرطة الموجودين في غرفة الجلوس.

«ماذا إذا لم يتصل أحد بنا؟»

«سيتصلون. الشخص الذي أخذه أقحم نفسه في طريقٍ مليءٍ بالمخاطر ليُخرجه من المدرسة». عاد ستانتون ينظر في الصورة.

«ليس لدينا شيء لنُقدِّمه له. لسنا أغنياء بأي شكل من الأشكال، إننا ميسورو الحال. هناك كثير من الناس الذين يملكون من المال أكثر مما لدينا بكثير». نظرتُ حولي إلى غرفة

الجلوس. إنها مرتبةٌ بشكل جيد ولكنها ليست فاخرة على أيّ حال. أغلى شيء موجود فيها هو شاشة ٥٠ بوصة موجودة فوق موقد التدفئة، ولكنها بالتأكيد ليست كافية لاسترجاع تومي.

نظر ستانتون في عينيَّ قائلاً: «هذا ما يجب أن نعرفه. ربما يكون لدى تومي شيءٌ ما يريده هذا الرجل منه».

هززتُ برأسي. «لديه مصروفه فقط».

«هل يتعاطى المخدرات؟» نظرتُ بدهشةٍ إلى ستانتون وهززتُ رأسي نافياً.

«ماذا عن أصدقائه، هل يتعاطون المخدرات أو الكحول أو أي شيء من هذا القبيل؟»

«أيها المحقق، إنه في الثالثة عشرة. كيف يمكن أن يكون متورطاً في مثل هذا الشيء؟»

«أفهمك. ولكن بعد ثماني عشرة سنة من الخدمة في هذا العمل رأيتُ هذه الأشياء كلها وقد حدثَتْ». شاهدتُ آدمز وهو يومئ برأسه موافقاً إيَّاه الرأي.

«أكبر ذنب يرتكبه هو استغلاله انشغال أمه ليشرب مشروباً غازياً أو يأكل الحلوى، عدا عن هذا فهو ولد جيد بالنسبة لشابٍ في بداية مراهقته الطبيعية». نظرتُ خلفي عندما دخل خبير الأدلة، الذي كان في غرفة تومي، إلى غرفة الجلوس.

«لا يوجد أي شيء. فتشتُ أيضاً في هاتفه». نظر إلي. «هذا هاتفه أليس كذلك؟» أومأتُ بنعم. «سأتوجه إلى مدرسته الآن». رأيته يخرج من الباب الأمامي.

«هذا لا يكفي». همهم ستانتون وسحب قدمه على طول السجاد مُحبطاً. «هل يمكنك التفكير بأي سببٍ يجعل شخصاً ما يقوم بهذا العمل؟ أيّ مشكلة في العمل؟ مع الأصدقاء؟ أي شيء من هذا؟»

هززتُ رأسي «لا يوجد أي شيء من هذا. جُلّ اهتمامنا هو اصطحاب تومي إلى المدرسة وإلى ملعب البيسبول، وقيامه بوظائفه. وبعدها يأتي عملنا. ليس لدينا وقت لأي شيءٍ آخر. أنت تعرف كيف هي الحياة». هزّ المحققان برأسيهما مؤيدين. «هل تمكنتم من الوصول إلى شيءٍ عبر كاميرات المراقبة في المدرسة؟»

«لا شيء سوى الصورة التي رأيتها. صور التسجيل لا تتعدى منطقة الممر الجانبي، لذلك لم نتمكن من رؤية الكراج بشكل واضح».

«هل يمكنني الذهاب للبحث عنه بنفسي؟»

«ماذا تقصد؟» نظر ستانتون بارتباك.

«أعني لا يمكنني الجلوس هنا، والانتظار طوال الليل. يجب أن أَجِدَه. أُفضل أن أكون في الخارج أبحث عنه على أن أنتظر هنا».

«أتخيَّل ما تشعر به سيد شيلدون، لكن إذا اتصل أحدهم، فإنه سيطلب التحدث إليك، وقد تكون هذه فرصتنا الوحيدة». نظر إليَّ ستانتون بصرامة.

«كم من الوقت سننتظر؟»

رأيته يحدِّق في الأرض. «ليس لديَّ جواب على سؤالك هذا. لكن مع الإعلان عن فقدانه، وانتشار رجال الشرطة للبحث عنه، آمل ألَّا يطُول هذا الانتظار».

«إذا لم نسمع عنه أيَّ خبر، فإن أوّل ما سأفعله في الصباح هو الذهاب للبحث عنه». استدرتُ بسرعةٍ وصعدتُ

الدرج، سمعته يردُّ على كلامي هذا، كـأنه قال إنه سيفعل الشيء نفسه لـو كـان ولده، ولكنني لم أُعِرْهُ انتباهاً. فقط أكملتُ صعود الدرج حتى وصلت إلى غرفة تومي واستلقيتُ على سريره.

الفصل الثالث

رأيتُ الشمس تشرق عبر نوافذ غرفة الجلوس. ميشيل إلى جانبي ورأسها على كتفي. كانت عيناها ذابلتين من القلق وقلَّة النوم. أمضينا الليل كله جالسين على درج المنزل. منزلنا مُصمم بحيث يقود درجه من المدخل إلى غرفة الجلوس مباشرةً. قرَّرنا أن نُمضي الليلة هنا، لنتمكن من سماع أي خبر يأتي عن تومي. لم نسمع شيئاً. غادر المحققان منذ ساعاتٍ عدة، ربما ليذهبا إلى منزليهما لنيل قسطٍ من الراحة قبل البدء بيومٍ آخر شاق وطويل. مما فهمته أنَّ مثل هذا النوع من الحوادث قلَّما يحدث في هذه المنطقة. حدث من قبل، لذلك فهم يعرفون الإجراءات التي عليهم أن يتبعوها. نحن نعيش في مجتمع صغير شمالي فيرجينا، بعيداً جداً عن فوضى واشنطن، «العاصمة»، لكنها قريبة كفاية للاستمتاع بالأحداث المهمة التي تحدث بالقرب من هذه المدينة الكبيرة. لا أعرف حقاً كيف استقررنا هنا، ولكني تسرَّحتُ من الخدمة العسكرية، وكانت

ميشيل تتمرَّن في «العاصمة»، لذلك قرَّرنا أن نبقى ونستمتع بحياتنا هنا. والآن وبعد عشرين عاماً لا نزال هنا مع ولدنا الوحيد المفقود من دون دليل على المكان الذي أُخذ إليه، أو على الشخص الذي أخذه. أعتقد حقاً أنه لا بد من وجود شخصٍ واحدٍ على الأقل قد رأى الرجل الذي أخذ تومي. لا بد أنهم عرضوا صورته على شاشة التلفاز الليلة الماضية آلاف المرات إلى جانب صورة تومي، ولكن لم يتصل أحد ولم يرهُ أحد. ظل هاتفنا يرن طوال الليل، ولكن الاتصالات كانت جميعها من وكالات الأنباء الواحدة تلو الأخرى. خُصِّص أحد رجال الشرطة للرد على هذه الاتصالات، كان يحوّلها طوال الليل. أجبتُ عن اتصالٍ واحدٍ على هاتفي المحمول من راندي المدير التنفيذي للشركة لأُطلِعَه على حالة تومي. قال إنه سيكون إلى جانبي، وطلب مني أن أخبره في حال احتجتُ أي مساعدة. لم أسأله عن وضع المُخدم. بدا هذا الأمر غير مهمٍ بالنسبة لي الآن. في الحقيقة أصبح كل شيء، عدا تومي، غير مهم بالنسبة لي. يمكننا مشاهدة التلفاز من مكان جلوسنا. كان يعمل على إحدى القنوات المحلية، التي كانت تبث طوال الليل أخباراً محليّة وعالميّة، كنتُ دائماً ألتصق بالتلفاز لأُشاهدها، ولكني

الليلة الماضية أغمضتُ عينيّ عنها. بعد فترةٍ لم أعُدْ قادراً على مشاهدة الأخبار التي كانت تُبث عن تومي من دون أن يزداد قلقي وتوتري. شعرتُ بميشيل تمسك بي بقوة عندما فُتح الباب الأمامي للمنزل. دخل المحققان ستانتون وآدامز والتعب بادٍ عليهما. كانا يرتديان ملابس مختلفة مما يعني أنهما عادا إلى منزليهما ولو لفترة قصيرة. تحدَّثا إلى رجال الشرطة الذين أمضوا الليلة في منزلنا وهزَّا برأسيهما. نظر ستانتون إلينا وسار نحونا إلى أسفل الدرج.

«أعتذر منكما، لم نتوصل الليلة الماضية إلى أيِّ شيء. عُدنا اليوم ونحن نأمل أن نكون أكثر حظاً». نظر إلينا بإمعان. يمكنني أن أرى الانتفاخ تحت عينيه. «لِمَ لا تحاولان تناول شيءٍ من الطعام؟» أومأنا أنا وميشيل برأسينا. وقفتْ ميشيل في الحال، وصعدتْ الدرج بسرعة. سمعتُها تدخل الحمام وتبدأ بالتقيؤ. وقفتُ على مهلٍ، وحركتُ كتفي حيث كانت ميشيل تضع رأسها طوال الليل. إنها متصلّبة قليلاً. دخلتُ غرفة الجلوس حيث كان يجلس ثلاثةٌ من رجال الشرطة، أحدهم كان ينظر مباشرةً إلى هاتفنا.

«لماذا لا يتصلون؟»

نظر المحقق ستانتون إلي ثم إلى الهاتف وقال: «أحياناً يُفضِّل الخاطفون أن ينتظروا حتى يشعروا أنهم في مكانٍ آمنٍ تماماً. ولكنهم عادةً يتصلون في حدود أربع وعشرين ساعة».

أومأْتُ «ألا يوجد شيءٌ آخر يمكننا فعله؟»

«أتمنى لو أنَّ هناك أيَّ شيءٍ يمكننا فعله، لكن من دون تحديد هوية الخاطف، أو معرفة سيارته لا يوجد ما نفعله ماعدا البحث، وانتظار الوصول إلى شيءٍ ما». قال المحقق هذا وهو ينظر إلى الأرض.

«ما هي نسبة نجاح هذا عادةً؟»

«هذا يعتمد على أمور كثيرة. فكلُّ حالةٍ تختلف عن الأخرى. ولكن عندما نكتشف الدافع يمكننا أن نحدد النسبة».

«صحيح أنه كلما طالت فترة انتظارنا قلَّت فرصة إيجاده أليس كذلك؟» سألته وأنا أنظر إلى عينيه البنيتين الداكنتين مباشرةً.

هزَّ رأسه ببطءٍ وقال: «هذا صحيح في حالات الخطف. ولكن هذه الحالة مختلفة. أعني أن هناك شخصاً أتى واصطحب تومي ليذهب معه طواعيةً إلى مكان ما».

«لم أفهم، ماذا تعني». تذكرتُ الصورة التي رأيتها للخاطف، والأداة التي كانت بيده.

«إنه يعرف أكثر من هذا».

«تذكَّر ما أخبرتك به سابقاً. لا بدّ أنه قد أخبر تومي أن شيئاً ما قد حدث لك أو لزوجتك وأنَّ عليه أن يذهب معه».

«ولكن لماذا يريده أن يذهب معه؟» سمعتُ ميشيل تسعل أعلى الدرج.

«هذا ما يجب أن نعرفه. أُخطط للذهاب إلى المدرسة لأتحدث إلى تلك السكرتيرة، وإلى كل شخصٍ في ذلك المكتب، لأرى إن كانوا قد لاحظوا أيَّ شيءٍ آخر. بالمناسبة لقد أُلغي دوام المدرسة لهذا اليوم».

«سأخرج وأبحث عنه بنفسي. لم يَعُدْ بإمكاني البقاء هنا». قلتُ هذا وبدأتُ بالابتعاد عنه.

«لا يمكنني منعك عن فعل هذا. لكن أتمنى أن تبقى هنا في حال حاولوا أن يتصلوا بكم. سأتحدث إلى مايك لأرى إن كان باستطاعته تحويل المكالمات الواردة إلى هاتفك الخلوي». نظر إلى الضابط الجالس إلى جانب الهاتف.

أومأتُ له برأسي، وصعدتُ الدرج لأتفقد ميشيل. كانت جاثيةً قرب الحمام، عيناها مليئتان بالدموع والحزن. أخذتُ منديلاً ومسحتُ فمها. «سنجده ميشيل أَعِدُك بهذا. سأذهب للبحث عنه الآن». لا أعرف إلى أين سأذهب، ولكن على الأقل هذا أفضل من الجلوس والانتظار بلا فائدة، ولكني لن أخبرها بهذا. «لِمَ لا تذهبين وتستلقين قليلاً؟ ستحوّل الشرطة مكالمات هاتف المنزل إلى هاتفي الخلوي في حال اتصل أحدهم بنا». ولكنها فقط أومأتْ برأسها. رافقتُها إلى غرفتنا، ووضعتُها في السرير. وقفتُ إلى جانبها، وراقبتُها حتى أغمضتْ عينيها. توجهتُ بسرعة إلى الأسفل. كان المحققان قد رحلا، لذلك ذهبتُ إلى كراج السيارة وتوقفتُ عندما سمعتُ مايك يطلب مني هاتفي، فأعطيته إيَّاه. هذا الرجل يشبه الضابط ولا أظن أن بإمكانه العمل متنكراً. كان لمايك شعرٌ بنيٌّ قصيرٌ، ووجهٌ يمكن أن يُستخدم في إعلانات التجنيد في الشرطة. وجهه يشبه وجه «كلينت إيست وود»، ووقفته العسكرية تُخبِر في الحال من يراه بأنه شرطي. أعاد لي هاتفي وأخبرني بأنه انتهى من تحويل كل المكالمات. خرجتُ من الباب بسرعة حتى وصلت إلى سيارتي الشيفروليه وشغَّلتها. توقفْتُ للحظة، وأغلقتُ عينيَّ متخيلاً قفازات تومي ومضربه على

المقعد الخلفي. بدأتُ أصرخ «يا إلهي أرجوك ساعدني على إيجاده، أرجوك». كان صُراخي عالياً لدرجة أنَّ شرطياً خرج من باب المنزل وأخذ ينظر إليَّ. لوَّحتُ له وقُدْتُ سيارتي عبر مدخل المنزل الصغير. ولمَّا وصلتُ إلى الطريق العام رأيتُ سيارات وكالات الأنباء، والصحافيين يحاولون لفت انتباهي. عرفْتُ بعضهم، ولكني تابعتُ طريقي متجاهلاً وجودهم حتى غابوا عن نظري جميعاً. تأكدتُ من أنَّ لا أحد منهم يتبعني عندما وصلتُ إلى الطريق الرئيسي خارج منطقتنا. لا أعرف إلى أين أذهب، ولكن الشاحنة قادتني إلى ملعب البيسبول الذي يلعب فيه فريق تومي. إنّه خالٍ باستثناء مجموعة من الإوز الكندي تحلِّقُ في أرجائه. تجاهلتُ الشاحنة وهي تثير الغبار في كراج الملعب. وقفتُ إلى جانب خط قاعدة البيسبول الأولى حيث كان من المفترض أن نلعب الليلة الماضية. أنا أحد مدربي البيسبول. أتساءل إن كانوا قد لعبوا أم لا. خرجتُ من الملعب ومشيتُ نحو المدرجات، وصعدتُ إلى أعلى صف. كان هادئاً جداً. حاولتُ أن أتخيَّل تومي وهو يقف على القاعدة الثالثة في مضمار البيسبول، عندها تذكرتُ كلَّ ما حدث فجأةً. لم أستطع التوقف عن البكاء والارتجاف. غَرِقَ وجهي بالدموع ولم أَعُدْ أشعر بأيِّ شيءٍ في

جسدي. لا أعرف كم بقيْتُ على هذه الحال، ولكني قفزتُ فزعاً عندما سمعتُ هاتفي يرن. أجبتُ بسرعة وقلتُ مرحباً دون أي تفكير، قد تكون محطة إخبارية أُخرى.

«مرحباً» قلتُ ولكنني لم أسمع أيَّ ردٍ. «مرحباً... مرحباً. أنا هنا» لم يُجِبْ أَحد. تساءَلْتُ إن كانت الشرطة تحاول تحويل الاتصال ولم ينجح ذلك. وهل فرصتنا الوحيدة لمعرفة مكان تومي ضاعتْ بسبب التكنولوجيا. بدأت أصرخ «مرحباً» مرّاتٍ ومرّات وأخيراً سمعتُ صوت إنهاء المكالمة. كنتُ أُحاول الاتصال بهاتف المنزل لمَّا رأيت الرقم نفسه يتصل بي مجدداً. نظرتُ إلى شاشة الهاتف إنه الرقم «خاص» مجدداً. كنتُ أتساءَل إن كانت هذه هي طريقة تحويل المكالمات. وأنا أُجيبُ على الاتصال شعرتُ بأنّ كل عظمةٍ في جسدي ترتجف قلقاً.

«مرحباً» أجبتُ بهدوء قدر ما استطعت.

«مرحبا شيلدون» أجاب أحدهم. كان صوته غير مألوفٍ بالنسبة لي. ولا أعتقد أنّه أحد المحققين.

«مَنْ يتكلَّم؟» شعرتُ بأنّي انفعلْتُ. انتظرتُ مِنَ المتَّصِل أن يُعرِّف عن نفسه بأنّه صحافي.

«إنّه أنا طبعاً» لم أتمكن من معرفة أي شيءٍ عن الشخص المتحدث. إنّه رجل، ومن الأشخاص الذين لا يمكنك معرفة عمرهم أو شكلهم أو عِرقهم. «هل فقدتَ شيئاً ما؟»

«هل هذا له علاقة بتومي؟» سألته وأنا أكاد أتنفس.

«سألتُك هل فقدْتَ شيئاً ما؟ إنّه سؤالٌ بسيطٌ حسب ما أعتقد».

«إذا كنتَ تقصد تومي فأرجوك أخبرني أنّه بخير».

«من الواضح أنك لم تسمع سؤالي يا شيلدون». كان هناك صمت طويل. أردتُ الصراخ. «دعنا نُجرِّب هذا مرَّةً أُخرى وإلَّا سأُنهي الاتصال. هل فقدت شيئاً ما؟»

«نعم». صرختُ على الهاتف. «نعم ولدي أين هو بحق الجحيم؟»

«كل هذا الغضب من رجلٍ متحضرٍ مثلك». قال وهو يضحك بهدوء. «في الحقيقة ربما يكون لدي الشيء الذي تبحث عنه».

«هل هو بخير؟ دعني أتحدّث إليه». أحكمتُ قبضتي على الهاتف إلى درجة أن مفاصل أصابعي أصبحت بيضاء.

«اهدأ. في البداية اجلس. لماذا لا تجلس؟ جميعكم تنحنون فوق هذه المدرجات». وقفتُ في الحال وأخـذتُ أنظر حولي. «استرخِ. لـن تتمكن من إيجادي».

«أين تومي؟ أخبرني أين تومي؟» نظرتُ حولي في كل الاتجاهات.

«بدايةً، اجلس مكانك». أردتُ أن أُلقي بالهاتف. «أُريد منك أن تفعل أشياء عدة من أجلي».

«ما الذي تتحدث عنه؟ هل ولدي معك؟»

«سنصل إلى هذا الأمر بعد قليل شيلدون. في البداية أريد منك أن توافق على تنفيذ بعض الأعمال من أجلي».

لم أَقُل أيَّ شيءٍ لدقيقة. أتساءل إن كان مايك، ضابط الشرطة، يراقب هذا الاتصال. «لا، دعنا نتحدث عن تومي الآن». صرختُ. آمل أنهم يتتبعون هذا الحديث الآن. أنتظر ستانتون ليظهر.

«عرفتُ بأنّ ردَّك سيكون بهذه الطريقة، لذا إليك الاتفاق. ستؤدي لي الخدمة الصغيرة التي سأطلبها منك، وبالمقابل سأدَعُك ترى ما لديّ، وهو ملك لك». قال هذا وتوقف عن الكلام. «أيضاً، توقف عن البحث عني، أو عن صديقَيك

المحققَين الصغيرَين فليس لديهما أدنى فكرة عن اتصالنا هذا. أعتقد أنهما يُراقبان هاتف منزلك فقط. كما أنَّ اتصالنا هذا سيختفي بعد أن ننتهي منه».

«مَنْ أنت؟ لماذا ولدي معك؟» انقطعتْ أنفاسي.

«سنُناقش هذا الأمر في وقتٍ لاحقٍ. فقط افعل ما أَطلبه منك وسأُعيد لك ما هو ملكك. لا ترتكب أي خطأ حتى لا يَلْحَق به أي أذى».

«ماذا تريد منِّي أن أفعل؟» جلستُ بهدوء.

«شكراً لك لأنك جلستَ أخيراً. والآن يمكننا أن نُنجز بعض الأعمال». استمعتُ بانتباه محاولاً أن أُميِّز الصوت. «أريد منك أن تُودِع الظرف الموجـود على المقعد الخلفي لسيارتك في بنك (كومون ويلث) شارع لي ٢٣٦».

«لا يوجد أي ظرف على المقعد الخلفي لسيارتي». صرختُ.

«التقط أنفاسك شيلدون. وصل الإيداع، مُلِئ بالمعلومات المطلوبة، وهو على المقعد الخلفي. كل ما عليك فعله هو إعطاؤه لأمين الصندوق».

«وبعدها أستعيد تومي؟» لم أشعر بمثل هذا الخوف والقلق من قبل. يداي ترتجفان، ولكني أحاول أن أُبقي صوتي متماسكاً.

«حالما تنتهي من ذلك، تفقد هاتفك وسترى ما بحوزتي. عندها أخبرني إن كان هذا ما تريد استرجاعه».

«إذا أُصيب بأذى، فسأقتلك».

لم أسمع شيئاً. «اهدأ... اهدأ، لا حاجة بك لأن تنفعِل هكذا. فقط اتَّبع تعليماتي، وسأُعيد لك ما هو ليس ملكاً لي كما أخذتُه. وإذا لم تفعل ما أطلبه منك أو أخبرتَ أحداً، خاصةً المحققين الظريفين فسأُعيدُ لك ما تريد ولكنه لن يكون في حال جيدةٍ أبداً. فهمت؟»

أومأتُ برأسي. «سأفعل ما تريد. أرجوك لا تؤذِه. إنَّه مجرد طفلٍ صغيرٍ. ولم يقترف أيَّ ذنب».

«فقط افعل ما أطلبه». انتهتْ المكالمة. ولازلتُ أصرخ وأتفقد هاتفي، لكنّه ذهب. لم أُصدق هذا؛ إنّه الرجل الذي اختطف تومي.

الفصل الرابع

نهضتُ عن المدرج، وركضتُ باتجاه الكراج، وفتحتُ باب سيارتي. بالتأكيد كان هناك ظرف مانيلا سميك على المقعد الخلفي. فتحتُه ونظرتُ إلى ما بداخله. كان مليئاً بالنقود. أكبر مبلغ رأيتُه في حياتي. قلّبتُ الأوراق النقدية بسرعة. كانت جميعها من فئة المئة دولار. لم أفكر حتى بأخذها إلى الشرطة. لا أستطيع أن أكون السبب في حدوث أيّ مكروهٍ لتومي. ضربتُ المقعد بيدي بقوة، ونظرتُ مرةً أُخرى إلى المال. حدقْتُ به وأنا لا أُصدق هذا، ثم أدرتُ محرِّك السيارة. بعد عشر دقائق، كنتُ أقف في موقف السيارات الخاص بالبنك. إنه البنك عينه الذي نتعامل معه، ولكن هذا الفرع لم أزُره من قبل. أعتقد أنه الفرع الرئيسي للبنك لضخامة حجمه، وعدد السيارات التي تقف في كراجه. أخذتُ الظرف الكبير ودخلتُ البنك. لم يكن مزدحماً جداً. وجدتُ وصل الإيداع مسبقاً لذلك وقفتُ في الدور لدقيقة أو أكثر وراء سيدةٍ مسنةٍ،

وأعطيتُ الوصل لأمينة الصندوق. تبدو شابةً صغيرةً مفعمةً بالحيوية والنشاط. رأيت عينيها تتلهفان إلى المبلغ المكتوب في الوصل، مليون ونصف المليون دولار. لم تُصدق أني أملك مثل هذا المبلغ، ولكني أعطيتها الظرف، وبعد خمس عشرة دقيقة أعطتني إشعار التسلُّم، وأخبرتني بأنّ إشعار التحويل سيُملأ بالمبلغ الذي أودعته، ولكني رفعتُ كتفي فقط. وقّعتُ الإشعار بسرعة وعدتُ إلى السيارة. لمَّا أغلقتُ الباب رنّ هاتفي، كانت رسالة من الرقم الخاص نفسه على شاشة الهاتف.

«عملٌ رائعٌ شيلدون. أصبحت الآن مليونيراً. ذلك المبلغ وُضِعَ في حسابك».

«ما الذي تتحدث عنه؟» صرختُ على الهاتف.

«تماماً كما وعدتُك، ستتلقى عربون شكرٍ وتقديرٍ منّي. رجاءً تفقّد بريدك الإلكتروني حالما ينتهي الاتصال».

«ماذا عن تومي؟»

«اهدأ شيلدون. خُذْ نفساً آخر. سترى ما بحوزتي على هاتفك في لحظات وأخبرني إن كان ما ستراه يعود لك. بالمناسبة، تذكَّر اتفاقنا

بألاّ تُخبر رجال الأمن بأيِّ شيءٍ وإلا سأُدمر ما تريده مني. أيضاً، عليك أن تستمتع بالرسالة الإلكترونية الثانية. أتساءل ماذا سيقول رجال الشرطة لو رأوها. سنبقى على اتصال».

ألقيتُ الهاتف على المقعد. اختفى الرجل مرةً أُخرى، عُدْتُ والتقطتُ الهاتف لأنه بدأ يرن مجدداً. كانت لدي رسالتان إلكترونيتان جديدتان، كل واحدةٍ منها تحوي رابطاً، أُرسلتا من الرقم الخاص أيضاً كالاتصال، وهذا أمر لم أر مثله من قبل. فتحتُ الرسالة الأولى، ونقرتُ على الرابط المتاح فيها. لا أصدق، إنه تومي. إنه مستلقٍ على سريرٍ في غرفةٍ صغيرةٍ. لا يبدو مصاباً بأيّ أذى. يحمل حاسوباً محمولاً في يده، وخلفه شاشة تلفاز كبيرة تظهر عليها لعبة «Wii[1]»، وبعض الألعاب الإلكترونية الأُخرى. يوجد أيضاً آلاف الكتب حوله. انتهى الفيديو بسرعة. حاولتُ إعادة تشغيله، لكنه لم يعمل. عُدتُ إلى صندوق الرسائل الواردة، وحاولتُ فتح الرسالة مجدداً، ولكنها كانت قد حُذفتْ. لا أصدق هذا. فتحتُ الرسالة الثانية، بداخلها أيضاً رابط آخر. نقرتُ عليه فظهر لي مقطع فيديو آخر. إنه أنا

---

(١) لعبة فيديو معروفة باسم Nintendo's Wii المترجمة.

في بنك «كومن ويلث» أُعطي أمينة الصندوق ظرفاً مليئاً بالنقود. لا أفهم كيف تمكن من الحصول عليه. إنّه محقّ، بماذا ستفكر الشرطة لو رأت هذا المقطع بعد يومٍ واحدٍ من اختطاف ولدي؟ أغلقتُ الرسالة بسرعة وكسابقتها اختفتْ مع الرابط. وضعتُ الهاتف، وخرجتُ بسرعة من الكراج. نظرتُ في المرآة الخلفية وأنا لا أعرف إن كان ذلك الرجل يراقبني. لا أعرف بماذا أُفكر. سعيد لأنّ تومي بخير، على الأقل أعتقد أنه كذلك من مقطع الفيديو، لكني خائف لأنه بين يدي وحش. أعرف أني لا أستطيع أن أُخبر الشرطة أو أي أحد، لكن عليَّ أن أعود إلى المنزل لأرى إن كان هناك أيّ تطورات. وصلْتُ إلى المنزل بعد عشرين دقيقة. يبدو أن هناك أُناساً أكثر يجتمعون أمام المنزل. بعضهم بدا يحمل صوراً. لَمَّا اقتربتُ رأيتهم يحملون صوراً لتومي. ركنتُ السيارة أمام السياج الأمامي للمنزل وفتحتُ النافذة. في الحال اندفع نحوي حشدٌ من الناس، بعضهم كان يحمل الميكروفونات، ولكن أكثرهم كان من الجيران وأصدقاء العمل. لا بدَّ أنهم كانوا ينَظِّمون فريقاً للبحث. أردتُ أن أخرج من السيارة، وأشكر كل واحد منهم، ولكني فقط صرختُ شاكراً لهم من النافذة، واتجهتُ إلى الممر المؤدي إلى الكراج. سيارة ميشيل «الأكورد» كانت متوقفة فيه،

لا بدَّ أنها في المنزل. كنتُ في الخارج لساعاتٍ، لا أعرف كم مضى من الوقت لأني لا أعلم متى غادرتُ. شعرتُ بارتباكٍ شديدٍ بعد كل ما حدث وبعد رؤية تومي في ذلك الفيديو. أعدتُ مقطع العشر أو الخمس عشرة ثانية في ذهني مراتٍ ومرات. شعرتُ برغبةٍ بفتح باب المنزل وإخبار الجميع بما حدث، لكني، عندما دخلت وحدَّق بي كل من ميشيل والمحققين، قرّرتُ ألّا أفعل هذا.

«شيلدون أين كنت طوال النهار؟» نظرتُ إلى الساعة، كانت قد تجاوزت الرابعة.

أسرعتْ ميشيل إليَّ واحتضنتني.

«كنت فقط أبحث عن تومي، هل سمعتُم أي شيءٍ عنه؟» نظرتْ ميشيل إلى ستانتون. شعرتُ أن معدتي بدأت تتقلص.

«أعتقد أننا توصلنا إلى معرفة السيارة. جاءت سيدة لاصطحاب ولدها في الوقت نفسه الذي خرج فيه تومي، تذكرتْ أنها رأت سيارة جيب شيروكي زرقاء فاتحة تخرج من المدرسة عند دخولها. ونحن نبحث عنها الآن». نظر إليَّ آدامز والضباط الآخرون الذين كانوا جالسين في غرفة الجلوس. رأيتُ مايك يجلس قرب الهاتف،

«لم نسمع أيّ شيء حتى الآن، ولكن كما قلتُ لك من قبل ربما ينتظرون حتى يشعروا بأمانٍ أكثر». شعرتُ بأنّي بدأتُ أختنق، وكأنّ حنجرتي تطبق عليّ.

«ما الأمر شيلدون؟» سألتْ ميشيل وهي تمسك بي.

سعلتُ. «اعتقدت أننا سنسمع شيئاً عنه الآن». جلستُ على الأريكة. نهض الضابط الذي كان جالساً عليها بسرعةٍ لتتمكن ميشيل من الجلوس إلى جانبي.

«متأكدٌ من أنك بخير، سيد سميث؟» نظر ستانتون إليَّ نظرةً حادةً. رأيتُ عينيه تتلفتان حولي. أتساءل إن كان يعرف أني أكذب.

«أنا بخير الآن». أخذتُ نفساً عميقاً، ووقفتُ ليرى الجميع أني بخير. اقتربتُ من النافذة. «عظيم، إنهم يبحثون عن تومي».

«نعم، سيذهبون للبحث عنه في الجوار وفي الداخل والخارج. أقترح أن تظهرا أنتما الاثنان على التلفاز وتتوسلا إلى الخاطف بأن يُعيد تومي». نظر أولاً إلى ميشيل ثم إليّ.

«أنا عادةً لا أُحبِّذ هذا. ولكن طالما أننا لم نسمع عنه شيئاً فلربَّما هذا سيسرع الأمور. هذه القضية أصبحت قصة وطنية».

نظرتُ إلى ميشيل فأومأتْ برأسها. «من سيُجري المقابلة؟»

«السيدة نورين من القناة السابعة». أجاب ستانتون، ونظر إلى الخارج. «أودُّ أن تفعلا بهذا بأسرع وقتٍ ممكنٍ، لذا لمَّا تكونان جاهزين فسنستدعيها إلى هنا».

«دعينا نفعل هذا». قلتُ لها. لا أصدق أني لم أُخبر أحداً من رجال الشرطة أو ميشيل عن الاتصال الهاتفي أو الفيديو الذي يُظهر تومي حيّاً، لا يمكنني أن أُخاطر بأيِّ شيءٍ يُسبب له الأذى. يبدو أن الرجل الذي اختطفه يعني ما قاله.

بعد نصف ساعة أو أكثر، جلسنا إلى البار في المطبخ الذي اختاره تومي، ونورين تجلس مقابلنا. تبدو صادقةً ومهتمة، لذلك أعتقد أن ستانتون يعرف ماذا يفعل، وهذا ليس فقط من أجل رفع نسب المشاهدة. لا أستطيع أن أُبعد عن ذهني منظر تومي في تلك الغرفة بمفرده. أتمنى ألَّا يتأذى وألَّا يصيبه أي شيء. كان يبدو بحالٍ جيدةٍ. على الأقل إنه محاطٌ بالألعاب والكتب، لذلك لديه شيء ليشغل به وقته.

قطعتُ عهداً على نفسي عندها أنني سأفعل أيّ شيءٍ لأسترجعه.

«شيلدون... شيلدون... هل أنت بخير؟» نظرتُ إلى ميشيل. كان الجميع ينظر إلي مباشرةً.

أومأتُ برأسي. «أنا بخير. كنتُ فقط أُفكر بتومي». وضعتْ ميشيل يدها على كتفي.

«سنستعيده أعرف هذا. لمَّا خرجتُ طوال النهار حلمتُ أنه على قيد الحياة وبخير». بدأتُ ألهث.

«انتظري لحظة». نهضتُ عن الكرسي، وتوجهتُ إلى الحمام، ثم عدتُ إلى المطبخ بعد بضع دقائق. كان الجميع ينظر إليَّ بقلق. لا يمكنني النظر في وجه ميشيل وستانتون. شعرتُ بأنهما سيعرفان أني أخفي أمراً ما. بدل ذلك نظرتُ إلى نورين وطاقم التصوير خلفها.

«هل أنت متأكد من أنك مستعد للقيام بهذا؟» سألتْ نورين بنبرة الصحافيين المميَّزة.

«نعم، دعينا نفعل هذا». قلتُه بهدوء قدر ما استطعت.

«إليكم ما سنفعله. سأتحدَّث أنا أوّلاً، بعدها ستنظران أنتما الاثنان إلى الكاميرا مباشرةً». أشارتْ إلى كاميرا على بُعد أقدامٍ عدّةٍ منّا، مركبة على قاعدة ثلاثية القوائم مقابل إحدى الطاولات في المطبخ. «ثم

تخبرهم أنت كم تتمنى أن يعود إلى المنزل، وتتوسّل إلى الشخص الذي أخذه أيّاً كان بأن يُعيده أو يتَّصل بك». نظرَتْ إلى ستانتون الذي هَزَّ رأسه موافقاً على ما تقوله. «هل أنتما جاهزان؟»

أومأنا برأسينا أنا وميشيل. أتساءل إن كان تومي يعرف أنه يُصوَّر بالفيديو عندما رأيتُ ذلك الرابط. بدا بريئاً جداً، فقط يجلس على السرير. تبدو غرفةَ نومِ مراهقٍ أنموذجيةٍ قد تكون موجودة في أي مكان. نظرتُ إلى هاتفي الخلوي، وتساءلتُ إن كانت هناك طريقة ما لاسترجاع الرسائل الإلكترونية. يمكنني أن أسأل الشبان في العمل.

«شيلدون... شيلدون. أنت تفعل هذا مجدداً. هل أنت متأكد أنك بخير؟» أومأتُ برأسي عندما كانت نورين تشير إلينا. إنه دورنا لنتحدث.

«رجاءً... رجاءً إن كان تومي معكم، أعيدوه إلى المنزل. لم يقترف أيّ ذنب. إنه ولد رائع. إذا رأيتم تومي برفقة أحدهم أرجوكم أخبروا الشرطة». رأيتُ الدموع تملأ وجه ميشيل وهي تتحدث. ضممتُها إليَّ.

«أيّاً كنت أرجوك أَعِد تومي إلينا. يمكنك أن تأخذني بدلاً منه الآن لو شِئْت. أرجوك دعه وشأنه إن كان بحوزتك. لم يفعل أيّ شيء. إنه

مجرّد طفلٍ... أرجوك... أرجوك». سمعتُ نورين تتحدث عندما احتضنّا بعضنا أنا وميشيل. كانت الدموع تنهمر على وجهينا. أشعر بوميض الكاميرا مسلَّطاً علينا، ولكني لا آبه له. أريد فقط أن أهرب بعيداً. كيف يُمكن لهذا أن يحدث؟ وكيف تمكنتُ من عدم البوح بأيّ شيء؟ نهضتُ عن الكرسي بسرعة، ودخلتُ فجأةً إلى غرفة الجلوس ما جعل الضباط الجالسين فيها ينظرون إليَّ. من كان هذا الرجل؟ أخرجتُ هاتفي وحاولتُ أن أُعيد الاتصال بالرقم الخاص، ولكن لم يكن هناك أي رقم، أو أي شيء في سجل المكالمات المتسلَّمة مؤخراً. ارتميتُ على الأريكة، ووضعتُ رأسي بين يدي. بعد لحظاتٍ شعرتُ بميشيل تضع يدها على كتفي لتخبرني بأنَّ كل شيءٍ سيكون بخير.

«لقد أدَّيتما عملاً رائعاً». نظرتُ إلى نورين وستانتون اللذين كانا واقفين أمامنا مُشيرين إلى التلفاز. نظرتُ إليه وهم يعرضون مجموعةً من الصور لتومي ثم ظهر مطبخنا ونحن جالسان فيه على كراسي البار نتوسَّل الخاطف أن يُعيد تومي. نبدو أكبر سناً من قبل. انتهى التسجيل قبل أن أنهض عن الكرسي وأدخل غرفة الجلوس. وبدلاً من هذا المشهد، ظهرتْ نورين في مطبخنا وهي تتوسَّل إعادة تومي إلينا سالماً.

«إنها محقّة. إنه عملٌ جيدٌ. آمل أن نسمع خبراً عنه في وقتٍ قريبٍ من أي شخص». قال ستانتون هذا ما جعلني أنكمش مجدداً.

«كيف نعرف أنه على قيد الحياة؟» سألتْ ميشيل باكيةً.

أجابها ستانتون بسرعة. «إنّ أخذه من دون سبب سيكلِّف الفاعل عناءً كبيراً. لا أريد أن يبدو كلامي سيئاً، ولكن يوجد كثير من الأطفال يمشون في شوارعنا كل يوم، إذا ما أراد شخص فقط أن يخطف أي طفل. إنه عمل مُخطّط له. إجازة القيادة، التوقيع على أخذ تومي من المدرسة باسم أخيك، وغيرها. هذه ليست عملية اختطاف عادية». توقف ونظر إلينا. «أظن أننا سنسمع شيئاً ما عنه قريباً». أدرتُ رأسي بسرعة. «هناك بعض المختصين من ال FBI سيصلون إلى هنا قريباً».

«لماذا لا يتصلون؟ لقد مضى وقتٌ طويلٌ».

«أتمنى لو كان لدي جواب. عادة يتّصلون في أربع وعشرين ساعة. ولكن كما قلتُ لكم هذا الأمر مختلف، ولكنه شيء جيد. حاولي أن تبقي متفائلة».

«أنا أحاول. هل لديك أطفال؟»

أغلق ستانتون عينيه، ثم نظر إلى ميشيل قبل أن يُجيب. «نعم، لديَّ ولدان أكبر من تومي بسنواتٍ عدة، وصدقيني هذا الأمر أثَّر بي كثيراً».

«على الأقل أولادك معك». بكتْ ميشيل.

«نحن نفعل ما بوسعنا سيدة سميث. أعِدُك أننا لن نستسلم حتى نعيده». قرّبتُ ميشيل منّي لتضع رأسها على كتفي.

«شكراً لك أيّها المحقق». مشى ببطءٍ مبتعداً وتحدَّث مع مايك قرب الهاتف.

«ماذا سنفعل شيلدون؟ لا يمكنني أن أتحمل فكرة أن يكون مستلقياً في مكان ما، مصاباً بأذى أو ميتاً». ربَّتُّ على ظهرها.

«إنه بخير. أعرف أنه بخير. سنستعيده. سمعتِ ما قاله ستانتون».

«أتمنى أن تكون على حق شيلدون».

«وأنا أيضاً». همستُ. أعدتُ الفيديو في ذهني لأرى إن كان فيه أي شيءٍ لم أنتبه إليه.

الفصل الخامس

مضتْ ليلةٌ أُخرى لا أعرف كيف دون أيّ اتصال. كنت أتفقد هاتفي تقريباً كل خمس ثوانٍ، الأمر الذي جعل ميشيل تنظر إليَّ بنظراتٍ غريبةٍ. حاولتُ ألا يبدو الأمر واضحاً عندما ينظر إليَّ ستانتون. راقبتُ نور الشمس وهو يشعُّ عبر النوافذ. لا أدري إن كنا قد نمنا أو أننا كنا جالسين هنا وحسب، ولكننا لانزال - نحن الاثنان - جالسين على الأريكة في المكان نفسه. غادر ستانتون منذ ساعة أو أكثر، وأخذ آدامز مكانه. من الواضح أنهما يتناوبان الآن ونحن في اليوم الثالث لاختفاء تومي. دخلتُ المطبخ، يصعب عليَّ أن أُصدق أننا بالأمس فقط كنا نجلس هنا ونتحدث إلى مذيعة القناة السابعة. أتمنى أن يكون لرسالتي ولو بعض التأثير على خاطف تومي، على الرغم من أني متأكد تماماً من أنها لن تكون كذلك. جلستُ إلى الطاولة، سكبتُ صحناً من الحبوب، لم أتذوقه حتى، أحرِّكه فقط. لم أُفكر قط أن شيئاً سيجعلني أشعر أن

الحياة فقدتْ طعمها، لكن غياب تومي ووجوده في مكان مجهول جعلاني أشعر بهذا. أشعر كما لو أن الحياة ليس لها أي معنى إلا باستعادة تومي. لا أدري إلى متى يمكننا تحمُّل هذا. أظن أني أرتدي الملابس نفسها منذ يومين أو ثلاثة. لا أذكر حتى في أي يوم نحن الآن. يبدو لي وكأنّ العالم توقف. رفعتُ رأسي ورأيتُ آدامز يدخل من الباب.

«صباح الخير سيد سميث».

«صباح الخير». أجبتُ. نظرتُ إلى صحن الحبوب الذي أصبح بارداً وطرياً. جلس آدامز إلى جانبي.

«أعتقد أننا في بحاجة إلى البدء باستجواب أي شخص له علاقة بتومي لفهم هذه القضية بشكل جيد».

«ماذا يعني هذا؟» نظرتُ إليه.

«هذا يعني، لسوء الحظ، يجب أن نرى أفراد أسرته، والديه، أقاربه، أو أي شخصٍ له علاقة به».

«أعتقد أنكم قد حقَّقتم مع لورانس من قبل». قلتُ هذا وتناولتُ لقمةً من الطعام.

«نعم فعلنا هذا، ولكن يجب أن نتحدث إلى كل شخص موجود هنا تربطه أيّ علاقة بتومي».

أعدتُ النظر إلى صحن الحبوب. كانت من نوع شيريوس (Cheerios)، المفضل لدى تومي. «اسمع. لقد أخبرناك أنه لا يوجد أحد غيرنا. أسرتي وأسرة ميشيل لا تقيمان هنا، وأصدقاؤنا المقربون ينظمون فرقاً للبحث، والتحقيق معهم مجرد مضيعة للوقت».

«ربما أنت على حق، ولكن علينا أن نفكر في كل الاحتمالات. ماذا عن لورانس؟ هل هو على علاقةٍ بأحد؟» أخذتُ نفساً عميقاً شعرتُ بعده أنَّ الهواء علق في حلقي وأنا أبلعه.

«لورانس؟ ما زلتم تشكّون فيه؟» اتكأ آدامز إلى الخلف قليلاً.

«اسمع، ليس لدينا كثير من المعلومات لنعتمد عليها وكما تعلم، فإنّ معظم الأطفال المخطوفين يختطفهم أفراد من أسرهم».

«يمكنني أن أُؤكد لك أن لا أحد من أفراد أسرتينا قادر على فعل شيء كهذا. رأيتَ الرجل في مقطع الفيديو كان واضحاً أنه ليس لورانس».

«ماذا عن المدرسين؟ أو المدربين، أو الأهالي أو أي شخص يعير اهتماماً لتومي؟» فتح دفتر ملاحظاته. يبدو تماماً مثل دفتر ستانتون.

«لو كنت أعرف أحداً لأخبرتك. والآن أرجو أن تنسى أمر أسرتنا، وتبحث عن الخاطف الحقيقي لتومي». شعرت أنّ جبيني يتقطّر عرقاً.

«أنا أحاول فقط القيام بعملي».

«أعرف هذا». وقفتُ بسرعةٍ وألقيتُ بصحني في حوض غسل الصحون، فأصدر صوتاً عالياً. «هل هناك أي أثر للسيارة؟»

هزَّ رأسه نافياً. خرجتُ من المطبخ، وصعدتُ إلى الأعلى. أَسمعُ صوتَ تدفقٍ للماء. ربما تكون ميشيل تأخذُ حماماً. قررتُ أن أبدِّل ملابسي. ارتديْتُ بنطالاً قديماً، وقميصاً، وتوجهتُ إلى الطابق السفلي. ذهبتُ إلى الكراج مباشرةً، وأدرتُ محرِّك السيارة. فجأةً وقعتْ عيناي على المقعد الخلفي للسيارة. كانت قبعة البيسبول الخاصة بتومي تقبع هناك. كان يرتديها دائماً وهو ذاهب إلى المدرسة، وهو عائدٌ منها أيضاً. التقطتها من الخلف وضغطتُ عليها بقوةٍ. فجأةً رَنَّ هاتفي. إنه الرقم الخاص نفسه.

«مرحباً شيلدون. كان أداؤك جيداً على التلفاز بالأمس. ما كنت لأفعل أفضل من هذا».

«أين تومي؟» نظرتُ إلى الباب المؤدي إلى المنزل لأتأكد أنه مغلق.

«أرجوك أخبرني أين هو. لقد فعلتُ ما طلبْته مني».

«نعم، لقد قُمتَ بعملٍ جيدٍ، وقد كافأْتُك بمقطع الفيديو كما اتفقنا، أليس كذلك؟» يبدو الآن أنّ لديه لكنةً خفيفةً، ولكني لا أستطيع فهمها. أُحاول أن أجمع معلوماتٍ عنه قدر ما أستطيع. قُدْتُ السيارة خارج الكراج ماراً إلى جوار سيارات الشرطة ووسائل الإعلام. يبدو أن عدد سيارات ووسائل الإعلام أصبح أقلّ الآن.

«أرجوك دعني أتحدّث إليه... أرجوك».

«أوه، أرى أنك في سيارتك؟ هل استمتعتَ بالمفاجأة الصغيرة التي على المقعد الخلفي؟»

«أُقسم أنّي سأقتلك عندما أراك». استدرتُ في نهاية الطريق ودخلتُ شارع Lee. نظرتُ خلفي لأرى إن كان أحدٌ ما يتبعني. لم أرَ أحداً، مع هذا جلتُ جولاتٍ عدَّة لأتأكد. «لا أعرف كيف تفعل هذا، وحقاً لا آبه لذلك، فقط أعد إليَّ ولدي. وسأعطيك أيّ شيء تريده».

«هذا ما ستفعله شيلدون. ستُعطيني كل ما أريده. لقد فعلت لأجلي حتى الآن شيئاً واحداً فقط وهو إيداع المال بالأمس. لديّ أعمال بسيطة عدَّة لك وبعدها سأُعطيك ما هو ملكك. أعدك. كلمة الرجل هي أغلى ما لديه، ألا توافقني على هذا؟»

«فقط أخبرني ماذا تريد. اللعنة. لماذا تفعل هذا؟»

«ستعرف ذلك في الوقت المناسب. فقط استمرّ في فعل ما أطلبه منك. هل لاحظت ذلك اللغز الصغير الذي تركته لك في تسجيل كاميرات المراقبة؟ أعتقد أنك استمتعت به».

«دعني أتحدّث إليه لأتأكد أنه بخير».

«يمكنني أن أُؤكد لك أنّ ممتلكاتك بخير بين ممتلكاتي. طالما أنك تتبع التعليمات فإنه لن يتأذى. تذكّر محادثتنا القصيرة بالأمس، صحيح؟» توقفتُ على الإشارة الحمراء.

«كيف أتأكد من أنه لديك فعلاً؟»

«استمتعتَ بمقطع الفيديو، وبالمفاجأة التي كانت على المقعد الخلفي لسيارتك، وأنا متأكد من ذلك. لديّ عمل آخر لك هذا اليوم، لذلك كُنْ مستعداً».

دُستُ على دواسة البنزين حالما تغيَّرتْ إشارة المرور الضوئية. لم يكن هناك أحد خلفي أو هذا ما يمكنني قوله. «فقط أخبرني لماذا تفعل هذا ومتى سأستعيد تومي؟»

«دعنا نُسمِّي هذا صفقةً تجاريةً صغيرةً، وبالنسبة لسؤالك الثاني، لقد أنهيتَ تقريباً ما يترتب عليك. بقي فقط أشياء عدة وتستعيد ما هو ملكٌ لك. سأتصل بك».

«انتظر... انتظر». صرختُ على الهاتف ولكني لم أسمع سوى الصمت. حُذِفَتْ المكالمة مرّة أُخرى من سجل المكالمات. التقطتُ قبعةَ تومي الحمراء وأمسكتُها بإحكام وقدتُ السيارة ماراً إلى جانب البنك الذي ذهبتُ إليه البارحة، ثم توجهتُ نحو ملعب البيسبول مجدداً. لا أعرف لماذا عُدْتُ إلى هناك مجدداً، ولكني أشعر أنه المكان المناسب لأذهب إليه. جلستُ في الصف نفسه، وحدَّقتُ باتجاه الملعب وأنا أتخيَّل نفسي أُدرب وتومي يلعب. عاد الأطفال إلى المدرسة، لذلك فإن الملعب خالٍ. أنا مُتأكد أن الخاطف هنا في مكان ما، ولكني لا آبه إن كان يراقبني على الإطلاق. بقيتُ جالساً هناك ساعاتٍ عدة أُفكر بكلِّ ما حدث في الأيام القليلة الماضية وبماذا سأفعل. لم يرن هاتفي، ربما هذا يعني أنه لا يراقبني. إنني

متفائلٌ إلى حدٍّ ما بأنه سيتصل على الرغم من أني أعتقد أنه يلعب معي فقط. أُصدِّقه بأنه سينفذ ما يترتب عليه من هذا الاتفاق، لا أعرف لماذا. فكرتُ في كل الأفلام التي رأيتها وكيف أن الشرطة فيها كانت تقول إنَّها لا تتفاوض أبداً مع خاطف الرهينة، لكني أتساءل إن كانت ستتصرف بطريقة مختلفة لو كان طفل أحدهم هو الرهينة. لا أعرف ماذا سأقول لميشيل. من حقها أن تعرف ما يجري، ولكني أخشى أن تحاول إخبار الشرطة وعندها سنفقد تومي إلى الأبد. قرَّرت ألَّا أترك للخاطف هذه الفرصة وأن أحتفظ بالأمر لنفسي. لست متأكداً من أنَّ هذا هو الخيار الأفضل، ولكن يبدو أنه ليس لدي أيّ خيار آخر. كيف يتمكن من معرفة كل شيء أفعله؟ لا بدَّ أنه عبقري بالحاسوب، خاصةً في أمر إجازة السَّوق المزورة وكل الأشياء الأخرى. أعتقد أن من الأفضل أن أستخدم خبرتي في التكنولوجيا لأتمكن من اكتشاف هذا. يبدو هذا الخيار أفضل من انتظار مكالمته وإيداع المال في البنك. فجأةً خطرَتْ لي فكرة أن أَدخُل إلى بنك الإنترنت لأتفقد حسابي المصرفي. كان يُظهر أن رصيدنا عاد كما كان مجدداً. ولا توجد أي إشارة إلى المليون ونصف المليون دولار. تابعتُ البحث فوجدتُ أنه جرى تحويل

المبلغ بعد دقيقتين من إيداعه إلى حساب آخر غير معروفٍ بالنسبة لي. لا أعرف ماذا يعني هذا، ولكن أعرف أنه جرى استغلالي لتحويل المبلغ من حسابي إلى حساب شخصٍ آخر بطريقة غير شرعية. وضعتُ الهاتف في جيبي، وتوجهتُ إلى السيارة. تفقدتُ كل المقاعد بعنايةٍ، وهذه المرة لا توجد أي مفاجآتٍ جديدةٍ. أدرتُ محرك السيارة وعدتُ إلى المنزل. مررتُ بشارعنا، بدَت الأمور وكأنّها تعودُ إلى طبيعتها. كانت هناك سيارةٌ واحدةٌ فقط لوسائل الإعلام تقف أمام منزلنا. إنها للمحطة نفسها التي تعمل لها نورين. أعتقد أنهم يحاولون أن يحصلوا على خبر حصري في حال حدث طارئ ما. الحشود التي كانت تبحث عن تومي اختفت، ربما كان عليهم العودة إلى أعمالهم وحياتهم. أتمنى لو كنا نحن أيضاً نستطيع فعل هذا. سيارات الشرطة لاتزال متوقفة حولنا وفي مدخل منزلنا. مررتُ بصعوبةٍ بين سيارتين للشرطة، وتوقفتُ في كراجنا المفتوح. أغلقتُ باب السيارة خلفي بقوة. وصلتُ إلى باب المنزل عندما بدأ هاتفي يرن مجدداً. إنه الرقم الخاص عينه.

«مرحباً مجدداً شيلدون، هل أمضيتَ وقتاً ممتعاً في المتنزَّه؟»
نظرتُ إلى باب المنزل فلم أرَ أحداً قادماً.

«وبماذا يهمك الأمر؟»

«العدائية نفسها مرةً أخرى، لا بدّ أن نتحدث بهذا الشأن يوماً ما». قربتُ هاتفي من أذني. «إليك مهمتك التالية شيلدون».

«ماذا؟ ماذا تريدني أن أفعل؟ ومتى سأستعيد تومي؟»

«قريباً جداً شيلدون... قريباً جداً». قلّبت المفاتيح في يدي. «إليك ما أريدك أن تفعله لأجلي، وأعدك بأنّ يكون عملاً يستحق المكافأة التي ستنالها».

«ماذا يعني هذا؟»

«هذا يعني أني قد أدعك تتحدث إلى ممتلكاتك التي لدي، وذلك تبعاً لطريقة تنفيذك للمهمة».

«حسناً، أخبرني ماذا يجب علي أن أفعل؟» لا أُصدق أني أوافق على هذا. أعرف أنني أقوم بكل ما يخالف قناعتي ومعتقداتي.

«مهمة بسيطة جداً شيلدون، أريد منك أن تذهب الليلة إلى أحد المكاتب، وتحضر لي ملفاً منه».

«ما الذي تتحدث عنه؟» قربتُ الهاتف أكثر.

«سأُزوِّدك بكل ما ستحتاج إليه. فقط عليك أن تذهب إلى هناك، تُحضر الملف وتتركه حيث أقول لك، وأعدك بأنه يمكنك أن تتصل بممتلكاتك».

«أولاً إنه ابني، وليس ممتلكاتي، لذلك توقف عن مناداته بهذا الاسم، وثانياً أنت مجنون. لن أذهب إلى أي مكتب لأحضر لك ملفاً منه».

«كما تريد شيلدون. كان من دواعي سروري التعامل معك. سأُعيد لك ممتلكاتك كما وعدتك. ولكني لا أضمن لك أنه سيكون قطعة واحدة». نظرتُ إلى وجهي في المرآة وكان الغضب يعتريني.

«حسناً. كيف سأفعل هذا؟ ولا أزال أريد قتلك عندما ينتهي كل هذا».

«سأُرسل لك رسالةً إلكترونيةً بالتعليمات في ساعاتٍ عدة. ستحتاج فقط لأن تقوم برحلةٍ قصيرةٍ في السيارة وتدخل المكتب، تُحْضِر الملف وينتهي عملك. هذا بسيط جداً، ألا توافقني الرأي؟»

«متى سأتحدث إلى تومي؟» شعرتُ بالعرق يتقطَّر من جبيني. وتساءلت بماذا ستفكر ميشيل وأنا لا أزال في الكراج.

«حالما تنتهي من هذه المهمة، رابط الاتصال سيكون جاهزاً. هل أخلفْتُ بوعدي لك من قبل؟» لم أُجِبْ. «انتظر تعليماتي في ساعاتٍ عدة شيلدون...» سمعتُ الصمت نفسه مرّة أخرى وعرفتُ أن المكالمة قد انتهت. لم أتفقد سجل المكالمات هذه المرة. خرجتُ من السيارة على مهلٍ، وفتحتُ الباب داخلاً غرفة الجلوس. كانت ميشيل تجلس على الأريكة والمحققان يجلسان على الكراسي المجاورة. أدار الجميع رؤوسهم نحوي عندما وصلتُ. أسرعتْ ميشيل نحوي وضمَّتني. اقترب مني أيضاً ستانتون وآدامز.

«أين كنت شيلدون؟» نظرتُ بإمعانٍ إلى الثلاثة. كانت أعين الجميع متجهةً نحوي. مسحتُ العرق عن جبيني.

«في مكان البارحةِ نفسه... ملعب البيسبول مرةً أُخرى».

«حاولنا الاتصال بك طوال النهار». كان آدامز ينظر إلي بريبةٍ وشكّ. حقاً لقد بدأتُ أكرهُ هذا الرجل. «لماذا كان هاتفك مغلقاً سيد سميث؟ ماذا لو حاول أحدهم الاتصال بك؟»

أخرجت هاتفي من جيبي وتأكدتُ من قوة إشارة التغطية. «كان مفتوحاً طوال اليوم».

«عثرنا على السيارة في غيابك عن المنزل». شعرتُ بأنفاسي تتسارع.

«أين؟» نظرتُ مباشرةً إلى ستانتون. كانت عينا آدامز على عيني.

«على بعد ميلين من هنا، مركونةً أمام أحد المنازل». شرح لي ستانتون.

«هل وجدتُم أي شيء فيها؟»

«لو كان هاتفك مفتوحاً لعرفت». ردّ آدامز بعنف.

«على رسلك جيري». قال ستانتون. تساءلت إن كانا يلعبان معي لعبة ما، ولكني صرفتُ النظر عن الفكرة بعد أن لاحظتُ صراحة ستانتون.

«كانت خاليةً إلَّا من هذه». اقترب ستانتون من حافة الطاولة وأمسك بنموذج لسيارةٍ خشبيةٍ صغيرةٍ. «هل تعرف هذا الأنموذج؟» مددتُ يدي وأمسكت به.

«نعم، إنها سيارة صنعتها عندما كنتُ صغيراً». مرَّرتُ أصابعي على السيارة. لقد صمَّمتُها كمشروعٍ مدرسيٍّ في المرحلة الثانوية. ونلتُ جائزةً على هذا التصميم. إنها أَحد مقتنياتي.

«والآن انظر إلى هذه». نظرتُ إلى الصورة التي كان آدامز يمسكها بيده، فرأيتُ السيارة في يد الخاطف. «لماذا لم تَقُل شيئاً عندما رأيتها في الصورة من قبل؟ ولماذا يكون شيءٌ كهذا بحوزة الخاطف؟»

لم أُجب. نظرتُ إلى السيارة فقط. تبدو كما كانت عليه عندما صنعتها. كنتُ أُنظِّفها مرة واحدة على الأقل كل عام، ودائماً تكون على خزانتي.

«كيف حصل عليها سيد سميث؟» سألني ستانتون. وأخذ السيارة من يدي.

«لا أعرف».

«هل أخذها تومي من قبل؟»

«لا... أبداً». أجابتْ ميشيل بسرعة. «تقصد أنّ هذا الرجل كان في منزلنا؟» كان الخوف بادياً على وجهها.

«ربما، إذا لم يكن السيد سميث يعرف شيئاً عن هذا». نظر كلاهما إليّ.

«ليس لدي أدنى فكرة».

«أتمنى لو أنك قلتَ شيئاً ما عن هذا عندما رأيتَ الصورة. ألهذا السبب كان ردُّ فعلك بتلك الطريقة الغريبة عندما رأيتها أول مرّة؟»

«لا، كان رد فعلي بتلك الطريقة لأني رأيتُ الرجل الذي اختطف ابني. ولم أنتبه إلى تلك السيارة». نظرتُ إلى السيارة مجدداً.

«أجد أنه من الصعب تصديق كلامك هذا». ردّ آدامز.

«وماذا عن اسم دوغلاس سورينسون، هل يعني هذا الاسم شيئاً لك؟» سأل ستانتون وهو يضع السيارة على الطاولة.

هززتُ رأسي نافياً. «لا، هل يجب أن يعني لي شيئاً؟»

«ليس بالضرورة، إنه الشخص الذي كانت سيارة الخاطف مركونةً أمام بيته». أمسك بيده قصاصةً ورقيةً صغيرةً. «وهذه جرى لصقها أسفل السيارة». أشار إلى السيارة. قرأتُ الاسم المكتوب على الورقة. كُتب عليها اسم دوغلاس سورينسون وتحته العنوان.

الفصل السادس

توجهتُ أنا وميشيل إلى الطابق العلوي وبقي الضابطان في الأسفل. مشينا إلى جانب غرفة تومي ونظرنا لا شعورياً لنرى إن كان فيها. لا زلتُ أتوقَّع أن أراه مستلقياً هناك وهو نائم، ولكنها فارغة.

«لماذا لا تحاولين أن تنامي قليلاً. سأبقى مستيقظاً في حال طلبنا أحدهم».

«هل تعتقد حقاً أن أحداً سيتصل بنا؟ ألم تقل الشرطة أنهم سيتصلون في أربع وعشرين ساعة؟» لم أُجِبْها. كنتُ أُفكر في مقطع الفيديو الذي رأيتُ فيه تومي. «شيلدون... شيلدون. هل أنت بخير؟»

أردتُ أن أُخبرها الحقيقة، ولكني لسببٍ ما لم أستطع. لا أريد أن أترك له فرصةً لإيذاء تومي. «لا، ميشيل، لستُ بخير. لا يمكنني أن أتحمَّل غيابه عنا». قرّبتني إليها وجلسنا على السرير.

«أعتقد أننا سنستعيده. أنا حقاً أعتقد هذا. وهذا ما يجعلني أتحمَّل. أرجوك لا تقلق بشأن المحققين. إنهما فقط يؤدّيان عملهما. إنهما يعرفان أنّا لا نعرف شيئاً عن هذا الأمر، أليس كذلك شيلدون؟»

أومأتُ «طبعاً لا. أستغرب كيف أنّ أنموذج السيارة أُخذ مني».

«لا أفهم هذا. أكره أن أعرف أن أحدهم كان في منزلنا. أعتقد أنه أخذها ليهزأ بنا أو شيء من هذا».

«لا أعرف ماذا يفعل. أكره هذا ميشيل». شعرتُ بالدموع تسيل على وجنتي، فمسحتْ ميشيل دموعي بيدها، وأنا مسحتُ لها دموعها. بقينا على هذه الحال ساعاتٍ عدة حتى تنبهتُ فجأةً إلى هاتفي الذي كان يرن في جيبي. نظرتُ إلى ميشيل، تبدو غارقةً في النوم على السرير. نهضتُ على مهلٍ وفتحتُ الرسالة الإلكترونية. إنها من المرسل نفسه مرّةً أخرى. كانت تقول: «مرحباً شيلدون. أتمنى أن تكون قد أمضيتَ ليلةً جيدةً. أريدك أن تذهب إلى جادة بيرش وود رقم ٤٨٨٤–الشقة رقم ٥٠٠. عندما تدخل إليها تتجه إلى المكتب الثالث من الجهة اليمنى وتبحثُ في الدرج الثاني من الخزانة الأطول للملفات، وتحضر لي الملف رقم ٢٣٩٩. من

المفترض أن يكون موجوداً في القسم الخلفي للدرج. المفتاح ورمز الدخول موجودان في صندوق التابلوه في السيارة. ستكون جائزتك مساويةً لجهودك».

دوَّنتُ العنوان بسرعةٍ على ورقةٍ صغيرةٍ، ونقرتُ «إنهاء» على هاتفي وأنا أعرف أن الرسالة ستختفي في الحال. لا أدري ما الأمر الذي سأتورط فيه هذه المرة. سأتسلل وأدخل مكتباً مغلقاً بعد ساعات. أعتقد أن هذا لن يكون تسللاً طالما أني أملك المفتاح ورمز الدخول، ولكنه على الأقل دخول دون استئذان. للحظةٍ تساءلتُ إن كان الأمر مجرَّد خدعةٍ للإيقاع بي وأنّ صفارات الإنذار ستنطلق عند دخولي المكتب، ولكني وضعتُ كل تلك الأفكار جانباً عندما مررتُ بجانب غرفة تومي. رأيتُ الساعة الرقمية في غرفته وكانت تشير إلى العاشرة والنصف مساء. لا أصدق أني سأفعل هذا. لا أعرف كيف سأفسر لآدامز خروجي في هذا الوقت المتأخر من الليل. لحُسن الحظ، لمَّا نزلتُ إلى الأسفل لم يكن أي من المحققين هناك، وجدتُ فقط ضابطين لم أرهما من قبل. اتجهتُ مباشرةً إلى باب الكراج عندما ناداني ضابطٌ قصير القامة ذو شعرٍ أشقر مقصوص.

«سيد سميث، طُلبَ مني أن أُسجِّل أسباب وأوقات دخولك وخروجك. هل يمكنك أن تخبرني إلى أين أنت ذاهب؟» إنه يبدو أصغر سناً من أقرانه، ربما تخرَّج في أكاديمية الشرطة حديثاً.

«أنا ذاهب لأُحضِر شيئاً لأتناوله. هل هذا ممكن؟» مددتُ يدي لأُمسِكَ بقبضةِ الباب.

«من أين؟» كان يحمل بيده قلماً وورقةً.

«لا أعرف. سأرى ما الأماكن التي لا تزال مفتوحة في هذا الوقت المتأخر من الليل. إن لم تلحظ ذلك، فأنا لم أتناول الطعام منذ أيام. هل هذا الاستجواب ضروري حقاً؟»

«إنها الأوامر سيدي».

«شكراً لك. سأتصل بك عندما أجد مكاناً ما». تلمستُ هاتفي في جيبي. ابتعد الشرطي الشاب مسرعاً. «عِمْتَ مساء». دخلتُ الكراج. شعرتُ بأن الطقس أصبح بارداً. دخلتُ السيارة، وفي الحال فتحتُ صندوق التابلوه. كنتُ متأكداً من وجود المفتاح وورقةٍ صغيرةٍ مكتوبٍ عليها رمز الدخول. كيف دخل إلى هنا من دون أن يراه أحد؟ هززتُ رأسي وأدرتُ السيارة متجهاً إلى مدخل منزلنا. اجتزتُ شارعنا ودخلتُ شوارع جانبية عدة على اليمين واليسار. بعد عشر دقائق،

أدركتُ أن لا أحد يلحق بي. توجّهت إلى جادة بيرتش وود. لا أعرف لماذا أفعل هذا، لكن قبعة تومي كانت في حضني. نظرتُ إليها وتابعتُ القيادة. دخلتُ طريق بيرتش وود. إنه طريقٌ تجاريٌ مزدحمٌ. تفقدتُ أرقام الأبنية، وبعد دقائق عدة توقفتُ أمام مبنىً تجاريٍّ يقع المكتب ضمنه. إنه أحد الأبنية القرميدية الفاخرة المبنية بإتقان، وتضم عادةً المحامين والأطباء والمحاسبين. لا أعرف أين أركن سيارتي، فقد كان المكان برمَّته مُظلماً. قُدْتُ السيارة إلى الجهة الخلفية من المبنى ووقفتُ في منطقةٍ قريبةٍ من الأشجار. لا أستطيع رؤية أي أبنية في الجهة المقابلة لذلك المبنى، على الرغم من معرفتي أنها قريبةٌ منه. حسناً فعلوا بجعل هذا المكان يبدو خاصاً على الرغم من أنه يقع في شارعٍ مزدحمٍ. أخفيتُ المفتاح في راحة يدي وخرجتُ من شاحنتي. إنه مبنىً هادئ جداً فيه أضواء عدة متباعدة، ومُضاءة فوق موقف السيارات. أعتقد أن هذا أمر غريب بالنسبة إلى مبنى معظم الناس فيه يعملون بانتظام لساعات متأخرة من الليل. نظرتُ إلى ساعتي وتذكرتُ أنها الحادية عشرة تقريباً من مساء يوم الجمعة، لذلك ربما يكونون قد ذهبوا إلى منازلهم على الشاطئ لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. تسللتُ عبر موقف السيارات حتى وصلتُ إلى بابٍ يبدو كأنه باب خلفي للمبنى. أدخلتُ المفتاح في قفل الباب فانفتح بسهولة على رواقٍ مظلمٍ. أصدر الباب صوتاً قوياً

عندما أُغلق خلفي. رأيتُ أضواء أجهزة الإنذار الحمراء والخضراء متوهجةً على الحائط على بعد خمس أقدام أمامي. لحسن الحظ، وجدتُ أيضاً مصباحاً كهربائياً في صندوق التابلوه. لا أعرف كيف يصل هذا الرجل إلى كل شيء. أتساءل لماذا يجعلني أقوم بهذا العمل. إن كان بارعاً في التسلل إلى هذا الحد، فمن الأفضل له أن يأتي هو لسرقة الملف ليلاً. أدخلتُ الرمز السري فانطفأتْ الأضواء الحمراء، أتمنى ألَّا يعني هذا أنه جرى استدعاء الشرطة. انتظرتُ عند الباب لدقيقةٍ تحسُّباً. اطمأننتُ ومشيتُ ببطءٍ إلى المدخل حتى وصلت إلى رواقٍ كبيرٍ فارغ. توجهتُ مباشرةً إلى المصعد. سعيدٌ لأنه يعمل إلى مثل هذه الساعة! ضغطتُ على الرقم خمسة وراقبتُ الأرقام وهي تُضيء في أثناء توجّه المصعد إلى الأعلى. استغرق المصعد عشرين ثانية ليدق جرسه ويفتح الباب على بهوٍ آخر، أوسع وأفخم من البهو في الأسفل. كان يضم ثلاث أو أربع آرائك جلدية باهظة الثمن وكراسي وأثاثاً من خشب الماهوغاني[1] في كل مكان. شعرتُ كأنّي في غرفة الجلوس في منزلي. اتجهتُ نحو مكتب الاستقبال، وحاولتُ فتح الباب الذي يؤدي إلى المكاتب الداخلية، إنه مقفل كما توقعتُ. فتحتُ الباب بالمفتاح الذي كان بحوزتي، حتى الآن

---

(١) شجرة استوائية أمريكية. المترجمة.

كل شيء يسير بشكل جيد. هذا لا يبدو سيئاً جداً، وسينتهي إلى استعادة تومي. أتمنى حقاً لو أني أخبرتُ أحدهم أين سأكون في هذه الساعة، فالمكان مخيفٌ جداً في هذا الوقت المتأخر من الليل، لكنني سأطرد هذه الفكرة من ذهني وأحاول إكمال مهمتي. لقد خدمتُ مدة أربع سنوات في الجيش برتبة ضابط باختصاص مشاة بعد تخرجي في الكلية. لكن هناك فرق كبير بين أن تكون ضابطاً وسط غابة مع مفرزة عسكرية بالعتاد الكامل، وأن تكون في مكتبٍ غريبٍ في وقتٍ متأخرٍ من الليل من دون أن يكون بحوزتك عصا أو أي سلاح على الإطلاق. عرفتُ أني في مكتب محامٍ من الاسم المكتوب على باب المكتب. إنه مبنىً تجاري يضمُّ عشرات الأسماء في عنوانه، لكنني لن أُزعج نفسي بقراءتها. أريد فقط أن أنفّذ مهمتي وأن أخرج من هنا بسرعة. على الرغم من خبرتي العسكرية، إلاّ أني لا أزال متوتراً قليلاً، لكن لا أعرف ما الذي يُقلقني أكثر طالما أنه يوجد كثير من الأشياء التي من الممكن أن تحدث. فمن الممكن أن تظهر الشرطة في أيّ لحظة، أو أن يهاجمني شخص ما في هذا الظلام. حاولتُ أن أضع كل هذه الأفكار جانباً عندما دخلتُ إلى البهو المفروش بالسجاد. عددتُ الأبواب حتى وصلتُ إلى الباب الثالث. حاولتُ فتحه. إنه مغلق. حاولتُ فتحه بالمفتاح الذي كان بحوزتي، لكن هذا لم ينجح. والآن ماذا يجب عليَّ أن

أفعل؟ يجب أن أخرج من هنا بأقصى سرعة. تسارعتْ نبضات قلبي. جربتُ المفتاح مجدداً من دون جدوى. نظرتُ حولي لأجد طريقةً ما لفتحه. إنه بابٌ خشبيٌّ سميكٌ له نافذة زجاجية ملونة. حاولتُ دفعه بقوةٍ بكتفي، لكنه لم يتزحزح. أتساءل لماذا لم يُعطني مفتاحاً لهذا الباب. أعتقد أنه ليس ضليعاً بكل شيءٍ كما يعتقد نفسه. تابعتُ دفعَ الباب بكتفي بقوة أكبر، ولكنه لم يتحرك، بدأت كتفي تؤلمني بشدة. سأستسلم، يستحيل أن أُعيد المحاولة مجدداً. لا أريد أن أكون سبباً في حدوث أي أذى لتومي، لذلك سأعود إلى البهو مرةً أخرى. أضأتُ المصباح الكهربائي، وبحثتُ في كل مكان يُمكن أن توضع فيه المفاتيح: على المكاتب، تحت الطاولات، ولكني لم أجد شيئاً. يوجد كرسي خشبي صغير إلى جانب مكتب الاستقبال سآخذه. إنه ثقيلٌ جداً أعرف أنّ ما سأقوم به خطأ، ولكني على أيّ حال سأحمل الكرسي إلى المكتب، وأُلقيه عبر النافذة الزجاجية للباب. تناثر الزجاج في كل مكان. شعرتُ بألمٍ حادٍ، وسيلٍ دافئٍ بين إبهامي وأصابعي. أمسكتُ بقميصي ولففتُ به يدي، ولحسن الحظ توقف نزيف الدم. لا أريد أن يبقى أي أثرٍ له على الأرض. وجهتُ الضوء إلى يدي، يبدو القميص مفيداً في منع وصول الدم إلى الأرض. مددتُ يدي بحذرٍ عبر النافذة المكسورة وفتحتُ الباب. في الداخل وجدتُ مكتباً كبيراً، وكرسيين فاخرين

مصنوعين من الجلد، وإلى يمين المكتب هناك خزانتان للملفات، إحداهما أصغر من الأخرى. اتجهتُ إلى الدُرج الصحيح في آخره وأنا متأكدٌ من وجود الملف المطلوب هناك. أخرجتُ الملف الضخم، ووضعتُه تحت سترتي، وتوجهتُ إلى الباب، فجأةً استدرتُ حولي وتذكرتُ شيئاً تعلَّمتُه من مشاهدتي كثيراً من الأفلام والمسلسلات البوليسية. مسحتُ قبضة خزانة الملفات والباب، وكل شيءٍ لمسته في المكتب. أشعر بالفخر بعملي هذا. أغلقتُ الباب المكسور بيدي المغطاة بالسترة. نظرتُ في أرجاء المكان مراتٍ عدّة، وعُدتُ من حيث أتيتُ وأنا أدوس الزجاج المحطَّم على أرض البهو، ومسحتُ كلَّ شيءٍ لمسته مرةً أُخرى. لا أعرف ماذا فعلت، لكني أسرعتُ واتجهتُ إلى المصعد وأنا أمسح كلَّ شيءٍ أمرُّ به. لا أُصدق أني فعلتُ بهذا، خاصةً أني كسرتُ الباب، ربما ما كان لأحد أن يُلاحظ شيئاً لو أنني لم أفعل هذا. أُصِبْتُ بنوبةٍ من الجنون، أردتُ أن أضربَ الحائط بقوةٍ ولكني لم أُرِدْ إحداث تخريب آخر. لذلك اتجهت إلى البهو الرئيسي وتابعتُ مسح كل شيءٍ أُصادفه وأنا أخرج. ركضتُ نحو السيارة بأقصى سرعة. جلستُ خلف المقود وأدرتُ المحرك، أجبرتُ نفسي على القيادة بحذرٍ ووعيٍّ حتى رأيتُ محل «ماكدونالدز» يفتح على مدار الـ ٢٤ ساعة فتوقفتُ عنده. أوَّل شيءٍ فعلته كان تفقد يدي المجروحة، لم يكن الجرح

سيئاً جداً، لا أعتقد أنه في حاجة إلى غرزٍ أو أي شيءٍ، ولكني يجب أن أُنظِّفه. دخلتُ المطعم وتوجهتُ مباشرة إلى الحمام، لحسن الحظ كان خالياً، لذلك أخذتُ وقتي في تنظيف يدي. ووضعتُ قطعة من ورق التنشيف عليها لأتأكَّد من أنَّ النزيف توقف، يبدو أنه كذلك. وبعدها قررتُ أن أطلب شيئاً لأتناوله. طلبتُ تشيز بيرغر وبطاطا، وجلستُ إلى طاولةٍ في الخلف لأتمكَّن من رؤية سيارتي. لمَّا أنهيتُ طعامي رنَّ هاتفي. لستُ في حاجةٍ إلى النظر إلى اسم المتصل لأعرف أنه هو. ضغطتُ على زر الرد.

«عملٌ رائعٌ شيلدون. آسف بشأن المفتاح الإضافي الذي احتجته. اعتقدتُ أن المفتاح الأساسي الذي بحوزتك سيكون كافياً، ولكن كما أرى فقد تداركتَ الموقف وعالجْتَ الأمر. لكن ليس بالطريقة نفسها التي كنتُ سأُعالجُه بها لو كنت مكانك، ومع ذلك حصلتُ على الملف». للحظةٍ نسيتُ أنه يوجد أُناسٌ حولي وبدأتُ أصرخ ولمَّا رأيتُ الوجوه تتجه نحوي توقفتُ.

«والآن دعني آخذ تومي. لقد فعلتُ ما طلبتَه مني».

«لقد وعدتُك بأنك ستحصل على مكالمةٍ معه. وسألتزم بوعدي. تذكَّر أنَّ كلمتنا هي أهم ما نملك».

قربتُ الهاتف من أُذني وأومأت. «اسمع، أنا لا أهتمُّ بكلمتك أو كلمتي أو كلمة أي شخصٍ على الإطلاق، أريد فقط أن يعود تومي. هذا يكفي. لقد فعلتُ ما طلبته مني».

«كما تشاء. تذكَّر فقط أن ممتلكاتك لا يعرف لماذا هو بحوزتي، وأُفضل أن يبقى كذلك حتى لا أُزعجه».

«فقط دعني أتحدث إلى ولدي».

«استعد». سمعتُ صوت إنهاء المكالمة وتلفَّتُّ حولي. أعرف أنني لن أرى تومي ولكن ربما أراه. شعرتُ بهاتفي يهتزُّ فنقرتُ زر «قبول» على الشاشة فرأيتُ تومي ينظر إلي. إنه في الغرفة نفسها التي رأيته فيها من قبل، ولكنه هذه المرة ينظر إليَّ مباشرةً.

«أبي... هل أنت بخير؟»

«أنا بخير تومي. كيف حالك؟» شعرتُ بدوارٍ في رأسي. لا أعرف ماذا أقول.

«لا تبدو جيداً أبي. هل أنت متأكد أنك على ما يرام؟» نظرتُ إلى وجهي في النافذة الصغيرة التي تظهر في الزاوية العلوية اليمنى للشاشة، الصورة التي يراها، إنه على حق لا أبدو على ما يرام.

شعري مشعث، لم أحلق ذقني منذ أيام، وتوجد انتفاخات في وجهي بأكمله وليس فقط تحت عينيَّ.

«أنا بخير تومي. متعبٌ قليلاً فقط. اسمع، سآخذك قريباً. فقط ابقَ مكانك». رأيته يهزُّ برأسه ويتلفت حوله. صوّرتْ الكاميرا الغرفة بأكملها. رأيتُ فيها علب البيتزا، وزجاجات الكولا، وكل وسائل الترفيه الأخرى التي رأيتها من قبل.

«حقاً أبي، المكان ليس سيئاً جداً. أعتقد أنه يمكنني أن أتدبر أمري. أريد أن أجعلكما - أنت وأمي - سعيدين بي».

«تومي نحن سعداء بك ونحبك كثيراً ونفتقدك كثيراً. أعدك بأنني سأُخرِجُك من هناك».

«حسناً أبي. خُذْ وقتك. أترى، لديَّ هنا كل ما أُريده. كنتُ فقط أتمنى لو كان بإمكاني أن أتصل بكما أو أراسلكما بين الحين والآخر». لا أفهم لماذا هو هادئٌ هكذا. يبدو أنه لا يعرف حتى إنه رهينة. حدَّقتُ بوجهه، بملامحه التي رأيتها وأحببتُها فيه منذ ولادته. لم يتغيَّر كثيراً. لا يزال ذلك الطفل الصغير الذي تركناه أنا وميشيل لأول مرة في روضة الأطفال منذ سنوات عدة وبكينا منذ اللحظة التي تركناه فيها حتى وصلنا إلى السيارة.

«أين أنت الآن؟ يبدو مثل مطعم ماكدونالدز». ابتسم. قررتُ أن أستمرَّ في هذا مهما حصل وابتسمتُ له.

«إنه ماكدونالدز. إنه أفضل مكانٍ لتناول الطعام يمكن أن تجده في هذا الوقت المتأخر».

«أين أمي؟»

«إنها في المنزل. إنها متعبة».

«أبي هل أنت متأكد من أنكما بخير؟»

أومأتُ برأسي وكنتُ على وشك قول شيءٍ ما له عندما انطفأتْ شاشة الهاتف. ألقيتُ بالهاتف على الطاولة، ونهضتُ عن الكرسي لأرمي ما بقيَ من طعامي. فجأةً لم أعُدْ أُحسُّ بالجوع على الإطلاق. عُدْتُ إلى سيارتي وعندها بدأ هاتفي يرنُّ مجدداً.

«كيف كانت مكافأتك شيلدون؟»

«اسمع، أياً كانت لعبتُك القذرة فمن الأفضل لك أن تنتهي سريعاً. ماذا قُلْتَ لتومي؟» قُلْتُ هذا وأنا أُخرِج السيارة من موقف السيارات.

«اهدأ يا شيلدون. كما رأيت فأنا أعتني بالأشياء التي بحوزتي وليست ملكاً لي. طالما أنك تتبع تعليماتي، فكلُّ شيءٍ سيعود إليك

كما وعدتك. كلمة واحدة لأيٍّ كان عن أي شيء وستنتهي شراكتنا، وأنت تعرف ماذا يعني أن تنتهي شراكتنا».

«أنت تُفقدني صوابي».

«والآن استمتع بليلتك وسأتصل بك قريباً لنتفق على مغامرتك القادمة، وأعدك بأن جائزتك ستكون أكبر». انقطع الاتصال.

قُدْتُ السيارة على الطريق السّريع على الرغم من أنَّ الوقت كان متأخراً وعُدْتُ إلى المنزل. أتمنى ألَّا أُصادف أحداً من رجال الشرطة حتى لا يسألوني مجدداً أين كنت، ولكن على الأقل هذه المرة تومي بخير. عليَّ أن أجد خطةً لاستعادته بسرعة.

الفصل السابع

على الرغم من كل ما حصل ليلة أمس، تمكنتُ من النوم فعلاً لساعاتٍ عدة. وحتى الضابط الشاب لم يستجوبني عندما عُدْتُ، ربما لأن تعابير وجهي الغاضبة جعلته يتراجع عن هذا. نظرَ إليَّ فقط ودوّن شيئاً ما في دفتره وأنا أصعد إلى الطابق العلوي. كانت ميشيل نائمة ولم تستيقظ وقتما استلقيتُ على السرير. تناولنا فطورنا المُعتاد هذا الصباح. كنا جالسَين في المطبخ نحتسي القهوة. لانزال لا نتحدث كثيراً إلى بعضنا بعضاً. حقاً ماذا يمكنك أن تقول حينما يكون طفلك مخطوفاً، ولكني أستأنس برفقتها وأعرف أنها تشعر بالشيء نفسه معي. لم أخبرها بأي شيءٍ حتى الآن. أشعر بالذنب كثيراً لأنني لم أخبرها شيئاً عن تومي، ولكني أعتقد أنها كانت لتوافق على قراري هذا لو أنها علمت بأن هذا سيكون سبباً في حياة أو موت تومي. نظرنا إلى آدامز وستانتون وهما يدخلان المطبخ ويجلسان معنا إلى الطاولة.

«قهوة؟» سألتُهما. فهزَّا رأسيهما موافقين.

«ربما لدينا فرصة أو على الأقل تقدّم ما يساعدنا في إيجاد تومي». قال ستانتون منحنياً إلى الأمام قليلاً. «البارحة كانت هناك حادثة تسلل إلى مكتب دوغلاس سورينسون».

«من هو دوغلاس سورينسون؟» سألتْ ميشيل.

«أتذكرين المنزل الذي وُجِدَتْ أمامه السيارة ومعها الاسم المكتوب تحت تصميم السيارة الخاص بزوجك؟» تذكرتُ العنوان المطبوع.

«وماذا يعني هذا؟» سألتْ ميشيل.

«لا نعرف تماماً، خاصةً، على ما يبدو أن الشيء الوحيد الذي سُرِقَ هو ملف. ونحاول الآن معرفة ماذا يحوي هذا الملف». فجأةً شعرت بغصة في حلقي.

«هناك شيءٌ آخر، فقد سرق أحدهم مبلغ مليون ونصف المليون دولار من سورينسون، لذلك لا بد من وجود علاقة بين سورينسون هذا والمكان الذي وُجِدَتْ فيه السيارة. لا يُمكن أن تكون مصادفة». شربتُ كمية كبيرة من القهوة لكي لا أتقيأ.

«أين يعمل سورينسون؟» سألتُ.

«في مكتب للمحاماة في جادة بريتش وود». شعرتُ بأنني سأنهار وأعترف في أيِّ لحظة فنهضتُ عن الطاولة مسرعاً.

«هل أنت بخير سيد سميث؟» سألني ستانتون.

«أريد فقط المزيد من القهوة». أتساءل إن كانوا يعرفون أنني أنا الفاعل. تقطَّر العرق من جبيني. لا يمكنني أن أدعهم يرونني بهذه الحال. تظاهرتُ بأني مشغول بآلة تحضير القهوة.

«الخبر الجيد هو أن المكتب مليء بكاميرات المراقبة، وسنحصل على نسخة من التسجيلات قريباً». الآن أنا متأكد من أنهم يتلاعبون بي. إنها حيل الشرطة القديمة. هل عليَّ أن أهرب؟ سأبقى حتى أسمعهم ينهضون من أماكنهم.

«سنتصل بكما حالما نتوصل إلى أي شيء. أردت فقط أن أبقيكما على اطلاع على كل ما يحدث لتتأكدا من أننا نعمل ما بوسعنا في هذه القضية». توقف. «بالمناسبة، ماذا أصاب يدك سيد سميث؟» نظرتُ إلى يدي. إنها ملفوفة بضمادات عدة كنت قد وجدتها في حمامنا الليلة الماضية. شعرتُ أن الأدرينالين ازداد في أوردتي ما جعل قلبي يخفق بشدة.

«أوه، هذه؟» أشرتُ إلى يدي. «لقد أَذيْتُ يدي في الملعب بالأمس من الإحباط». غطيتُ يدي المصابة باليد الأخرى بلطفٍ. يبدو أنهما اقتنعا بجوابي وغادرا المطبخ معاً. عُدْتُ إلى الطاولة وجلستُ بالقرب من ميشيل.

«هل يدك بخير شيلدون؟» سألتني وهي تلمس الضماد. «أعتذر لم ألحظها من قبل».

«إنها بخير، لقد جُرحَتْ بشيءٍ ما في الملعب».

«لماذا تستمر في الذهاب إلى هناك؟»

رفعتُ كتفيَّ. «لا أعرف، إنه فقط يجعلني أفكر بتومي».

«أتمنى أن يكون لحادث السرقة هذا علاقة باختطاف تومي. ربما يتمكنون من رؤية الفاعل في تسجيلات كاميرات المراقبة».

أريد أن أخبرها بأنني أنا الشخص الذي سيظهر على الكاميرا، ولكن بدلاً من ذلك أومأتُ برأسي. «لنأمل هذا. من الممكن أن نستفيد من حادثة السرقة».

«سيأتي والداي غداً للبقاء إلى جانبنا. استيقظتُ ليل أمس لأجيب عن اتصالهما. لم تكن أنت في المنزل. قال لي الضابط إنك خرجتَ لتناول شيءٍ ما».

لمستُ يدي مجدداً. «ذهبتُ إلى مطعم ماكدونالدز. لم أُدرك كم كنت جائعاً حتى وصلتُ إلى هناك». ارتشفتُ بعض القهوة. «أمرٌ جيدٌ أن يأتي والداكِ إلى هنا. لقد تحدث إليَّ والدايَ أنا أيضاً أول أمس وقالا إنهما سيأتيان إلى هنا إذا احتجنا إلى ذلك. ولكنني طلبتُ منهما أن يتريثا قليلاً».

هزتْ ميشيل رأسها مؤيدةً الفكرة. «ربما هذا أفضل. سأُجهز غرفة الضيوف قبل أن يصلوا إلى هنا». أمسكتْ يديَّ بيديها. «أعتقد أنه بأمانٍ في مكان ما بالقرب من هنا. أُحسُّ بهذا شيلدون. حقاً أُحسُّ بهذا. أعتقد أنني سأشعر به لو أنه كان غير هذا».

«وأنا أيضاً أعتقد بأنك كنت ستشعرين لو أنه بحالٍ سيِّئ. أنا متأكد من أننا سنستعيده قريباً. يبدو أن الشرطة تعمل ما في وسعها». وقفتُ بهدوءٍ وأخذتُ رشفةً أخيرةً من قهوتي. «سأستحم وأخرج لبعض الوقت».

«حسناً. شيلدون، أحبك».

«وأنا أيضاً أحبك، ميشيل». مررتُ بغرفةِ الجلوس، وصعدتُ الدرج. لم أنظرْ حتى لأرى رجال الشرطة الموجودين في منزلنا. دخلتُ الحمام وتقيأتُ. لا أُصدِّق أنني لم أُخبر ميشيل أنَّ ولدنا على

قيد الحياة وبخير، وأنه ليس لديه أدنى فكرة عمَّا يجري حوله. لا أعتقد حتى إنه يعرف أنه في خطر. لا أدري كم من الوقت بقيتُ في الحمام، ولكنني شعرتُ بأنني في حالٍ أفضل والماء الساخن ينساب على جسدي. كأنّ كلَّ ذنوبي ومخاوفي قد انجلتْ بالماء وخرجتْ من جسدي. أخيراً، خرجتُ عندما أصبح الماء بارداً. مشيتُ في الممر. أسمع أصوات ستانتون وآدامز يتحدثان إلى ميشيل في الأسفل عن أمرٍ متعلقٍ بكاميرات المراقبة. أتساءل إن كان عليَّ أن أعترف الآن. نظرتُ إلى النافذة. لا أعرف ما الذي سأقوله لهم عندما يواجهوني بالأمر. لا يمكنني إخبارهم الحقيقة لأن هذا سيُعرِّض حياة تومي للخطر. ولكن أيضاً إن لم أخبرهم فسأذهب إلى السجن ولن أتمكن عندها من استعادة تومي. لا أعرف ماذا سأفعل. جلستُ على سرير تومي لفترة، فوجدتُ خطةً للخروج من هذا المأزق. قررتُ أن أعترف عندما تواجهني الشرطة بأني كنتُ أتقصّى عن دوغلاس سورينسون بنفسي. توجهتُ إلى الأسفل وأنا أشعر أني بحالٍ أفضل. لمَّا دخلتُ غرفة الجلوس رأيتُ ميشيل جالسةً على الأريكة والقلق بادٍ عليها. لا بدَّ أنها عرفت أنني أنا من كان في تسجيل الفيديو. كان ستانتون وآدامز يقفان في الجهة الأخرى من الغرفة قرب شاشة التلفاز وهما يتحدثان في هاتفيهما. جلستُ قرب ميشيل ولكنها لم تنظر إليَّ

حتى. هذا ليس مؤشراً جيداً. أخيراً اقترب منا ستانتون. لا يبدو مسروراً. ربما عليَّ أن أعترف بالحقيقة. جلس إلى جانبي.

«أنهيتُ للتو اتصالي مع الفنيّ المختص لدينا لكن الأخبار ليست جيدة». شعرتُ بأنَّ معدتي بدأت تتخبَّط. «لقد حُذفَت التسجيلات بأكملها».

«ماذا؟ أنت لم ترَ التسجيلات؟» أخذتُ نفساً عميقاً.

هزّ ستانتون رأسه نافياً.

«هذا أمرٌ سيّئٌ شيلدون». قالت ميشيل «هذا يعني أننا لم نقترب قط من معرفة الشخص الذي أخذ تومي».

جلستُ وأنا لا أُصدق. «كيف فعل هذا؟» فكرتُ بصوتٍ عالٍ.

«هذا ما نحاول معرفته. حُذفَتْ اللقطات جميعها. ساعتان تقريباً من التسجيلات، كانت موجودة أيضاً على مُخدِّم الأمان الاحتياطي وحُذفت». قال ستانتون.

«تماماً مثل إجازة السَّوق». قلتُ.

«نعم، تماماً. أياً كان هذا الشخص فأنا لم أرَ مثل هذا الاختراق من قبل. أعتقد أننا في حاجةٍ للبحث عن تفاصيل أكثر عن سورينسون دوغلاس. أظن أنه مفتاح الحل لهذا كله».

«من هو سورينسون؟»

«إنه محامٍ بارع تُوكَلُ إليه معظم القضايا المعقدة. كان مدّعياً عاماً في الجنوب لسنواتٍ عدّة، ولكن بعد سرقة المليون ونصف المليون دولار أعتقد أن كل ما يحدث يتعلق بقضية يعمل عليها حالياً». قال هذا ثم نظر إلى مدونته. «بطريقة ما سُحِبَ المال من الحساب المصرفي لأحد موكليه واختفى المبلغ. لذا فرجال الشرطة يتفقّدون كل البنوك المحلية للاستعلام عن أيّ عملية إيداع لمبلغٍ كبيرٍ، لا بدَّ أننا سنصل إلى شيءٍ ما عاجلاً أم آجلاً». شربْتُ بعض القهوة. «لا أُصدِّق أنهم لم يتصلوا بنا».

«ماذا ينتظرون؟» نظرتُ إلى ميشيل.

«أتمنى لو كنا نعرف. ربما تساعدنا وكالات الأنباء قليلاً. أعتقد أنّ علينا أن نُعيد المحاولة مرةً أُخرى».

أومأتُ أنا وميشيل برأسينا موافقين على الاقتراح. «دعنا نفعل هذا». قالت ميشيل.

«سأتصل بنورين. من المُفيد أن يعرف الناس أنه ما زال مفقوداً. من المُحتمل أنه أُخذ إلى مكان بعيدٍ وحُجِب عن الأنظار». في الحال

أَشحتُ بنظري عنه. «صحيح، كيف حال يدك اليوم؟» نظرتُ إليها. كنتُ أضع ضماداً كبيراً واحداً فقط عليها.

«إنها أفضل بكثير».

«كنْ حذراً. لا نريد لك أن تُصاب بأيّ أذىً». أومأتُ برأسي. «حسناً، لماذا لا أفعل هذا الآن؟ سأُعاود الاتصال بكما. لا تيئسا».

«أبداً» أجابتْ ميشيل وهي تشدُّ على يدي الأخرى. غادر المحققان بعد دقائق عدة. وقفتُ واسترخيتُ قليلاً.

«سأعود بعد قليل».

«إلى أين ستذهب الآن؟»

«لا يمكنني الجلوس فقط والانتظار هنا. يجب أن أخرج في حال...»

«في حال ماذا؟» نظرَتْ إليَّ باستغراب.

«لا أعرف. فقط أريد أن أخرج».

«حسناً. لكن كنْ حذراً هذه المرَّة». مسّدتْ لي ضماد يدي. شعورٌ جيّد أن تكون في الخارج مجدداً. لقد بدأتُ حقاً أكره البقاء في المنزل. من الصعب جداً أن أرى ميشيل ولا أُخبرها أنّ تومي بخير، ولكني لن

أسمح بوجود أيِّ فرصة لإيذائه. لا بدّ أنه قد وضع أجهزة للتّنصت في المنزل، ومن يدري ماذا غيرها. لا أزال أشعر بالصدمة بعد مكالمته الأخيرة لي عَقِبَ تسللي إلى مكتب المحامي الليلة الماضية. كنتُ متأكداً من أنني سأتورّط في مشكلة ما ولن أتمكن بعدها من استعادة تومي. أتساءل إن كان يلعب معي لعبةً ما، ومهما فعلْتُ فلن يعود تومي إلى المنزل. جلتُ جولتي المعتادة في الجوار لأتأكّد من أنّ لا أحد يتبعني. حتى إني توقفتُ ونظرتُ أسفل السيارة لأتأكّد من عدم وجود جهاز GPS لتحديد المواقع. لا أعرف تماماً كيف يبدو شكله، ولكني لم أجد أي شيء في غير مكانه لذلك تابعتُ طريقي. قررتُ أن أذهب إلى مكتبي لأغيِّر المشهد المُعتاد. عادةً أُفكِّر بشكلٍ أفضل في مكان عملي. توقفتُ في موقف السيارات. لحسن الحظّ، اليوم هو السبت لذلك لا يوجد كثير من السيارات هنا. فتحتُ الباب بمفتاحي وتوجهتُ إلى مكتبي. شعورٌ غريبٌ أن أتغيّب عن العمل أسبوعاً كاملاً. عادةً لا أُراكِم أعمالي. لا أحبُّ الذهاب في عطلةٍ لأكثر من يوم أو يومين، لأني لا أنام جيداً، ودائماً أنتظر العودة إلى المنزل. ميشيل مثلي أيضاً، نادراً ما تذهب إلى أي مكان. فتحتُ باب مكتبي، وأوّل شيءٍ لاحظتُه كان ضوء الفلاش الأحمر على هاتفي الذي سبّب وهجاً غريباً في الغرفة. متأكد من أنّ لدي آلاف الرسائل التي انتظرت طويلاً

ومشكلة المُخدمات. لا أعرف ما هي حالتها الآن، ولستُ متأكداً إن كنتُ أريد أن أعرف. لا أُفكِّر في العودة إلى روتين العمل الطبيعي. طالما أن تومي مفقود، لا يمكنني أبداً أن أعمل وأتصرَّف وكأنَّ كل شيءٍ على ما يُرام. فجأةً شعرتُ بالدوار وبدأ رأسي يؤلمني. جلستُ إلى مكتبي وتركتُ دموعي تنهمر. أُريدهُ أن يعود إليّ بشدة. أمسكتُ صورتنا الأسريَّة التي كنتُ أضعها على رفٍّ خلف مكتبي وتشبّثتُ بها قدر ما أستطيع. لكني توقفتُ عندما رأيتُ حذاء تومي الرياضي مُعلقاً على ظهر أحد الكراسي في مكتبي. لا أعرف كيف وصل إلى هنا. كان في السيارة آخر مرّةٍ تفقدته فيها. مسحتُ دموعي بسرعة والتقطْتُه. إنه له فعلاً. كيف حدث هذا؟ لا أُصدق ما أرى. من يكون هذا الشخص، ولماذا يفعل هذا بنا؟ ما الذي فعلناه لنستحقَّ كل هذا؟ وضعتُ الحذاء على مكتبي عندما سمعتُ صوتاً في الخارج. ثمّة شخصٌ ما هناك. لوهلةٍ تخيّلتُ أنه الخاطف حتى رأيتُ راندي، المدير التنفيذي للشركة، وهو يختلس النظر من زاوية الباب.

«مرحباً شيلدون، هل من أخبارٍ عن تومي؟» دخل من الباب. كان يرتدي بنطال جينز وبلوزة. بدا مختلفاً جداً عما يبدو عليه عادةً في بذته الرسمية الداكنة. عُمره يزيد عن الخمسين عاماً، لكنه يبدو في الخامسة والثلاثين بشعره الغامق المصفّف وشكله الأنيق.

«لا شيء جديد». هززت رأسي. وأنا أُمسك بالحذاء

دخل راندي وجلس على الكرسي الذي كان الحذاء معلقاً عليه. «لا يفترض بك أن تكون هنا الآن. خُذْ وقتك رجاءً».

«أحتاج إلى فعل شيءٍ آخر غير الانتظار في المنزل». نظرتُ حولي إلى المكتب. لم أَلْحَظْ أنه متّسعٌ هكذا من قبل. يحوي فقط صوراً أسريَّة خلف مكتبي، وبعض الكراسي؛ وجدرانه عارية.

«أَلَمْ يجدوا أي أثرٍ له بعد؟ كنتُ أتتبع الأخبار، ولكنهم لم يقولوا كثيراً عن هذا مؤخراً». نظرتُ إلى الحذاء. كانت كتل الطين متجمعةً أسفله من التمرين في تلك الليلة. لكني شعرتُ أن هذا حدث قبل مدة طويلة.

«البارحة جاء إلى هنا عدد من رجال الشرطة ليسألونا إن كنا نعرف أي شيء عن الحادثة، ولكن حسب ما علمتُ، لا أحد هنا يعرف أي شيء». أعتقد أن ستانتون وآدامز بحثا هنا أيضاً ووصلا مجدداً إلى نهاية مسدودة. أتساءل إن كان الحذاء هنا عندما جاؤوا.

«هل دخلوا إلى هنا؟»

«إلى مكتبك؟» أومأتُ له بنعم. «أعتقد هذا. بقوا لمدةٍ قصيرةٍ فقط». نظر إلى الأسفل. «أتمنى لو أن هناك شيئاً يمكننا فعله.

أعلم أن كثيراً منا يوزّع ملصقات عليها صورة تومي. كنتُ أتجوّل قريباً هنا أبحث عن أي شيء يساعدنا».

«أنتم أشخاصٌ رائعون».

«ينفّذ فريقك بعض الأشياء على الإنترنت. أعتقد أنهم أنشؤوا موقعاً خاصاً بتومي يُدعى "findtommy.com" ولكني لم أرَه بعد، أعتقد أنه مليء بالصور والأشياء عن تومي». حاولتُ أن أبتسم. «لقد تمكنوا من إزالة الفيروسات من كل المُخدمات. لقد عملوا لفتراتٍ طويلة حتى تمكنوا من عمل ذلك. إنهم يقفون إلى جانبك فعلاً».

«إنهم أشخاصٌ بارعون». نظرتُ إلى شاشة الحاسوب الموجودة على مكتبي، التي كانت جزءاً كبيراً من حياتي، أمّا الآن فهي مجرّد شاشةٍ داكنةٍ قابعةٍ على المكتب. رأيتُ راندي يقف. اقترب مني وربّتَ على كتفي.

«تحلَّى بالصبر وسنجده لك، أعدك». أومأتُ برأسي وهو يخرج ببطء. شغَّلتُ الحاسوب ودخلتُ إلى موقع "findtommy.com". إنه تماماً كما قال راندي. يوجد فيه ما يقارب العشرين صورة لتومي، ولقاءاتي التلفزيونية أنا وميشيل، التي كنا نتوسل فيها إلى الخاطف

بأن يُعيده إلينا. فيه صورة للمحقق ستانتون مع رقم هاتفه. بدأتُ أفتح صور تومي، وأخذتُ أتأمل وجهه وأتخيل أنني أتحدث إليه في الحقيقة. فتحتُ صورة يرتدي فيها قبعة البيسبول وكاد أن يُغمى عليَّ عندما رأيتُ صورة كرتونية لجثة تومي ممددةً في الغرفة نفسها التي كانت في مقطع الفيديو، ورأسه مفصولٌ عن جسده.

الفصل الثامن

غادرتُ مكان عملي واتصلتُ مباشرةً بجيم وبريان خبيرَي الإنترنت لدي. اتفقنا أن نلتقي في «ستاربكس»[1]. جلستُ إلى إحدى الطاولات أتناول كوباً من القهوة الساخنة وأنتظرهما، عندها بدأ هاتفي يهتزُّ. نظرتُ إليه فرأيت رسالة نصية من الرقم الخاص. قرأت الرسالة بسرعة كان يخبرني فيها أنه سيتّصل بي في وقتٍ لاحقٍ ليُخبرني عن مهمتي الأخيرة. أتساءل ماذا يعني هذا. قرأتُ الرسالة مجدداً، أثناء ذلك سمعتُ أحدهم يناديني باسمي. دخل جيم وبريان المحل وعانقاني ثم أطلعتهما على كل التطورات وشكرتهما على الموقع الإلكتروني الذي صمّماه. راقبتهما وهما يقفان في الدور ليطلبا شيئاً يشربانه، أسـرعتُ إلى قراءة الرسالة مجدداً ولكنها حُذفت.

---

(١) مقهى محلي المترجمة.

«شكراً لكما على حضوركما». جلسا إلى جانبي. أشعر أنهما غير مرتاحين لوجودهما في هذا المكان.

«أهلاً بك في أي وقت شيلدون». قال جيم هذا وأخذ رشفةً من فنجانه.

«إذاً، أخبراني عن الموقع. من صمَّمه؟»

هزَّ بريان رأسه. «أنا وضعتُ التصميم الأولي، وجيم أضاف له المحتوى. ونحدِّثه كلما سنحتْ لنا الفرصة. أصبح لدينا أكثر من ألفي متابع. أتمنى حقاً أن يساعدنا هذا. هل قرأتَ أياً من التعليقات المكتوبة في الأسفل؟»

أومأتُ برأسي. «لا، لم أصل إلى ذلك بعد. لا يمكنني الانتظار لأُلقيَ نظرةً عليها».

«لدينا فريقٌ رائعٌ هنا. هناك كثير من الناس المهتمين حقاً بهذه القضية شيلدون». شرب بريان رشفةً أُخرى.

حاولتُ أن أبتسم، وأخرجتُ هاتفي وتصفحتُ الموقع. انتظرتُ حتى تمَّ تحميل الصفحة بشكلٍ كاملٍ ثم فتحتُ قسم الصور. نقرتُ على صورةٍ لتومي يرتدي فيها قبعة البيسبول، وبدلاً

من أن تظهر الصورة ظهرت لي صفحةٌ بيضاءُ كُتِبَ عليها الكلمات التالية: «افعل ما أقوله لك». كانت مكتوبة بأحرفٍ داكنة كبيرةٍ. أدرت الهاتف نحوهما ليتمكنا من رؤيتها. بدتْ نظرةُ الارتباك على وجهيهما كالنظرة القلقة التي تبدو على وجه التقني المختص عندما يرى شيئاً ما من غير المفروض أن يظهر على الحاسوب.

«كيف وصلتَ إلى هذا؟» قال جيم هذا وأمسك الهاتف بيده.

«فقط نقرتُ على صورةٍ لتومي يرتدي فيها قبعة البيسبول». شاهدْتُه ينقر على الشاشة مرات عدة ثم أعاد الهاتف لي فرأيتُ الشاشة نفسها، لكن هذه المرة كانت مليئة بإشارات الاستفهام.

«بحقِّ السماء ماذا يجري؟» أمسك بريان الهاتف وحدَّث الشاشة. أدار الهاتف نحونا لنتمكن جميعنا من رؤيته، وشاهدنا صورة تومي وهي تُحمَّل مُجدداً بشكلٍ صحيحٍ.

«كيف يُمكن لهذا أن يحدث؟» سألتُ. وأنا أحدِّق بوجه تومي تحت القبعة. شعرتُ بالسعادة عندما رأيتُ ابتسامته المائلة وشعره المنسدل على جبينه.

«هذا الموقع مُؤَمَّن. فقط جيم وأنا يمكننا دخوله».

أخذ بريان الهاتف وأَمعنَ النظر فيه للحظات.

«ما الأمر؟»

«إشارات الاستفهام... ظهرتْ على أحد المُخدمات في العمل عندما كنّا نُعالج مشكلة الفيروسات. لكني افترضت أنها جزء من الفيروس، لذلك لم أُعِرْها اهتماماً كبيراً، ولكن مع هذه الآن». فجأةً شعرتُ بأني سأتقيأ القهوة التي شربتها. حاولتُ قدرَ المُستطاع أن أتمالك نفسي. «كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ هذا الموقع صُمِّم لدى شركةٍ مضيفةٍ مستقلةٍ تماماً عن شركتنا. أعتقد أن مقرَّها في كاليفورنيا. ما الذي يجري هنا؟» أردتُ أن أُخبرهما بكل شيء، ربما يمكنهما مساعدتي في وضع حدٍ لهذا، ولكني لم أقُل أي شيء. جلستُ وحاولتُ تهدئة نفسي حتى لا أنهار من الألم. «سأذهب وأضع حداً لهذا. إذا كان الشخص نفسه الذي وضع الفيروس في مخدمنا هو من يعمل على تهكير الموقع، فنحن أمام مشكلة كبيرة». راقبتهما وهما ينهضان ويرميان بفنجانَي القهوة في سلة المهملات ويتوجّهان نحو الباب. جلستُ مكاني مُحدِّقاً بصورة تومي التي على الهاتف. لا أعرف ما الذي سأفعله أبداً. كل شيءٍ يبدو غريباً جداً. يجب أن أعرف من هو هذا الشخص. كدتُ أقفز من مكاني عندما

بدأ هاتفي يهتزُّ. نظرتُ إلى الرقم فأصابتني الدهشة عند رؤية رقم هاتف منزلي.

«مرحباً». سمعتُ صوت ميشيل. تبدو قلقةً.

«شيلدون، أين أنت؟»

«أنا بالقرب من مكان عملي».

«مكان عملك؟ ماذا تفعل في العمل؟»

«إنه عادةً المكان الذي أفكر فيه بشكلٍ أفضل».

«هل توصّلْت إلى شيءٍ ما؟» سألتْ وقد أصبح صوتها أعلى الآن. كما لو أنها تريد أن تخبرني بشيءٍ ما.

«لا، لا شيء. ماذا يجري عندك؟»

«غادر المحققان المنزل للتو ليتوجها إلى بنك كومن ويلث. توصلا إلى شيء ما بخصوص المبلغ المودع في البنك الذي كانا يتحدثان عنه». وقفتُ بسرعة. «طلبا مني أن أُخبرك بأن تقابلهما في البنك إن استطعتَ».

«في البنك؟» سألتُها وأنا أحاول جهدي لإخفاء ارتجاف صوتي.

«نعم، هل يمكنك الذهاب إلى هناك؟» نظرتُ حولي إلى المطعم. شعرتُ وكأنّ كلّ العيون تحدِّق بي.

«إنه الفرع الكبير في شارع ٢٣٦... شيلدون... شيلدون. هل لا تزال تسمعني؟»

«نعم، أسمعك. حسناً».

«هل أنت على ما يرام؟»

أومأتُ برأسي. «أنا بخير».

«لا تبدو بحالٍ جيدة».

أخذتُ نفساً عميقاً. «أعتقد أنني متعبٌ فقط».

«سأُغلق الآن، لكنهما قالا إنهما يريدانك هناك». أخذتُ نفساً عميقاً.

«سأتوجّه إلى هناك الآن. أحبك».

«وأنا أحبك أيضاً شيلدون. أرجوك اتصل بي إذا علمتَ أي شيء».

«سأفعل». أنهيتُ المكالمة بسرعة وذهبتُ إلى حمام الرجال. غسلتُ وجهي بالماء البارد. لم يكن لديَّ أي فكرة عمّا سأقوله

لهما عندما يسألانني عن المال. بعد عشرين دقيقة، توقفْتُ في موقف سيارات البنك. رأيتُ سيارات الشرطة تقف في الموقف الأقرب إلى الباب، إلى جانب المكان المخصص للمعوقين. شعورٌ غريب أن أعود إلى هنا مجدداً. هذا كان عملي الأول مع خاطف تومي. ركنتُ السيارة في أبعد مكان ممكنٍ ليطول بي الطريق قبل أن أدخل البنك. مازلتُ لا أملك أدنى فكرة عمّا سأقوله. أشعر كأني قادمٌ لأتطهَّر، ولكني لا أستطيع المخاطرة بهذا. فتحتُ الباب ببطءٍ ودخلتُ البهو. رأيتُ ستانتون وآدامز يجلسان أمام مكتبٍ داكنٍ مصنوعٍ من خشب الماهوغاني إلى الجهة اليمنى. في الجهة المقابلة كان هناك رجل يبدو كأنه مدير أو مسؤول في قسم خدمة الزبائن. سُرعان ما لاحظوا وجودي ولوّحوا لي. سِرْتُ باتجاههم ووقفتُ إلى جانب المكتب وأنا أشعر بأنّ أعينهم متسمِّرة عليّ.

«شكراً لقدومك بهذه السرعة سيد سميث». قال ستانتون. «لِمَ لا تجلس؟». نهض موظف البنك بسرعة من خلف مكتبه وسحب كرسياً منجداً آخر وضعه إلى جانب كرسيي المحققين. هذا جيمس ستولز، معاون مدير البنك هنا. صافحتُ رجلاً في

منتصف أو أواخر الخمسينات من عمره. شعره رمادي تكدستْ دهونه حول خصره فحاول أن يُخفيها ببزَّةٍ واسعةٍ، عيناه زرقاوان ثاقبتان زادتا من توتري. جلستُ مكاني وشعرتُ أنّ جسدي ينهار.

«حسناً، دعنا نبدأ بهذا على الفور». قال شيلدون وهو ينظر إليّ مباشرةً. «هل كنت هنا منذ يومين؟» أومأتُ برأسي ببطءٍ مجيباً نعم. على الرغم من أني أعرف أن هذه اللحظة ستأتي، إلا أنني أشعر كأن أحدهم يسحبني على قطعٍ من الزجاج المكسور «هل هذا أنت؟» رأيتُ المدير وهو يدير شاشة المراقبة نحوي. رأيتُ نفسي وأنا أدخل البنك. لقد سجَّلتْ الكاميرات وقوفي أمام أمينة الصندوق. نظرتُ حولي إلى مكان أمينة الصندوق، لكنني لم أرَ الفتاة نفسها هناك. لحسن الحظ، إنها خارج البنك، لكنها قد تكون في قسم الشرطة تُدلي بإفادتها. التسجيل غير واضحٍ كثيراً، ولكن بالإمكان رؤيتي وأنا أُعطِي «هذا أنا». أجبتُ بصوتٍ منخفضٍ يكاد يكون همساً.

«أعتقد أنّ لديك شرحاً لهذا». نظر إليّ كل من ستانتون وآدامز نظرةً قاسيةً. لا أعرف ماذا أفعل، لذلك نظرتُ إلى صورتي وأنا

أقف أمام الصندوق. فجأة رأيتُ شيئاً غريباً. انحنيتُ مقترباً من الشاشة. شعرتُ أنَّ قلبي يرتجف بين ضلوعي. لا أُصدق هذا. حدَّقتُ فيها أكثر عندما أعطاني ستانتون ورقةً صغيرةً. إنها إشعار الإيداع الذي وقَّعْتُ عليه، لكنه بمبلغٍ قدره عشرة آلاف دولار. عليَّ أن أقول شيئاً ما الآن.

«هل يبدو هذا مألوفاً لك؟» نظرتُ إلى الورقة وعيني على التوقيع. لا أُصدق ما أرى، ليس توقيعي، بل إنَّه لا يشبهه!

أومأتُ برأسي بـ لا. «ليس توقيعي».

«ماذا تعني بهذا؟ هذا توقيعك». أومأتُ برأسي بـ لا.

«إنه ليس توقيعي». حدَّقتُ بالورقة وأنا لا أُصدق ما أراه. لا أُصدق ما يحدث هنا. راقبتُ المدير وهو يعيد الشاشة إلى مكانها. بعد دقيقةٍ، أشار بيده إلى الشاشة فهزَّ المحققان رأسيهما.

«ماذا يحدث هنا؟» وقف ستانتون. «أنت كنت في البنك، وجرى إيداع مبلغ مليون ونصف المليون في حسابك في الوقت الذي كنتَ فيه هنا، وبعد دقيقتين حُوّل المبلغ إلى بنك في البرازيل». نظر حوله إلى البنك. «وأمينة الصندوق وهي شخص

موثوق جداً، غائبة عن العمل لليوم الثاني على التوالي، وأجريت أنت عملية سحبٍ لمبلغ خمسين دولاراً. وكاميرات المراقبة أظهرتْ أنك تُعطيها ورقةً، ومن الواضح فيها أنك لا تحمل أيَّ نقود. لقد أرانا جيم للتو بطاقة التوقيع الخاصة بك وهذا ليس توقيعك». نظر إليّ وإلى مدير البنك. «ومع هذا لدينا هنا إشعار يثبت أنه جرى إيداع مبلغ مليون ونصف المليون دولار في حسابك في هذا البنك». رفع يديه فوق رأسه. ونظر إليَّ مُجدداً. «إذاً، لقد سحبت المال فقط، صحيح؟» أومأتُ برأسي. «هذا يعني أنّ شخصاً ما قد نصب لك فخاً».

نظر المدير إليّ. «كم تملك من المال في حسابك؟»

«لا أعرف، تقريباً نحو عشرة آلاف مع المدخرات والسحوبات». راقبتُه وهو يطبع على لوحة المفاتيح.

«رصيدك أقل من أحد عشر ألف دولار».

«هذا صحيح تقريباً».

وقف آدامز أيضاً بهدوء. «هل أنت متأكد من أنك لا تعرف دوغلاس سورينسون؟»

«لم أسمع به قط حتى أخبرتماني باسمه أمس أو ربما كان هذا أول أمس». أدركتُ حينها أنني لا أعرف حتى في أي يوم نحن.

«لا فائدة من هذا كله. دعونا نذهب إلى الآنسة جنسين». نظر ستانتون إلى ورقة صغيرة كانت في يده. «هذا عنوانها الحالي، صحيح؟» أومأ مدير البنك برأسه بنعم. «لا بدّ أنها تتذكر من أودع ذلك المبلغ من المال. إيداع مثل هذا المبلغ لا يحدث كثيراً، أليس كذلك؟»

نظر مدير البنك إلى الشاشة. «لا يحدث كل يوم، ولكننا نتلقى مبالغ كبيرة من المال لبعض المشاريع التجارية». هزّ ستانتون رأسه وكأنه مذهول بهذا المبلغ. «دعونا نذهب». نظر إلى مدير البنك ثم إليّ. «شكراً لكم على مساعدتنا. وأعتذر لجعلك تأتي إلى هنا سيد سميث. سنجد نهايةً لهذا. وسنتوقف عند منزلك بعد أن نذهب إلى منزل أمينة الصندوق». أومأتُ برأسي ونظرتُ إلى الدور أمام الصندوق ومضيتُ خارجاً.

لَمَّا أدرتُ محرك سيارتي بدأ هاتفي يهتزُّ. نظرتُ إليه. إنه الرقم الخاص نفسه.

«مرحباً».

«مرحباً شيلدون. أتمنى أن تكون قد استمتعتَ بمواجهتك الصغيرة مع المحققين ومدير البنك. بالنسبة لي فقد استمتعتُ كثيراً برؤية تعابير وجوههم وتعابير وجهك أيضاً».

«من أنت؟ أين تومي؟» صرختُ عبر الهاتف.

«تذكّر أخلاقك شيلدون».

«تباً للأخلاق. أريد استعادة تومي الآن. سئمتُ من ألعابك القذرة الملتوية. لقد فعلتُ كل ما طلبته مني، والآن أخبرني أين هو».

«أعِدُكَ أني سأُعيد لك ما هو ملكٌ لك. كما أخبرتُك، لديّ فقط مهمة صغيرة لك. هل استمتعتَ بالفيديو الذي أعددتُه لك؟ وماذا عن خدعة التوقيع؟ استمتعتَ بها؟»

«ماذا لو انتهى بي الأمر في السجن؟»

«لا تقلق بشأن ذلك شيلدون، ألا ترى أنني أسيطر على كل شيء؟»

«إنهم ذاهبون للتحدث إلى أمينة الصندوق الآن. ستتذكرني، وعندها ماذا ستفعل؟ هل يمكنك أن تسيطر على ذاكرتها أيضاً؟ أرجوك أَعِدْ لي ابني». أمسكتُ الهاتف بقوةٍ، أردتُ رميه من نافذة السيارة.

«هي أيضاً تحت سيطرتي. تذكّر. لا تقلق».

«أنا قلقٌ على تومي. أخبرني أين هو». سمعتُ تنهيدةً طويلةً منه.

«قلتُ لك مهمةٌ صغيرةٌ أُخرى وما هو لك سيعود لك مجدداً».

«من هو دوغلاس سورينسون وما علاقته بهذا كله؟» رفعتُ صوت الهاتف.

«ستكتشف هذا قريباً. كُنْ مُستعداً لاتصالي القادم». سمعتُ صوت
إنهاء المكالمة.

«انتظر... انتظر... أرجوك... أرجوك». ضربتُ المقعد بيدي وشعرتُ بالدموع تسيلُ على خدي. فجأةً رفعتُ رأسي

وأنا أسمع أحدهم يطرق على النافذة. إنه معاون مدير البنك. فتحتُ النافذة.

«هل أنت بخير سيد سميث؟»

«أنا بخير. فقط سئمتُ وتعبتُ من هذا الأمر».

«أعلم، فأنا أُتابع كل شيء في الأخبار. انتبه لنفسك وأتمنى لك حظاً جيداً. أخبرني إن كان هناك أي شيءٍ يمكننا أن نعمله لأجلك». أدرتُ محرك السيارة وقُدتها مبتعداً وأمسكتُ بهاتفي عندما بدأ يهتزُّ مجدداً. إنها رسالةٌ إلكترونيةٌ كُتِبَ عليها «عاجل».

الفصل التاسع

لا أزال في مرآب سيارات البنك أشاهد مقطع فيديو لتومي، مدَّتُه عشرون ثانية وقد تلقيته للتو.

حفظتُه مباشرةً في مجلد الفيديو على هاتفي، وبهذا أستطيع أن أحتفظ به، ويبدو أن هذا قد نجح. طبعاً حُذِفَ الفيديو الأصلي مباشرةً بعد أن شاهدته. لايزال تومي في غرفة النوم نفسها. لقد بدأتُ حقاً أكره رؤية تلك الغرفة، لا أعرف لماذا، فيها شيء مألوف بطريقة غريبة. كان تومي جالساً على طرف السرير وهو ينظر إلى الكاميرا مباشرةً. لا أستطيع أن أُحدد إن كان يعرف أن أحدهم يصوّره أو أنه بالمصادفة كان ينظر في ذلك الاتجاه. شعرتُ كأنني أريد أن أصرخ وأناديه، لكنني أعرف أنه لا يمكنه سماعي. يبدو غريباً بعض الشيء. لا أدري إن كانت عيناه أم تعابير وجهه، ولكنَّ شيئاً مختلفاً فيه. أعتقد أنهما عيناه، إنهما أكثر لمعاناً، وجسده

لا يستجيب له بالطريقة المفروضة. في البداية اعتقدتُ أن هذا بسبب جودة الكاميرا، ولكن بعد مشاهدة المقطع مراتٍ عدة أعتقد أن المشكلة فيه. فجأةً شعرتُ بشيءٍ غريبٍ، تصبَّب جسدي عرقاً واعتراني القلق. أتمنى أن يكون بخير. أتمنى هذا حقاً. لن أسمح بحدوث أي شيءٍ له. إنه حياتي. أتذكر اليوم الذي عرفنا فيه أنا وميشيل أننا سنُرزق بطفل. لم نكن ننتظر قدومه أو نحاول إنجاب طفلٍ حتى، كان أمراً غير متوقع تماماً. كان معجزةً. حتى إني وضعتُ التقويم في مطبخنا وكنتُ أُزيل ورقةَ كلّ يومٍ يمضي لمدة ثمانية أشهر حتى جاء اليوم الموعود، فولد تومي بعد خمسة أيام منه. أعتقد أنها كانت أطول خمسة أيام في حياتنا. كانت ميشيل منهكةً من ألم أعراض الحمل، وأنا كنت متعباً من شدة التوتر. كنت أشعر أني سأنفجر، وأخيراً جاء اليوم المنتظر وجاءها المخاض. أسرعنا إلى المستشفى، وبعد ثماني ساعات حملنا تومي بين ذراعينا، وكما قال عنّا معظم الناس الذين يعرفوننا لم نضعه من حينها. يا إلهي اشتقتُ إليه. كيف تركتُ هذا يحدث؟ شاهدتُ الفيديو مراتٍ ومرات. أتمنى لو أستطيع أن أصل إليه من شاشة الهاتف لأسحبه من هناك. وأخيراً انتبهتُ إلى أن الغرفة التي في

مقطع الفيديو رُتِّبَت لتشبه تماماً غرفة تومي في منزلنا، باستثناء كل الأدوات الكهربائية. وضعنا الحاسوب وألعاب الفيديو في غرفة الجلوس، ليس فقط لحمايته، ولكن أيضاً لنتمكن جميعاً من اللعب معاً. عادةً كنا نقوم بكل شيء معاً كأسرةٍ، حتى هذا الأسبوع. ألقيتُ بالهاتف على المقعد. لم يعُدْ بإمكاني النظر إليه قط. حاولتُ أن أُفكر كالمحققين لأرى إن كان في مقطع الفيديو ما هو مفيد، لكن لم يتبادر إلى ذهني إلَّا غرفةٌ رُتِّبَتْ لتُشبه تماماً غرفة تومي التي يمكن أن تكون موجودة في أي منزل في البلد. لم أجد أي طريقةٍ لتتبع أثره. ربما يتوصل بريان وجيم إلى شيءٍ ما عبر الموقع الإلكتروني، ولكني أشك في هذا. هذا الشخص بارعٌ جداً وقد احتاط لكلِّ شيء. إنه يُخطِّط لكل حركة يقوم بها. أحاول أن أتخيَّل كنه مهمَّتي القادمة. متأكّد أنها ستكون جريمة من نوع ما، ولكنه حتى الآن تمكن من التفوق على الشرطة بدهائه في كل شيء، ولهذا السبب أنا لا آبه بأي شيء. أنا أعمل في مجال التكنولوجيا منذ سنوات ولكن ليس لدي أدنى فكرة عن كيفية وصوله إلى الأشياء المؤمَّنة التي وصل إليها. في العمل، لدينا مستشار أمني يأتي لاختبار نظامنا الأمني، أوصانا ببعض التعديلات، وبعدها تأكدنا

أنه أصبح محمياً قدرَ المُستطاع. ومع ذلك فقد تمكن بطريقةٍ ما من اختراق جدار الحماية، والوصول إلى المُخدمات. قرأتُ ذات مرة، أن أنظمة البنوك مؤمَّنة كما تؤمن أنظمة الحكومة الفيدرالية (الاتحادية)، ومع ذلك فقد تمكن من الوصول إليها كما لو أنها مفتوحة للعامَّة. لا أزال لا أعرف ما الذي يمكن لتومي وميشيل وأنا أن نقدّمه له. شاهدتُ مقطع الفيديو مرةً أخيرة، وشعرتُ بقطرات الدّمع تنهمر على خدي عندما حدّقت عينا تومي بالكاميرا. لا بدّ من وجود طريقةٍ للوصول إليه. يجب أن أضع خطةً لذلك. حاولتُ أن أُفكر برابطٍ مشتركٍ بين كل ما يحدث. وأنا أقود سيارتي على طريق "Lee" العام، توقفتُ عند الإشارة الحمراء، فكرتُ بـ «دوغلاس سورينسون»، لسببٍ ما يبدو أن هذا الشخص هو المفتاح لمعرفة كل ما يحدث. ربما يجب أن أبدأ من عنده، خاصةً بعد أن قال لي الخاطف إنني سأعرف كثيراً عنه قريباً. قرَّرتُ أن أتوجه مباشرةً إلى مكتبه. انعطفتُ بسرعة نحو اليمين. لا أعرف تماماً لماذا أتوجه إلى هناك، ولكن لدي إحساس بأن هذا هو الشيء الصحيح الذي عليَّ عمله. انتابني إحساسٌ غريبٌ وأنا أدخل مرآب السيارات. بدا لي مختلفاً تماماً في أثناء

النهار عنه في الليل. تبدو الأبنية المجاورة أقرب ممّا كنتُ أعتقد. ركنتُ سيارتي جانب المبنى، بعيداً عن المكان الذي ركنتُها فيه في تلك الليلة، فقط لأكون في مأمنٍ. وصلتُ، ومن دون وعي فتحتُ الباب فوجدتُ نفسي أقفُ في البهو عينه كما في السابق. الفارق الوحيد هو أنّ الأنوار مضاءة، والمبنى مليءٌ بأناسٍ، معظمهم يرتدون بزّات رسمية وربطاتٍ للعُنق. لم يرمُقني أي منهم ولو بنظرةٍ خاطفةٍ. ضغطتُ زر المصعد، ولمَّا رنّ الجرس منذراً بوصلي إلى طابقي شعرتُ بأنّ قدميَّ التصقتا بالأرض. لم أستطع أن أتحرك. بعد دقيقة، وجدتُ نفسي أقف أمام موظفة الاستقبال، صغيرةٌ جداً وشقراءُ جداً. طلبتُ رؤية السيد سورينسون. لا أزال لا أعرف لماذا أفعل هذا. أشارتْ إلى البهو، فجلستْ هناك على أحد الكراسي، إنه يشبه الكرسي الذي رميتُ شباك النافذة به. تظاهرتُ بأني أقرأ المجلة، في حين عيناي تطوفان في غرفة الانتظار. إنها مفروشة بشكلٍ أنيقٍ ومرتبٍ، وتبدو كما يجب لمكتب المحاماة أن يكون، أرائك جلدية، أثاث مصنوع من شجر الماهوغاني الداكن، ولوحات لمناظر طبيعية معلَّقة على الجدران. تبدو الغرفة أكثر أناقة ممَّا كانت عليه في آخر مرة كنت

فيها هنا. أشعر بإحساسٍ غريبٍ جداً وأنا أجلس في المكان عينه الذي اقتحمته الليلة الماضية. سعيدٌ لأن موظفة الاستقبال لم تسألني لماذا أريد مقابلة سورينسون. ليس لديّ فكرة ماذا كنت سأُجيبها. أتساءل إن كان لديهم كثير من العملاء، ولكن يبدو هذا السؤال غريباً بالنسبة لمكانٍ راقٍ كهذا. قرأتُ اسم الشركة المكتوب على الجدار. إنها إحدى الشركات القانونية الأنموذجية التي تضم مئات الأسماء. حبستُ أنفاسي عندما رأيتُ اسم سورينسون ثالث اسمٍ في القائمة. أستغرب كيف لم أُلاحظ هذا من قبل. لاأزال لا أعرف ما الذي سأقوله. وبعد نحو عشر دقائق، دخل رجلٌ طويلٌ جداً، ممشوق القامة، شعره بني خفيف. لا بدّ أنّ طوله على الأقل ٦.٤ أقدام(١) ووزنه لا يزيد عن مئتي باوند(٢). يرتدي بزَّةً رماديةً داكنة أنيقة، سار نحو مكتب الاستقبال وتوقف عنده. يبدو أنه في منتصف الأربعينات من عمره، قوامه مناسب لأن يصبح أحد أفراد فريق كرة السلة للمحترفين. راقبتُ موظفة الاستقبال وهي تشير إليَّ فاتجه نحوي. لا توجد أي تعابيرٍ على وجهه.

---

(١) القدم = ٤٨ , ٣٠ سم متر، طوله تقريباً ١.٩٥سم. المترجمة.

(٢) الباوند = ٤٥٠ غراماً، وزنه تقريباً ٩٠ كغ. المترجمة.

«كيف حالك سيد سميث؟» صافحنا بعضنا. «أنا آسف جداً لما سمعتُه عمّا تمرّ به». أومأتُ برأسي. «ما الذي جعلك تأتي لرؤيتي؟»

«هل يمكننا أن نتحدث على انفراد؟» أومأ برأسه وأشار إليّ أن أتبعه متجاوزاً مكتب الاستقبال. مشيتُ في الرواق حتى وصلتُ إلى المكتب الثالث. كان زجاج النافذة قد أُزيل كلّه.

«أرجوك اعذرني على هذه الفوضى. لقد تعرَّضنا لحادثةِ سرقة قبل أيامٍ قليلة. ما زالوا يُزيلون آثارها». إحساسٌ غريبٌ أن أكون هنا مجدداً. أشعر بالقشعريرة. أشار إليَّ بالجلوس على أحد الكراسي المقابلة لمكتبه الكبير المليء بمجلدات المانيلا[1]. «أُدرِك أنك لست هنا من أجل رفع دعوى ما». أومأتُ برأسي. «أعي تماماً محاولة توريطي في قضية اختفاء ولدك. لقد أخبرتني الشرطة عن السيارة التي كانت مركونةً أمام منزلي، والملحوظة التي وُجِدَتْ عليها وتحمل عنواني». نظر إلى شاشة حاسوبه المحمول. «لقد أخبرتهم بكل شيءٍ أعرفه وأني لا أعرف ما علاقتي باختفاء ولدك».

---

(١) المانيلا: ألياف قوية مأخوذة من نبات فلبيني تُستخدم لصنع الورق والحبال. المترجمة.

«فهمت. أردتُ فقط أن ألتقيك شخصياً لأرى إن كان هناك أي شيء يمكنك أن تقدمه لي يساعدني على إيجاد تومي. سمعتُ أيضاً عن المال الذي سُرِقَ منك. وحقيقة لقد اتهِمْتُ بذلك».

«سمعتُ بذلك. كنتُ أتحدث مع المحقق على الهاتف عندما وصلتَ أنت إلى البنك. أخبرَني أنك كنت في البنك في الوقت نفسه الذي أودع فيه المال في حسابك، ولكنك لم تَكُنْ أنت مَنْ أودعه». نظر إليَّ من الأعلى إلى الأسفل.

«إن كنت لا تُمانع هل لي أن أسألك من أين سُرِقَ المال؟»

نظر إلى شاشة الحاسوب مرةً أخرى. «سُرِقَ من هنا من مكتبي. كان المال جزءاً من قضيةٍ أعمل عليها حالياً». نظرتُ خلفي إلى النافذة المكسورة. «كان هذا في حادثة أُخرى. فقد سُرِقَ المال قبل أيام عدة من هذه الحادثة».

«هل القضية التي أُخذ المال منها قضية شخصية؟»

«إنها قضيةٌ عقاريةٌ. لا تختلف في أي شيءٍ عن مئات القضايا الأخرى المشابهة التي نعمل عليها باستثناء المال. فتلك قصّةٌ أُخرى». رمقْتُهُ بنظرةٍ غريبةٍ. «فالسارق محترفٌ يعرف جيداً أين

تُخبأ الأموال». أومأتُ له برأسي بأني فهمتُ. «أنا فقط لا أرى شيئاً يربط بين هذه القضية وولدك. أتمنى لو كانت كذلك لكنتُ تمكنتُ من مساعدتك. لقد أخبرتُ الشرطة بهذا أيضاً».

«فهمت. أنا فقط لا أجد مكاناً آخر لأبدأ منه». أحاول البحث عن أي شيءٍ يدلّ على تورُّط سورينسون أو على أن له علاقة بقضيةِ تومي أو أنه يعرف أي شيءٍ، ولكني حتى الآن لم أصل إلى أي شيء.

«هل لديك أطفال سيد سورينسون؟» نظر إليَّ بغرابة.

«لديَّ ابنة في الصف الأول، لذلك يمكنني أن أشعر بما تمرُّ به. ولكني ربما لا أستطيع أن أُدرك تماماً معنى أن أفقدها». رأيته ينظر إلى صورةٍ خلفه لفتاة صغيرة.

«أنا لا أعني هذا. لكني فقط أُحاول أن أجد أي رابطٍ بينك وبين تومي».

«فهمتُ. لكني لا أعتقد أن هناك أي رابط. أتمنى لو أنّ بإمكاني أن أساعدك أو أن أقدم لك أي شيء، ولكني أخبرتك بكل شيء أعرفه. أنا أعيش حياةً رتيبةً جداً. أعمل، وزوجتي

تعتقد أني أعمل لساعاتٍ طويلةٍ جداً، ربما كانت محقَّة في هذا ثم أذهب إلى أسرتي ومنزلي. عدا ذلك، فأنا لا أعرف أيّ طريقة أخرى يمكنني مساعدتك بها، إلا إذا كان ابنك متورطاً في قضية ما». أومأتُ برأسي بأني فهمتُ، راقبته وهو يجيب على الهاتف. ردَّ على الاتصال بحركة من إصبعه، وعلَّق المكالمة لدقيقة فوقفْتُ لأُغادر.

«شكراً جزيلاً لك على الوقت الذي منحتني إيَّاه». صافحني بيدٍ ووضع يده الأخرى على كتفي.

«أعتذر، لا يمكنني أن أُساعدك بأكثر من هذا. أرجوك اتصل بي في أي وقتٍ تريد إن كنتَ تعتقد أنَّ بإمكاني مساعدتك. أتمنى لك حظاً موفقاً». صافحتُه وتوجهتُ إلى المدخل. ألقيتُ نظرةً أخرى على النافذة المكسورة وغادرت المبنى. لمَّا وصلتُ إلى سيارتي بدأ هاتفي يهتزُّ. أجبتُ بسرعة عندما وجدتُ أنّ الرقم المتصل هو رقم المنزل.

«مرحباً»

«شيلدون أين أنت؟» قالت ميشيل وقد بدا صوتها مضطرباً.

«أنا في الجوار، في طريقي إلى المنزل».

«حسناً. أرجوك أسرع. المحقق ستانتون بانتظارك. يريد أن يتحدث معك بشأن البنك».

«ماذا تعنين بهذا؟» أخرجتُ السيارة من المرآب.

«لا أعرف. لم يخبرني بشيء، ولكنه قال إنه يعتقد أن أحدهم قد نصب لك فخاً في أثناء سحبك المال من البنك. ألا تسحب المال من الصراف العقاري؟»

توقفتُ أمام سيارة كمارو حمراء فسمعتُ صوت زمورها خلفي.

فلوَّحتُ معتذراً للسائق. «هذا ما أفعله عادةً. ولكني كنتُ في حاجةٍ إلى فعل شيءٍ مختلفٍ».

«أنا قلقةٌ عليك».

«أنا بخير. أنا فقط لم أعد أعرف مطلقاً ما الذي سأفعله».

«أعرف هذا، لا تفعل شيئاً فقط عُد إلى المنزل في الحال».

«أنا في طريقي». أنهيتُ المكالمة. أكرهُ أن أكذب على زوجتي. إنها أحد الأشياء التي قطعتُ وعداً على نفسي بألَّا أفعلها أبداً، ولم

أُضطر إلى فعلها حتى اختُطف تومي. نحن متزوجان منذ خمس عشرة سنة، أربع عشرة سنة منها كانت جيدة، سنةٌ واحدةٌ فقط كانت سيئة بالنسبة لنا. أعتقد أنها كانت العام الذي ولِد فيه تومي. بسبب التوتر وقلة النوم اللذين خلقهما وجود طفلٍ جديدٍ إضافةً إلى ضجرنا من بعضنا، ولكن بعدها أصبحت حياتنا رائعة. التقيتُ بميشيل أول مرّة بطريقةٍ غريبةٍ جداً. اصطدمنا ببعضنا في مرآب السيارات العائد لأحد المحلات، وبعد أن تبادلنا المعلومات، وزاد اتصالنا ببعضنا تطوّر بيننا شيء أعظم. إنها حقاً أفضل صديق لدي، خاصةً بعد أن انتقل والداي للعيش على الساحل بعيداً عني. تذكرت، من المفترض أن يصل والداها غداً. حتماً سأكون شاكراً لكل مساعدةٍ ودعمٍ منهما. توقفتُ عند الإشارة الحمراء وشاهدتُ مقطع الفيديو الخاص بتومي مجدداً. لا يمكنني النظر إلى عينيه. سأسأل الرجل عن هذا عندما يتصل في المرة القادمة، أعلم أنه سيتصل مرّةً أُخرى من أجل مهمتي الأخيرة. أتمنى أن يخبرني ما هي لأتمكن من استعادة تومي في أسرعٍ وقتٍ ممكن. أغلقتُ عيني للحظة وتخيلتُ أنه جالسٌ إلى جانبي. في هذه السنة فقط، بدأ يجلس في المقعد الأمامي إلى جانبي. تابعتُ القيادة لمدة خمس عشرة

دقيقة، لم أفتح في أثنائها الراديو على الإطلاق حتى لا أسمعهم إذا تحدثوا عن تومي. هذا أمر يُشعرني بالكآبة. وصلتُ إلى شارعنا فرأيتُ سيارة المحقق أمام المنزل وأيضاً سيارة الفان التابعة للصحافة. لا بدّ أننا سنُجري لقاءً مباشراً على التلفاز مجدداً الليلة. دخلتُ مدخل منزلنا وانتظرتُ باب الكراج ليفتح. أطفأتُ السيارة ودخلتُ المنزل. كان المحقق ستانتون يجلس على الأريكة إلى جانب مايك، أما ميشيل فسمعتُ صوتها تتحدث في المطبخ، وآدامز يبدو أنه ليس هنا.

«أهلا سيد سميث. أرجوك اجلس». نظرتُ إلى ستانتون. كان قميصه مجعداً، وربطة عنقه الزرقاء متدليةً من عنقه، وشعره مشعثاً ومبعثراً في كل اتجاه. بدا مختلفاً تماماً عن المرّة الأولى التي التقيته في مدرسة تومي.

«مرحباً شيلدون». قالتْ ميشيل هذا وجلستْ إلى جانبي. يبدو كأننا لم نَعُدْ نعرف كيف نتعامل مع بعضنا بعضاً. هل يجب أن نضمَّ بعضنا، نُصافح بعضنا، لا أعرف. ما الذي يتوجب عليك فعله عندما تفقد أهمّ جزءٍ في حياتك، الذي من الممكن أن يكون في خطرٍ، ولا تعرف حتى إن كان على قيد الحياة أو لا كما

هو حال ميشيل؟ نظرتُ نظرةً مطولةً إليها وهي تجلس على الأريكة. لا أذكر أنّها غادرت المنزل منذ أن خُطف تومي. تبدو أكبر بعشرِ سنواتٍ ممَّا كانت عليه قبل الحادثة. شعرها مجعد، وملابسها غير ناصعة، فقدتْ بريق عينيها الذي كنتُ أعشقه، ومع هذا لمَّا نظرتُ إليها شعرتُ بأنني أحبها الآن أكثر من أي وقتٍ مضى. أمسكتُ يدها وضغطتُ عليها بلطفٍ. رأيتُ ستانتون وهو يقف ويفتح دفتر ملاحظاته الصغير الذي يحمله معه دائماً. يبدو كدفاتر الشرطة في الأفلام القديمة التي كانت تُعرَض في السبعينيات.

«حسناً، ها نحن ذا هنا الآن». نظر إلى دفتره مجدداً. ضغطتُ على يد ميشيل بقوةٍ أكثر. «بعد أن غادرنا البنك، ذهبنا إلى عنوان منزل أمينة الصندوق فوجدنا جثتها». تسارعتْ أنفاسي، وتخيلتُ وجهها في ذهني. كانت تبدو صغيرةً لا يمكن أن يكون عمرها أكثر من ثلاثين عاماً. «يبدو أنها ماتت بطلقٍ ناريٍّ صغيرِ العيار. توجَّه المحقق آدامز إلى هناك لمتابعة هذه القضية».

«يا إلهي، لا أُصدق هذا». هزّ ستانتون رأسه وهو ينظر إلى ميشيل وإليَّ.

أمسكتُ بيد ميشيل الأخرى. وشعرتُ بأنّ هاتفي بدأ يهتزُّ. نظرتُ إلى اسم المتصل. إنه بريان يتصل من العمل. وقفتُ وضغطتُ على زر الرد.

«مرحباً».

«أهلاً بريان، ما الأمر؟»

«أردتُ فقط أن أُخبرك بأنني أنا وجيم كنا نعمل على معرفة من نفَّذ بعملية تهكير الموقع الإلكتروني، ويبدو أننا تمكنَّا من تتبع أثره، إنه شخص يُدعى دوغلاس سورينسون».

«ماذا قُلْت؟» صرخْتُ بصوتٍ عالٍ مّا جعل ميشيل وستانتون ينظران إلي.

«نعم، في الحقيقة إنه يعيش في الجوار، وهو محامٍ بارعٌ. لا أُصدق أنه يعرف كيف يفعل هذا، وأعتقد أننا لن نعرف».

«هل أنت متأكد؟»

«بالطبع. لقد دخل جيم إلى مُخدم شبكة الويب وشغَّل أجهزة تتبع الأثر التي تُظهر المكان الذي تصدر منه كل التعليقات، وفي الوقت نفسه تتبعنا أثر التعليقات المقابلة فقادتنا

إلى حاسوب منزله. هل تريد منّا أن نتصل بالشرطة؟» نظرتُ إلى ستانتون.

«ليس الآن. شكراً جزيلاً لكما على اكتشاف هذا».

«لا تهتم. سنتصل بك إذا عرفنا أي شيء آخر». أنهيتُ المكالمة وعدتُ إلى مكاني جانب ميشيل.

«ماذا هناك؟»

«إنه بريان أراد إخباري أنه وجيم أنشأا موقعاً إلكترونياً للبحث عن تومي». تصفحتُ الموقع على هاتفي. حاول ستانتون أن يبتسم أمّا ميشيل فبدأتْ تبكي.

الفصل العاشر

بعد ساعاتٍ عدة، طلبتْ منَّا نورين وطاقمها أن نتحدث أمام الكاميرات في المطبخ مرةً أُخرى. توسَّلنا باكيين للشخص الذي اختطف تومي أياً كان بأن يدعْهُ وشأنه ويُعيده إلينا. بعد أن أنهينا المقابلة قال لنا ستانتون ونورين إننا أدّينا عملاً جيداً، ولكني أعرف أن هذا لن يُعيده إلى المنزل، حتى أُنفّذَ مهمتي الأخيرة التي سيطلبها مني، أو على الأقل هذا ما أتمناه. لا أزال أتفقد هاتفي كل بضع دقائق لأرى إن كان هناك أيّ رسالةٍ نصيةٍ أو أيّ مكالمةٍ، ولكن لا شيء حتى الآن. أتساءل كيف تمكن من اختراق صفحة «البحث عن تومي» لتظهر إشارات التعقب أنها قادمة من حاسوب سورينسون. أشعر بأنه عليَّ أن أذهب إلى منزله لأُخبره بهذا. لكني بقيت الليلة في المنزل وغفوت على الأريكة إلى جانب ميشيل. استيقظتُ أنا وميشيل في منتصف الليل عندما دوى أحد أجهزة الاتصال الخاصة برجال الشرطة معلناً عن إيجاد جثةٍ. انهارتْ ميشيل عندما سمعتْ أنَّ الجثة تعود لفتىً

صغير. وجِدَتْ الجثة إلى جانب طريقٍ صغيرٍ على بعد ميلين من منزلنا. أنا على قناعةٍ تامةٍ بأنه لم يكن تومي لأني لم أفعل أي شيء يُخالف اتفاقنا، لكن ميشيل لم تكن تعرف شيئاً عن هذا لتواسي نفسها به. عانقتُها بقوةٍ فشعرتُ بالغثيان وأسرعتُ إلى الحمام. استمعتُ إلى الضابط الشاب وهو يتصل بستانتون وآدامز في منزليهما ليوقظهما. يمكنني أن أتخيل ما الذي سيفكران به عندما سيسمعان بوجود جثةٍ لفتىً صغيرٍ. أتساءل إن كانا يريدان فقط الانتهاء من هذه القضية وهل سيشعران بشيءٍ من الراحة إن كانت هذه الجثة هي جثة تومي؟ ولكني أعلم من أعماقي أنهما أمضيا وقتاً طويلاً وهما يحاولان استعادته لذلك لا أظن أنهما سيسعدان بهذا. استمعتُ إلى أصوات أجهزة الاتصال تنطلق مجدداً عند منتصف الليل. فهمتُ معظم الأشياء التي قيلتْ، ولكن كثيراً منها كان رموزاً. بعد دقيقة، رنَّ هاتف منزلنا.

«مرحباً».

«مرحباً سيد سميث، أنا المحقق ستانتون. أعلم أنك سمعتَ عن الجثة التي وجدتْ ولا بدّ أنك علمتَ أنها تعود لصبيٍّ صغيرٍ بعمر ولدك تقريباً. أردتُ أن أُخبرك بأنني سأتوجّه إلى مكان وجودها الآن». سمعتُه يأخذ نفساً عميقاً. «لا أعتقد أنه هو،

ولكننا قد نحتاجك للتعرّف إلى الجثة». أخذ نفساً عميقاً آخر وأكمل، «أريدك فقط أن تكون مدركاً لما قد يحدث، ولكن اتصالنا بك لا يعني أننا نعتقد أن الجثة له». أومأتُ برأسي وشكرتُه على اتصاله بي. لستُ قلقاً بأي حال من الأحوال من كونها جثته. لا يمكن أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة. الشخص الذي يتصل بي لديه خطط كثيرة لا يمكنه أن يُنهيها الآن. يريد مني القيام بعملٍ آخر له. رفعتُ رأسي لأرى ميشيل تقف إلى جانبي. كان وجهها شاحباً وجسدها يترنّح. أمسكتُ يدها بلطفٍ لأُساعدها في الجلوس على الأريكة إلى جانبي وضممتها بشدة.

«من كان على الهاتف؟»

«إنه ستانتون أراد إخبارنا بأنه ذاهب ليتعرّف إلى الجثة». انتفضتْ بسرعة مبتعدةً عني.

«كيف يمكنك أن تتحدث بهذه الطريقة؟»

«أي طريقة؟»

أخفضتْ صوتها ليصبح أقرب إلى الهمس. «من الممكن أن تكون جثة تومي هذه التي تتحدث عنها، وليستْ مجرد جثةٍ لأيّ صبي». قربتُها مني مجدداً. «إنها ليست لتومي، ميشيل. إنه بخير».

«كيف عرفت هذا؟» مسحتُ دموعها عن وجهها بلطف.

«لأننا كنا سنشعر بهذا، لقد قلتِ ذلك بنفسك ذاك اليوم. إنك تشعرين بأنه بخير وعلى قيد الحياة».

«لم أعد أعرف شيئاً مطلقاً».

«لا تقولي هذا». وضعتُ إصبعي على شفتيها. «سيعود إلى المنزل. أَعِدُك».

فركتْ عينيها. «أتمنى أن يكون هذا صحيحاً، يا شيلدون، ولكن مضتْ أيام. أتذكَّر أنَّ ستانتون قال، إنَّنا سنسمعُ شيئاً عنه في أربعٍ وعشرين ساعة».

«قال أيضاً، إن هذه الحالة مختلفة، وهي فعلاً كذلك. أعرف أنه بخير. أعرف». قرّبْتها إلى صدري بشدَّة. شعرتُ بأنفاسها تُدغدغ عُنقي. بقينا على هذه الحال فترةً طويلةً حتى بدأ هاتفي يهتزُّ. نهضتْ ميشيل بسرعة.

«هاتفك شيلدون، ألن تجيب؟»

وضعتُ يدي في جيبي وأنا لا أعرف ما الذي سأسمعه عندما أُجيب.

«مرحباً شيلدون. آمل أن تكون قد استمتعتَ بكل هذه الإثارة بقدر ما استمتعتُ أنا». وقفتُ بسرعةٍ تاركاً ميشيل مذهولةً. أشرتُ لها بيدي بأنّ كل شيءٍ على ما يرام.

«ما الذي يحدث؟»

«لا أعرف، لكن لو كنت مكانك لاستمررتُ في الصلاة والدعاء».

«انتظر. أخبرني أرجوك». ألقيتُ الهاتف على الأريكة عندما أدركتُ أنه قطع اتصاله.

«ما الأمر؟ شيلدون من هذا؟» أخذتْ ميشيل الهاتف وبدأتْ الضغط على أزراره. «لا يوجد هنا قائمةٌ بآخر المكالمات المتسلَّمة».

«أعرف هذا. أعرف». شعرتُ أن وجنتيَّ تتّقدان من شدّة الغضب.

«ماذا هناك شيلدون؟ ما الذي يحدث هنا؟»

نظرتُ إلى رجال الشرطة الذين كانوا يقفون في الطرف الآخر من الغرفة. كانوا منشغلين بالطباعة على حواسيبهم. «لا شيء، إنه صحافيّ آخر من أولئك الصحافيين الأغبياء يسألني بماذا أفكر».

نظرتْ إلى الهاتف مجدداً. «لماذا لم تظهر مكالمته؟»

جلستُ بهدوء ووضعتُ الهاتف في جيبي. «أنت تعرفين كيف يعملون. يمكنهم الاتصال بأي شخصٍ، ولكن لا يمكن لأحد الاتصال بهم». جلستْ ميشيل إلى جانبي عندما اقترب منا أحد الضباط الشبان بسرعة.

«سيد وسيدة سميث، لقد اتصل المحقق ستانتون للتو. يريد أن يذهب أحدكما إليه ليتعرَّف الجثة». أسرعتْ ميشيل مرة أخرى إلى الحمام.

«سأذهب أنا». وقفتُ وتفقدتُ ميشيل. كانت تجلس على أرض الحمام مستندةً إلى الحائط. اقتربتُ منها وقبلتُها وهمستُ في أذنها. «إنه ليس تومي». ولكنها أشاحتْ بوجهها عني. عُدْتُ مجدداً إلى غرفة الجلوس لآخذ العنوان من الضابط وتوجهتُ نحو سيارتي. لمَّا خرجتُ من الكراج بدأ هاتفي يهتزُّ مجدداً. لم أنظر إلى الرقم المتصل. فقط أجبتُ لأني أعلم مُسبقاً من المتصل.

«مرحباً من جديد شيلدون، أرى أنك في طريقك لتتعرَّف الجثة».

«لماذا تفعل هذا؟» خرجتُ بسرعةٍ من مدخل المنزل متفادياً سيارات الشرطة في نهايته بكل حذر.

«لماذا شيلدون، أنا لا أفعل أي شيء. أنا أتصل فقط لأخبرك أن الجثة التي اكتشفوها هي جثة صبيٍّ في الثالثة عشرة من عمره، شعره بني يزن تسعين باونداً[1] تقريباً. هل هذا الوصف مألوفٌ بالنسبة إليك؟»

«أنت ميِّتٌ لا مَحَالة. أنا جادٌّ في هذا. إن كان هذا ولدي، فسأُطاردك طوال حياتي، وسأَجِدُك، أعدُك بهذا. كنتُ أظن أنّ بيننا اتفاقاً. كنتُ سأُنفِّذ آخر مهمةٍ ستطلبها مني...» أدركتُ حينها أنه قد أنهى اتصاله. لا أعتقد أنه تومي، ولكني الآن لستُ متأكداً من هذا. يبدو كأن شيئاً ما قد تغير في لهجته، لا أعرف بالتحديد ما هو. سأحاول أن أبقى متفائلاً وأن أُفكر فقط بأنه ليس تومي. أعتقد أني كنت سأعرف لو كان هو، ولكني لا أشعر بأي شيءٍ حتى الآن سوى بالغضب. خرجتُ بسرعةٍ من الشارع المجاور لنا متجاهلاً إشارة التوقف. لم أعُدْ أُبالي مطلقاً. إلى متى يمكننا أن نحتمل هذا؟ لقد مضى خمسة أيام إلى الآن. لست متأكداً إن كنتَ قد نمت منذ أن تلقيتَ ذلك الاتصال في العمل من ميشيل. كل شيء يبدو مبهماً.

---

(١) وزنه تقريباً ٤٠ كغ. المترجمة.

الشيء الوحيد الواضح في ذهني هو صورة تومي في مقطع الفيديو وهو جالس على السرير في تلك الغرفة. أمسكتُ بهاتفي وشاهدتُ مقطع الفيديو. نظرتُ إلى عيني تومي الذابلتين وهما تُحدِّقان في الكاميرا، شعرتُ بدوارٍ في رأسي وانتبهتُ إلى الطريق مجدداً. من المفترض أن ألتقي بستانتون في أحد المباني. أعتقد أنه سيكون المشرحة. إنها في نهاية الشارع الذي يوجد فيه مركز الشرطة. لا أعرف كيف سأتحمَّل هذا إن كانت الجثة لتومي فعلاً. لم أُهيِّئ نفسي مطلقاً لمثل هذه اللحظة. أنا متأكد أنه إن كان تومي فلن أعود إلى المنزل أبداً. لا أعرف إلى أين سأذهب أو ماذا سيحدث لي، لكنني أشعر أنها ستكون نهاية العالم بالنسبة لي إن كان هو. أبعدتُ الفكرة عن ذهني وأعدتُ التركيز على ما قاله لي جيم وبريان عن تعقبهما لقرصان الحاسوب الذي قادهما إلى الحاسوب المنزلي لسورينسون. قررتُ أن أزوره غداً في مكتبه وأن أتحدث إليه مرةً أُخرى، وأتأكّد من أنه أخبرني كل شيءٍ يعرفه. بعد دقائق عدة، دخلتُ مرآب مبنىً صغيرٍ قرميديِّ اللون مؤلَّف من طابقين، يبدو كأيِّ مبنىً حكوميٍّ آخر. لا يحوي أيَّ إشارة أو دلالة على أنه

مشرحة. دخلتُ المرآب، وركنتُ سيارتي إلى جانب سيارة أعتقد أنها لستانتون. بصعوبة تمكنتُ من سحب مفتاح السيارة من مكانه؛ يداي ترتجفان بشدة، لكني لم أشعر بالحزن بعد، أو ربما أُنكر أني أشعر به. مشيتُ عدّة خطواتٍ قصيرةٍ في الممشى وفتحتُ باباً يبدو كأنه باب مركزٍ صغيرٍ للشرطة. كانت هناك نافذةٌ ثخينة الزجاج خلفها شرطيٌّ يرتدي الزي الرسمي، ويجلس إلى مكتبٍ يقابله صفٌّ من الكراسي المركونة على طول الحائط. اقتربتُ من النافذة للفتِ انتباه الشرطي. ما إن أخبرتُه باسمي، حتى ظهر ستانتون من الباب الجانبي. دعاني إلى دخول غرفةٍ كبيرةٍ مليئةٍ بالأسرّة.

«شكراً لقدومك سيد سميث». وضع يده على كتفي. «أعلم أن ليس هذا ما كنت تتمناه». أومأتُ برأسي ونظرتُ حولي إلى كل المكاتب الخالية.

لا بدَّ أن ستانتون لاحظ فضولي. «هذا المبنى هو مقرٌّ فرعيٌّ لنا. نستخدمه عادةً في عملياتنا السرية أو لإبقاء الإعلام بعيداً عنا. لا أعتقد أنك تريد للصحفيين أن يعرفوا إلى أين أنت ذاهب».

«شكراً لك». قلت له. «هل هي هنا؟»

«تقصد الجثة؟» أومأتُ. «لا، أريدك فقط أن تُلقيَ نظرةً على بعض الصور فإذا تعرّفتَ عليها، فسآخُذُك إلى مكانها إن أردتَ». أومأتُ له مجدداً. فجأةً شعرتُ أنه من الممكن أن تكون هذه هي النهاية. حاولتُ أن أُبقيَ هذه الأفكار بعيدة عني وأنا أتبع ستانتون إلى أحد المكاتب. رأيت مغلفاً موضوعاً عليه بدا كأنه يحوي بعض الصور. لا أصدق هذا. أشعر برغبةٍ بأن أُدير ظهري، وأركضَ بعيداً عن هذا المكان، ولا أعودَ إليه أبداً، أريد فقط أن أختبئ في أي مكان. لا أعرف ما السبب. وصلنا إلى المكتب، جلس ستانتون على أحد الكراسي، وطلب مني الجلوس على الكرسي الآخر.

«كيف مات؟» لم أتمكن من إشاحة نظري عن المغلف الذي بيده.

«دعنا لا نتحدث عن هذا الآن. أريد منك فقط أن تلقي نظرةً على الصور». أعطاني المغلف ونهض من مكانه. «سأدَعُك بمفردك قليلاً». لم أرفعْ ناظري عن المغلف. أشعر أنه يَزِنُ مئات الأطنان. وضعْتُه بهدوء على طاولة المكتب وفتحتُه بحذرٍ.

رأيتُ مباشرةً ورقةً صغيرةً كُتِبَ عليها وصفٌ لجثةِ الصّبيّ الميّت. إنه تماماً كما أخبرني الخاطف في اتصاله. أتساءل إن كان هذا تومي فعلاً. لا أعتقد أني قادرٌ على فعل هذا، لكن بطريقة ما أزحتُ الورقة كاشفاً عن الصورة الأولى. نظرتُ إليها لثوانٍ عدة قبل أن أُبعِدَ ناظريَّ عنها وأقفزَ من مكاني. أسرعتُ إلى الاتجاه الآخر من الغرفة حيث خرج ستانتون. شعرتُ أنّ السعادة تغمرني. الشيء التالي الذي أذكره، أنني كنتُ على الأرض وستانتون وضابطٌ آخر يحاولان سحبي لأقف على قدميَّ.

«سيد سميث، هل أنت بخير؟» كان الضباب يملأ رأسي. أشعر كأني نِمْتُ لساعاتٍ عدة. «لقد أُغمي عليك. هل أُصِبْتَ بأي أذى؟»

«أنا بخير». نهضتُ ببطءٍ بمساعدتهما وبدأتُ أهزُّ رأسي بلا شعور كأنَّ الصورة التي رأيتها عادتْ لتحتلَّ ذاكرتي مجدداً. «إنه ليس هو». صرختُ. «إنه ليس تومي». ساعداني لأجلس على كرسيٍّ بعيدٍ عن المكتب وعن المغلف الذي لم يعُدْ بإمكاني النظر إليه قط.

«هل أنت متأكد؟»

«مئة بالمئة». أجبتُه. شعرتُ بابتسامةٍ خفيفةٍ ترتسم على وجه ستانتون، أو ربما يتراءى هذا لي فقط، فهناك طفلٌ مقتولٌ هنا. هناك أسرة أُخرى قد فقدتْ طفلها للتو.

«شكراً لك سيد سميث. أرجوك ابقَ هنا عدة دقائق قبل أن تغادر. عليَّ أن أُغادر الآن». نظر ستانتون إلى الضابط الآخر. «أيها الضابط باولسون هل يمكنك أن تُحضر بعض الماء أو أي شيءٍ آخر للسيد سميث؟» راقبتُهما وهما يُغادران الغرفة. اتصلتُ مباشرةً بميشيل لأَنقُلَ لها الأخبار الجيدة ووعدتُها بأن أكون في المنزل في وقتٍ قصيرٍ. شعرتُ بارتياحٍ في صوتها. وبعد أن شربتُ كأسين أو ثلاث كؤوس من الماء، وأكلتُ بعض الرقائق المملحة، سمحوا لي أخيراً بمغادرة المكان. ركبتُ سيارتي وذهبتُ في طريقي إلى المنزل. بدأت الشمس تُشرِق، وأخذتْ أشعتها تُزيحُ الظلام مُعلنةً بدء يومٍ مشرقٍ جديدٍ. لا أذكر أني شاهدت شروق الشمس من قبل. على الرغم من أني أستيقظ كل يومٍ عند الشروق لم يخطر لي قط أن أجلس وأراقبه. يبدو اليوم رائعاً جداً. راقبتُ

السماء المصفرَّة وهي تلتهِمُ ظلام الليل، وحمدتُ الله لأن ذلك الطفل لم يكن تومي، رغم أن هذا يعني أن هناك أسرة أُخرى ستحزن لفقدان ولدها. لا أُصدق كم هذا المنظر رائع! لمَّا يعود تومي إلى المنزل فسأوقظه باكراً ليشاهد شروق الشمس معي. قطعتُ عهداً على نفسي أن أُشاهد شروق الشمس كل يوم. قفزتُ من مكاني عندما بدأ هاتفي يهتزّ في جيبي.

«هل أعجبتك الأنباء الجيدة؟ لا تقلق شيلدون فممتلكاتك لا تزال في أيدٍ أمينةٍ ولا تزال قطعةً واحدةً، عكس تلك الجثة المسكينة التي رأيتها قبل قليل».

«أنت وحش. إنه مجردُ طفلٍ صغيرٍ. والآن أعد إليّ تومي. لقد تماديتَ في هذا كثيراً».

«على رسلِكَ شيلدون. أعدك بأني سأُعيد لك ممتلكاتك حالما تُنفِّذُ ما تعهّدتَ به». قاطعتُه.

«إذاً، أخبرني ما الذي عليّ فعله». سمعتُه يأخذ نفساً عميقاً.

«في الوقت المناسب شيلدون... في الوقت المناسب».

«أرجوك دعني أتحدث إليه على الأقل كي أطمئن أنه بخير». نظرتُ في المرآة الخلفية للسيارة فرأيتُ الغضب بادياً على وجهي.

«بعد أن تنهي مهمتك الأخيرة، ستحصل على كل ما تريد».

«إذاً، أخبرني ما الذي يجب عليَّ فعله».

«ستصلك التعليمات غداً. استمتع الآن بالأخبار الجيدة».

«انتظر... انتظر. هل أنت من فعل هذا بذلك الطفل الصغير؟»

«لماذا يا شيلدون، أي نوع من الناس تظنني؟ أو أنك تراني «وحشاً» كما قلتَ منذ قليل».

«أعتقد أنك أنت من فعل هذا». توقفتُ عند محطة البنزين.

«هذا جيد جداً، سأتصل بك غداً. بالمناسبة، إن السلاح الذي ارتُكبتْ به جريمة قتل الطفل موجود في منزلك».

«ماذا؟ أين؟» صرختُ عبر الهاتف، لكن الاتصال كان قد انقطع.

الفصل الحادي عشر

عدتُ إلى المنزل ووجدتُ ميشيل جالسةً في المطبخ، أمامها علبةُ بسكويتٍ مغلقةٍ. «مرحباً ميشيل، هل أنت بخير؟»

أدارتْ رأسها ببطءٍ نحوي وهي تُحاول أن تفتح عينيها المحمرّتين من شدة البكاء. «أنت متأكّد من أنه ليس تومي أليس كذلك؟» أومأتُ مؤكداً.

«إنه طفلٌ آخر. في عمر تومي، هذا محزنٌ جداً... ولكنه ليس تومي». جلستُ إلى جانبها وأمسكتُ يديها.

«لقد اشتقتُ إليه كثيراً شيلدون. إلى متى سيستمر هذا؟ لا أعتقد أنه يمكنني أن أتحمل الأمر أكثر أبداً». عانقْتُها بقوة.

«سيعود إلينا ميشيل. أَعِدُكِ سيعود إلى المنزل». وضعتُ يدي في جيبي لأتأكّد أن الهاتف معي. أتمنى أن يتصل بي لأقوم بمهمتي الأخيرة، وأُعيدَ تومي إلى المنزل.

«أتمنى ذلك حقاً». نظرتْ إليّ. «هل أبدو بحالٍ سيئة كالتي تبدو عليها أنت؟» أومأتُ لها برأسي نافياً.

«لا... تبدين جميلة. لِمَ لا نتناول شيئاً ما ونخلد إلى النوم قليلاً؟»

هزّت رأسها رافضةً الفكرة. «لا أعتقد أني أستطيع النوم أو تناول أي شيءٍ على الإطلاق شيلدون. كيف يفعل الناس هذا؟»

رفعتُ يديّ. «لا أعرف كيف. لكني أعتقد أنهم يبقون الأمل حياً في داخلهم، لأن هذا كل ما يستطيعون فعله».

«بدأتُ أفقدُ الأمل. لم يعُد لديّ الإحساس نفسه قط. منذ أن تلقينا ذلك الاتصال ليلة أمس، وأنا أُفكر ماذا لو كان ذلك الطفل هو تومي». ازردّ وجهها وبدأت دموعها تنهمر. قربتُها مني بلطف وعانقتُها بشدة.

«أعلم أنه على قيد الحياة وأنه بخير ميشيل. أعلم هذا. لا يمكنني أن أُخبرك كيف عرفت هذا ولكني متأكّد منه». عانقتني بقوةٍ أكثر.

«أتمنى فعلاً أن تكون على حق. كيف حدث هذا؟ ما الخطأ الذي اقترفناه؟» مسحتُ الدموع من عينيها.

«لم نقترف أي خطأ. اختاروا تومي لسبب ما. أتمنى لو أني أعرفه».

أدرنا رأسينا عندما فُتح باب المطبخ ودخل ستانتون. ملابسه مختلفة هذه المرة. يرتدي بلوزة بولو، لونها أزرق فاتح، نُقشت عليها كلمة «شرطة»، وبنطالاً (كاكياً[1]) نظيفاً.

«كيف حالكما اليوم؟»

«لسنا بخير أيّها المُحقق... لسنا بخير». جلس على كرسيٍّ مقابلنا.

«شكراً لك على قدومك بالأمس. أعتذر لوضعِك في ذلك الموقف». نظر إليَّ نظرةً ملؤها التعاطف. «لا يمكنني حتى أن أتخيل كيف كان هذا الموقف».

«كان قاسياً جداً. ولكن لحسن الحظ لم يكن تومي».

«أردتُ أن أُخبرك أنني كنتُ في مدرسة ولدك، إنّهم يعرضون فيها الموقع الإلكتروني الخاص بتومي، الذي أسَّسه أصدقاؤك». أومأتُ له برأسي. «إنهم يفعلون الشيء نفسه في المدرسة الإعدادية أيضاً. لقد سألني أولادي عنه الليلة الماضية».

(١) نوع من القماش المتين، لونه أسمر مصفر. المترجمة.

«كيف تمكنوا من فعل هذا كله؟»

نظر إلى الأسفل. «إنهم يعرضون صوره على الموقع في المدرسة، كما يفعل كل أطفال المنطقة. إنهم يحاولون المساعدة بأيّ طريقةٍ ممكنةٍ».

«أرجوك اشكرهم جميعاً بالنيابة عنا». همستْ ميشيل.

«سأفعل». فتح دفتر ملاحظاته. «السبب الحقيقي لوجودي هنا هو لإخباركم أننا قد توصلنا إلى شيءٍ جديدٍ قد يُساعدنا في الوصول إلى تومي. لقد توصَّل رجال الشرطة إلى أنَّ السلاح المُستخدم في قتل محاسبةِ البنك والطفل الذي عُثر على جثته البارحة، هو نفسه، ومن المحتمل أن نجد عليه بصمات». وقفنا أنا وميشيل بسرعةٍ. «ماذا تعني بهذا؟» سألت ميشيل.

«هذا يعني أنه إذا كنا محظوظين قليلاً، فسنجد بعض البصمات وعندها نكتشف من قتل هذين الشخصين، وربما يكون تومي بحوزته أيضاً، ولكن لا أريد منكما أن تأملا كثيراً من هذا. ما نحتاجه الآن هو إيجاد سلاح الجريمة». شهقتُ متذكراً أن الخاطف قال لي إنّ السلاح في بيتي.

«هل أنت بخير شيلدون؟» قالت ميشيل وهي تمسك بيدي. نظرتُ في أنحاء الغرفة وأنا أدعو ألا أرى أي سلاحٍ. «أنا بخير. لكني سعيد فقط لأننا ربما سنتمكن من الوصول إلى شيءٍ ما». عليَّ أن أبحث في أرجاء المنزل في وقتٍ لاحقٍ.

«ماذا عن الخاطفين لم يتصلوا بنا حتى الآن؟» سألتْ ميشيل.

نظر ستانتون إلى ميشيل ثمّ إلى دفتر ملاحظاته. «ليس لديّ جواب لهذا. الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أُفكر فيه هو أنهم سيتَّصلون بكم بطريقة أخرى. هل يوجد لديكم هاتف خلوي آخر، أو بريد إلكتروني أو أي شيء من هذا القبيل؟ أرجوكم أَبقوا أجهزتكم بين أيديكم وأخبرونا إذا سمعتُم أي شيء. أو إذا وصلكم أي بريد إلكتروني غريب أو أي اتصال أو أي شيء خارج عن المعتاد».

«أنت تتفقد بريدنا الإلكتروني أليس كذلك شيلدون؟» نظرتْ ميشيل إليّ. وضعتُ يدي على جيبي لأتفقد هاتفي وأنا أتجنب النظر إليها.

«نعم، جميع حساباتنا الإلكترونية موجودة هنا، لكن لا شيء حتى الآن».

«حسناً سأعود إلى عملي الآن لأرى إن كان هناك أي تطورات جديدة. أردتُ فقط أن أُطلعكما على كل ما يحدث».

«شكراً لك أيها المحقق». توقّف المحقق وتحدث إلى الضباط الآخرين ثم خرج من الباب الأمامي للمنزل.

«شيلدون، يبدو أن لهذين الشخصين اللذين قتلا علاقة بتومي. ما الذي يحدث؟ هل هذا يعني أنه سيقتل تومي أيضاً؟» قربتُها مني.

«لا. أعتقد أنهم يريدون شيئاً ما منا. ذلك الطفل قُتل لسببٍ آخر».

أفهمُ دافعَه لقتلِ محاسبةِ البنك، لكن لا يمكنني أن أفكر بأيّ سببٍ يدفعه لإنهاء حياة طفلٍ صغيرٍ إلا أنه يريد أن يهزأ بنا.

«مثل ماذا؟ أعتقد أننا تناقشنا في هذا الأمر من قبل».

«نعم، يبدو أن هناك شيئاً لا نعرفه». بدأتْ تبكي مجدداً وصعدتْ إلى الأعلى مُسرعةً. نظرتُ إلى الضابطين اللذين كانا يجلسان إلى طاولة القهوة ويطبعان على حاسوبيهما.

أتساءل كم من الوقت سيبقون هنا بعد. وهل ستصبح قضيتنا أقلَّ أهمية الآن بعد أن أصبح هناك جريمتان جديدتان.

لم أر آدامز منذ أيام، لذلك أعتقد أنه منشغلٌ بالقضايا الأخرى. قرّرتُ أن أبدأ البحث في أرجاء المنزل. بدأتُ من المطبخ. بحثتُ في الخزائن كلّها، لم أجدْ شيئاً. بحثتُ في الأدراج والأواني. لا أعرف أين يمكن لشخصٍ ما أن يُخبئ سلاحاً، ولا أعرف حتى إن كان صادقاً في أن السلاح في منزلي، ولكني أعرف أن عليَّ أن أجده قبل أن يجده أحد رجال الشرطة. مطبخنا صغيرٌ نسبياً لذلك لا يستغرق كثيراً من الوقت معي لكي أبحث في كل مكان فيه. انتقلتُ إلى غرفة المعيشة، التي تقع في الطرف المقابل للمطبخ. إنها غرفةٌ واسعةٌ، فيها طاولة كبيرة في وسطها مصنوعة من خشب الماهوغاني، وخزانتان على الحائط أهداني إياهما والدي عندما تزوجنا. ملأتْهما ميشيل بالصحون الزجاجية والفضيات، لذلك بحثتُ فيهما بسرعة ولكني لم أجد شيئاً. انتقلت بعدها إلى حمام الطابق السفلي وكان يضمُّ خزانةً واحدةً فقط، ولكنها كانت فارغة. دخلتُ غرفة الجلوس حيث يوجد رجال الشرطة. أدركتُ أن لا حاجة لي للبحث فيها مع وجود الضباط طوال الوقت، لذلك صعدتُ إلى الأعلى وبدأتُ من غرفة الضيوف على يمين الدرج. أستطيع

القول إنّ ميشيل كانت هنا اليوم، لأنّ رائحة الغرفة عطرة وتبدو نظيفة ومرتبة. سيأتي والداها غداً. بحثتُ تحت السرير الملكي الكبير وفي الخزانة، لا شيء هناك. تابعتُ البحث في كل الغرف في الأعلى، حتى غرفة تومي. توقفتُ فيها لفترة، استلقيتُ على سريره وأغمضتُ عيني. لا أستطيع فعل أي شيءٍ، فقط لاحظتُ التشابه الكبير بين هذه الغرفة والغرفة التي رأيتها في مقطع الفيديو. أعدتُ تشغيل مقطع الفيديو وشاهدتُه مرّاتٍ عدة. بعد قليل، عدتُ إلى الأسفل وتفقدتُ خزائن المطبخ مرة أخرى لأتأكّد. لَمّا أغلقتُ الباب شعرتُ بهاتفي يهتزّ. كان لديّ رسالة نصيّة. فتحتُ الرسالة وقرأتُها: «استمرّ في البحث، لقد اقتربت». ألقيتُ الهاتف على الطاولة ونظرتُ إلى السقف. بعد نصف ساعة، أحضرتُ السلم من الكراج ووجدتُ ما كنتُ أبحث عنه. كانت هناك كاميرا لاسلكية صغيرة مثبتة إلى جانب ضوء المطبخ. سحبتُها ونزعتُ الأسلاك الملفوفة حول أنظمة الإضاءة الكهربائية. كما توقعتُ، رنَّ هاتفي. إنها رسالة جديدة، «أحسنت شيلدون، استمر في البحث». عُدْتُ إلى كل الغرف التي بحثتُ فيها من قبل وأَزلتُ

ست كاميرات أخرى. حتى الحمام وجدتُ فيه واحدة، من حسن الحظ أن ميشيل نائمة. جمعتُ كل الكاميرات التي وجدتُها ووضعتُها تحت سُترتي التي أرتديها وأخذتُها إلى الكراج. وضعتُ الكاميرات على المقعد الأمامي للسيارة، وأدرتُ مفتاح السيارة، ولمَّا رأيتُ مجسَّم السيارة، الذي صنعتُه، على علبة المعدات، خرجتُ من الشاحنة وأنا أُمسِك السيارة. المرّة الأخيرة التي رأيتها فيها حين كان ستانتون يُمسكها في بيتنا مع عنوان سورينسون. قلّبتها بكل الاتجاهات لأبحث عن أي شيءٍ مكتوبٍ عليها، ولكن لا شيء. أعدْتُها إلى سيارتي، ولكني توقفت، وعدتُ وفتحتُ صندوق المعدات. إنه صندوق خشبي صغير مثبّت على الجدار فوق أدواتي الميكانيكية حيث أضع كل أدواتي في متناول اليد. لمَّا فتحتُه، شعرتُ أنّ قلبي قفز من مكانه. رأيتُ داخله مسدساً أسود صغيراً معلقاً في المكان الذي أُعلق فيه المطرقة عادةً. لا أعرف ماذا أفعل. جلستُ ونظرتُ إليه. بلا شعور، أمسكتُ قطعة قماش كانت قريبة مني وأمسكتُ المسدس بها وحملتُه إلى سيارتي. لا أصدق أني أحمل سلاح الجريمة. نظرتُ إلى المقعد جانب السائق حيث وضعتُ

الكاميرات الست والمسدس الصغير. لا أعرف ماذا أفعل؛ ربما تحمل هذه الأشياء بصماتٍ عليها قد تقود الشرطة إلى مكان تومي. رغبتُ الذهاب إلى مركز الشرطة لأُعطي كل شيء لستانتون، ولكني إذا كنت مخطئاً عندها ستنتهي حياة تومي. خرجتُ من الكراج، وعيني على المقعد المجاور لي. كان المسدس موجهاً نحو باب المقعد على الرغم من أني أعرف أن المسدس من الأسلحة الأكثر أماناً.

لقد خدمتُ في الجيش لعدة سنوات لذلك فأنا معتاد على السلاح، ولكن ليس على سلاح أُزهقتْ به روحان بريئتان. خرجتُ من مدخل المنزل. أنا على ثقةٍ من أن أحد رجال الشرطة سيوقفني قبل أن أبتعد كثيراً، لذلك أسرعتُ وتوجهتُ إلى الشارع. لا أعرف كم هي الساعة الآن، ولكن السواد حالك. تبدو هذه الليلة أكثر سواداً من أيّ ليلة مضت. لا أعرف لماذا خرجتُ أو إلى أين سأذهب. جلتُ جولاتٍ عدة فوجدتُ نفسي في الشارع الذي يعيش فيه دوغلاس سورينسون. توقفتُ عند منزله. يبدو كمستعمرةٍ ضخمةٍ، مساحته أربعة آلاف قدم تقريباً، لكني لستُ متأكداً لأن الأضواء قليلة هناك. ولكنه يبدو كبيراً،

أكبر من منزلنا بكثير. نظرتُ إلى الأعلى فرأيتُ أضواء عدة مُضاءة في الطابق السفلي. شعرتُ برغبةٍ شديدةٍ في التوقف هناك، ولكنني تابعتُ طريقي في الطرق الخلفية حتى لا أتوقف عنده. آخر ما ينقصني أن أقف إلى جانب الطريق ومعي سلاح الجريمة. بعد نحو خمس عشرة دقيقة، وصلتُ إلى مركز الشرطة الذي يعمل فيه ستانتون وآدامز. أردتُ أن أتوقف هناك لأُسلمهم كل ما لدي. مشيتُ ببطءٍ واقتربتُ من المدخل لكنني لم أدخل. شعرتُ بهاتفي يهتزُّ وأنا أُراقب انعكاس صورة مركز الشرطة في المرآة الخلفية وهي تختفي. ليست رسالةً نصيةً إنه اتصال هاتفي. أجبتُ بسرعة.

«كيف حالك شيلدون؟ إنه عملٌ رائعٌ أن تجد كل الكاميرات. أنا متأثر بهذا».

«لماذا تتجسَّس علينا؟ لماذا تركتَ ذلك المسدس في كراجنا؟» توقفتُ إلى جانب الطريق.

«لماذا شيلدون. لأني أحبك يا صديقي».

«لستُ صديقك ولا تفكر أبداً بمناداتي بهذا اللقب. والآن ماذا بشأن تومي؟ ماذا تريد مني أن أفعل؟»

«على رسلك شيلدون. يمكنني الإجابة عن سؤال واحد في كل مرة. في البداية... كيف عرفتَ أنني أنا من ترك المسدس؟ سأُخبرك بمهمتك الأخيرة في لحظات».

«أيّ لعبة تلك التي تلعبها معي، ولماذا تلعبها معي ومع أسرتي؟» بدأ القلق يعتريني حتى تخدَّر جسدي كله.

«يا... إنك كثير الأسئلة اليوم. اخترتُك لأنك الأقدر، لقد نفَّذت عملاً جيداً حتى الآن وأتوقع منك أن تستمر في هذا الأداء. بالمناسبة، أنا متأثرٌ جداً لأنك لم تُسلِّم أي شيء إلى رجال الشرطة. أعلم أنك كنت بالقرب من قسم الشرطة منذ قليل. إنّ مقاومة الإغراء من أصعب المهمات في الحياة». رأيتُ سيارةً تسير إلى جانبي أتساءل إن كان هذا هو. «هل هناك حاجة لأن أُذكرك بما سيحدث إذا استسلمتَ لتلك الإغراءات؟ هل استمتعتَ بالأمس بصور ذلك الطفل المسكين؟ أعتقد بأنها كافية لإبقائك بعيداً عن الشرطة. وإذا لم تكن كذلك فأرجوك أخبرني، يمكنني أن أُحضر لك المزيد». كنتُ أستشيطُ غضباً وهو مستمرٌّ في حديثه.

صرختُ عبر الهاتف. «لماذا فعلتَ هذا بذلك الطفل وبمحاسبة البنك أيضاً؟ إنهم أشخاصٌ أبرياءٌ».

«لأُثبتَ صحة أمرٍ ما شيلدون. أحياناً يوجد الأبرياء في المكان والزمان الخطأ، هذا يحدث دائماً في الصراعات الكبيرة».

بدأتُ أصرخ. «أنت شخصٌ مريضٌ جداً. وتحتاج إلى المساعدة».

«أنت محقٌّ شيلدون وهذا بالضبط ما ستفعله من أجلي، ساعدني، وعندها سأُساعدك. تذكَّر اتفاقنا. أنت تفعل ما أطلبه وأنا أعيد لك ما ليس ملكي».

حاولتُ أن أتحدث بهدوءٍ قدر ما أستطيع... أخذتُ نفساً عميقاً. «فقط أخبرني ما الذي عليَّ فعله». رأيتُ أضواء سيارةٍ أخرى تجتازني على الطريق.

«أولاً أريد منك أن تؤمِّن ذلك المسدس، لأنه قد يصبح في متناول يدٍ ما في أيام قليلة».

«ما الذي تتحدث عنه؟» رفعتُ مستوى الصوت حتى أصبح في أعلاه.

«سأصل إلى هذا. صحيح، تذكرت، لا تشغل نفسك بأمر الحصول على بصماتٍ من الأغراض التي بحوزتك فقد مُسحتْ جميعها». هززتُ رأسي ونظرتُ إلى الكاميرات والمسدس. «ستأخُذ المسدس إلى أحد المخازن حتى نحتاج إليه».

«ما الذي تتحدث عنه؟» نظرتُ إلى الساعة على لوحة القيادة، كانت تشير إلى ١١:٠٠ مساءً.

«في الحقيقة، لقد استأجرتُ مخزناً يفتح على مدار أربع وعشرين ساعة. إنه يقع فوق مكتب سورينسون بطوابق عدة. المكتب الذي دخلته قبل عدة أيام، حسناً لماذا لا تذهب إلى هناك وتضعه الآن». أعطاني التعليمات ورمزاً أيضاً، أعدتُ السيارة إلى منتصف الطريق واتجهتُ نحو بناء سورينسون. لمَّا أحكمتُ إغلاق الصندوق على السلاح رنّ هاتفي.

«هل وصلتَ إلى المكان؟» لقد بدأتُ حقاً أكره صوته. إن له صوتاً حاداً ومقززاً.

«فاجأتني بأنك لا تعرف».

«دعنا لا نناقش هذا الآن شليدون. هل أنت مستعدٌ لمهمتك الأخيرة؟» أومأتُ برأسي مؤكداً، ونظرتُ في كلا الاتجاهين وأنا أخرج من المخزن الفارغ، وذهبتُ باتجاه مكتب سورينسون. «يوم الأربعاء هذا الأسبوع؛ بعد ثلاثة أيام من الآن، أريد منك أن تذهب وتحضر ذلك المسدس مجدداً من المخزن وتوجهه نحو السيد سورينسون وتضغط على الزناد».

«ماذا؟» كاد الهاتف يسقط من يدي. «لن أُطلق النار عليه أبداً. أنت مجنونٌ. أَعِدْ إليّ تومي فقط، لقد انتهى الاتفاق».

«إن كان هذا ما تريده شيلدون، فأتمنى أن تكون قد استمتعتَ بصور الليلة الماضية لأنّ المرة التالية ستكون صور شيءٍ يخصُّك». لم أستطع الكلام أو الحراك. لم أعُدْ أعرف كيف أقود، لم أعد أعرف أي شيء. لا أستطيع قتل أحد.

«اسمع، سأفعل أي شيء تطلبه مني ولكن لا أستطيع قتل أحد. أعتذر. ألا يوجد شيء آخر يمكنني فعله؟»

«لقد عقدنا اتفاقاً. ماذا سأقول لولدك، إنك لم تفعل أي شيء لاستعادته؟»

«أنت وحش. أكرهك. سأقتُلك».

«وفّر غضبك هذا لعملك القادم شيلدون. أأنت مستعدٌّ لهذه المهمة أم لا؟»

لم أقل أي شيء. حدقتُ فقط بخطوط الطريق وتابعت أقود. نظرتُ إلى المقعد الفارغ بجانبي حيث كان السلاح.

«أريد جواباً شيلدون». بطريقةٍ ما، خرجتْ كلمة نعم من فمي. لقد وافقتُ لتوّي على قتل شخصٍ بريءٍ.

الفصل الثاني عشر

أمضيتُ عدّة ساعاتٍ بعدها وأنا أقود السيارة. كان عليّ التّزود بالوقود، لكن بدل أن أذهب إلى محطة البنزين شعرتُ بأني أدور حول نفسي. أعلم أنه من المستحيل عليّ أن أقتل شخصاً بريئاً، ولكن أيضاً لا يمكنني أن أدعَ مكروهاً يحصل لتومي. نظرتُ إلى الساعة، كانت تقريباً الثالثة صباحاً. عدتُ بالسيارة إلى منزلنا ومررتُ بمدخل المنزل حتى وصلتُ إلى الكراج. مكثْتُ فيه لفترةٍ طويلةٍ حتى فتح أحد رجال الشرطة باب المنزل ولوَّح لي. لوحتُ له بدوري ليعلم أني بخير، ثم عاد إلى الداخل. انتظرتُ عدة دقائق ثمّ خرجتُ من السيارة ودخلتُ المنزل. نظرتُ إلى صندوق المعدَّات، وأمسكتُ أنموذج السيارة ووضعتُه في جيب سترتي. ألقيتُ التّحيّة على رجال الشرطة الموجودين في غرفة الجلوس، ونظرتُ إلى صورتي في المرآة الكبيرة المعلقة على جدار الغرفة. الرجل الذي أرى

صورته في المرآة لا يبدو عليه أنه قادرٌ على ارتكاب جريمة قتل، ولكني تمكنتُ من إيداع مبلغ مليون ونصف المليون دولار مسروق في البنك، وتسللتُ إلى أحد المكاتب قبل عدة أيام، لذلك لم أعد أعرف على الإطلاق ما الذي أستطيع فعله أيضاً. اتجهتُ مباشرةً إلى الطابق العلوي، فرأيتُ ميشيل نائمةً في سريرنا. استلقيتُ إلى جانبها، وفي غضون ثوان أصبحتُ في عالم آخر. لا أعرف بالضبط كم من الوقت نمتُ، ولكن لمَّا استيقظتُ، كانت الشمس قد أشرقتْ ولم تعد ميشيل إلى جانبي. بحثتُ عن ساعة المنبه خلف رأسي، ولكنها لم تكن هناك، بحثتُ عن هاتفي فلم أجده أيضاً. نهضتُ بسرعة من سريري وأسرعتُ إلى الصالة. توقفتُ عندما رأيتُ ميشيل تجلس على سرير تومي. كانت تضع ملابسه كلها إلى جانبها. دخلتُ الغرفة. لا يمكنني أن أتوقف عن التفكير في مقطع الفيديو.

«ماذا تفعلين؟» رأيتُها وهي تدير رأسها ببطءٍ نحوي وتنظر إليّ.

«اشتقتُ إليه فقط». كانت تضع ملابس البيسبول الخاصة به في حضنها. «إنه حتى لم يرتدِ هذه الملابس». قرَّبتْ الملابس من وجهها.

«سنستعيده». جلستُ إلى جانبها. لستُ متأكداً من أنني قادرٌ على فعل ما يريده مني لأستعيده. مددتُ يدي ولمستُ ملابس البيسبول الناعمة الملونة بالأحمر والأبيض. كان من المفترض أن يلعب لعبته الأولى في البيسبول منذ عدة أيام. إنها أول سنةٍ يقرر فيها أن يلعب كرة البيسبول. لم يكن مهتماً بها قط حتى السنة الماضية حين جاء إلي يخبرني أنه يريد أن يُجربها. كنّا نعمل كل ليلةٍ على ضرب الكرة ورميها حتى امتلأتْ أيدينا باللُّصاقات الطبية، ولكنه كان مستعداً. كنا متحمسين جميعنا لمباراته الأولى. لا أعرف حتى إن كانوا قد لعبوا المباراة أم لا. أعتقد أنها كانت ستُقام في اليوم نفسه الذي ذهبتُ فيه إلى الملعب، ولكني لا أعرف أبداً إن كانت قد أُقيمَتْ أو لا. أغمضتُ عيني وحاولتُ أن أتخيل تومي يقف على القاعدة الثالثة في الملعب. «كم الساعة الآن؟»

«إنها الثانية عشرة تماماً». ذُهلت عندما نظرتُ حولي ورأيتُ الوقت على ساعة تومي. لا أُصدق أنني نمتُ كل ذلك الوقت. «أعتذر لقد نمتُ كثيراً».

نظرتْ ميشيل إليّ. كان شعرها مربوطاً على شكل ذيل حصان. «أنا سعيدة لأنك نمتَ كل هذا الوقت. وضعتُ هاتفك في الأسفل ليُنهِي شحنه».

نظرتُ إلى ملابس البيسبول مجدداً. «شكراً لكِ». وضعتْ يدها على يدي. «أين ساعتنا؟»

«إنها في غرفة الضيوف. أردتُ لك أن تنام قدر ما تستطيع. أعلم أنك دائم النظر إلى الساعة». حاولتُ أن أبتسم ولكن شفتيَّ لم تُطاوعاني. «لماذا أنت متأكّد جداً من أننا سنستعيده؟ لقد مضى على غيابه أسبوع حتى الآن».

نظرتُ بعيداً. أردتُ أن أخبرها أنني لم أعُدْ متأكداً، لأني لا أعتقد أنه يمكنني أن أقتل رجلاً، ولكن بدلاً من ذلك قلتُ لها «فقط أعرف».

«أتمنى ذلك. هل ستخرج اليوم؟»

«لا أعرف. ربما أذهب إلى مركز الشرطة لأرى إن كان بإمكاني أن أعرف شيئاً ما».

نظرتْ إليَّ بفضولٍ. «أنا متأكدٌ من أنه لا جديد لديهم، ولكن مجرد الذهاب إلى هناك والسؤال يجعلني أشعر بأنني أفعل شيئاً ما». أومأتْ برأسها. لا أصدق أن اليوم هو الاثنين، بقي يومان للأربعاء.

«اضطر رجال الشرطة إلى المغادرة، لذلك فنحن بمفردنا الآن».

«ماذا؟»

«جاء ستانتون هذا الصباح وقال إنه من الأفضل أن يذهبوا للاستقصاء عن الجريمتين علَّنا نقترب من تومي. لقد تركوا كل معدّات الاتصال هنا وقالوا لي بأن نتصل بهم مباشرة في حال سمعنا أي شيء».

«إذاً، فهم يعتقدون أن الخاطفين لن يتصلوا بنا، صحيح؟»

«أعتقد هذا، لكنهم ربما يشعرون بأنهم سيكونون أفضل حظاً بالعمل على الجريمتين الأُخريين».

«أنا خائفةٌ جداً عليه إن كان لا يزال حيّاً». نظرت إليها.

«إنه حيٌّ ميشيل». نظرَتْ من النافذة. كانت الشمس تشعُّ عبر الستائر المفتوحة قليلاً.

«لماذا أنت متأكّد كثيراً؟ هل هناك شيء ما لم تخبرني به؟» نظرتُ إلى السقف، إلى الضوء حيث وجدتُ الكاميرا. كانت مثبتةً قرب الضوء، من المستحيل أن تراها ما لم تكنْ تبحث عنها. أعلم أنّ هناك أدوات تسجيل هنا في مكان ما.

«أنا متأكد فقط. أعلم أننا كنا لنسمع أي شيء عنه لو أنه لم يكن بخير».

«كيف تعرف أنه ليس مستلقياً في الغابة في مكان ما وينتظرنا أن نجده؟» قرّبتها مني.

«ميشيل، ربما هو فقط في الثالثة عشرة، ولكننا ربيناه على أن يكون قادراً على تدبر أموره. إن كان في مأزق ما فأنا متأكد من أنه سيعرف ماذا يفعل. علينا فقط ألاّ نفقد الأمل، نعطي فرصة للشرطة».

«لقد مضى أسبوع. أعتقد أنَّها فرصة كافية».

«إنهم يفعلون ما بوسعهم». أبعدتْ يدي عنها.

«كيف عرفتَ هذا؟ أنت لم تكن في المنزل قط». حاولتُ أن أعانقها مرة أخرى، لكنها ابتعدتْ عني.

«هذا الشيء الوحيد الذي أستطيع عمله ميشيل. أشعر أنَّ عليّ أن أبحث عنه».

«علينا أن نبحث عنه أكثر. سأُنظِّف غرفته». وقفتْ بهدوء فقبّلتها على جبينها. بقيتْ عيناها معلَّقتين على ملابس البيسبول وأخذتْ تطويها بترتيبٍ مع الملابس الأخرى. مشيتُ إلى الباب وراقبتُها وهي تطوي قمصاناً عدة أخرى. أردتُ حقاً إخبارها كيف أعرف أن تومي بخير وأن أُريها مقطع الفيديو ولكني لا أستطيع، لذلك خرجتُ من الغرفة بسرعةٍ ونزلتُ الدرج. وجدتُ هاتفي موصولاً بقابس المطبخ. تفقدّته لأجد إن كان فيه أيّ رسائل جديدة. لم أجد شيئاً، لذلك سكبتُ بعض الحبوب، وجلستُ إلى طاولة المطبخ. قررتُ أن أشغِّل التلفاز في المطبخ، إنه شاشة مسطحة صغيرة (٢٢ بوصة)، اشتريناها من أجل ميشيل لتشاهده وهي تطبخ. شغَّلته على قناةٍ محليةٍ فكان أول شيءٍ أراه هو صورة محاسبة البنك الشابة. عرض مذيعو الأخبار صوراً لها ولخطيبها. لا أصدق كم تبدو صغيرة السن. ثم عرضوا صورة لمحيط البنك وشعرتُ عندها أن قلبي قد تسارعتْ دقاته لرؤية ذلك المكان مرة أخرى. بسرعةٍ

أغلقت التلفاز وقررتُ أن أتصل بجيم وبريان. طلبتُ رقم جيم أولاً، فأجاب من الرنة الثانية.

«أهلاً شيلدون، هل من جديد؟»

أومأتُ برأسي وأجبتُه بـ لا. «هل كنتما أوفر حظاً مني وعرفتما كيف جرى تهكير الموقع؟»

لم أسمع شيئاً لدقيقة. «أخبرتك أن البحث أوصلنا إلى الشخص الذي يُدعى سورينسون. حسناً، لقد تبيّن أن حاسوبه يستخدم كحاسوبٍ مهاجمٍ».

«ماذا تعني بهذا؟»

«تمكن بريان من الوصول إلى حاسوبه واكتشف وجود العديد من الملفات التي جرى تنصيبها لتشغيل برامج خبيثة. الحاسوب يستخدم كمنصةٍ للهجوم، لذلك أغلقنا الموقع. أتمنى ألّا تُمانع في هذا».

وقفتُ ونظرتُ من النافذة التي تطلُّ على الباحة الخلفية للمنزل. رأيتُ طائراً أزرقَ صغيراً يغادر الغصن ويطير في السماء. «لا، أبداً. افعلا ما تريانه مناسباً. هل تمكنتما من معرفة المكان الذي جاءت منه تلك البرامج؟»

«ليس بعد، لكن بريان يعتقد أن بإمكانه تتبعها إلى أصلها. أنت تعرفه كيف يعمل. إنه لا يستسلم أبداً». أومأت برأسي. «يعتقد أنه بالربط بين الفيروس الذي كان موجوداً في مخدماتنا وما اكتشفه عن البرامج الخبيثة، سيصل إلى منشأ هذا كله. قال إن الأمر فقط سيستغرق عدة أيام». أردت أن أقول له إنه لم يتبقَّ لدي إلَّا عدة أيام بعد، ولكني شكرته على هذا ووعدني بأنه سيتصل بي عندما يتمكن بريان من اختراق الرمز السري. أعرف أنه سيتمكن في النهاية من فعل هذا. هذا الشخص بارع في الوصول إلى نهاية الأشياء، لن يستسلم حتى يصل إلى غايته. أذكر أنه في السنة الماضية واجهتنا مشكلة غامضة مع الطابعات، كانت تنطفئ وحدها من دون سبب واضح لهذا. استمرت هذه المشكلة أسابيع عدة. أتيت إلى العمل في الصباح فوجدت بريان نائماً على الأرض أمام إحدى أكبر الطابعات حيث أمضى الليل وهو يحاول إصلاحها. اكتشف أن هناك من أعطى أحد المخدمات أمراً بأن تغلق الطابعات في منتصف النهار، ولكنه لم يكن ظاهراً لنا على الإطلاق. اكتشف بريان هذا الأمر وحلَّ المشكلة. أمر رائع أن يكون في فريق عملك شاب مثله.

«شكراً لكما على ما تقومان به. أرجوك أخبرني بكل ما تصلان إليه».

«لك ذلك. سنُمسك بهذا الرجل».

«عظيم. لكن لا تخبرا الشرطة قبل أن تُعلماني بذلك، اتفقنا؟»

«لا مشكلة. هل هناك شيء آخر يحدث؟ ألا تعتقد أن ما يحدث له علاقة باختفاء ولدك، أليس كذلك؟»

«لا أعتقد هذا، ولكن أريد أن أتأكد».

«حسناً. سنستمر في البحث. أخبرني إذا سمعتَ أي شيءٍ عن تومي». أغلقتُ الهاتف، وما إن وضعته في جيبي حتى بدأ يهتز. إنها رسالة نصية جديدة. قرأتُها بسرعة. كانت تقول: «أتمنى أن تكون على ما يرام شيلدون. ستصلك تفاصيل أكثر عن ليلة الأربعاء». كالعادة اختفَتْ الرسالة مباشرةً بعد أن أنهيتُ قراءتها. فجأةً، خطرت لي فكرة. ارتديت سترتي وتوجهت إلى السيارة. كانت الكاميرات لا تزال موجودة على المقعد الأمامي. ذهبتُ مباشرةً إلى العمل. دخلتُ من باب الصيانة لأتجنَّب رؤية أي شخص. لحسن الحظ مكتب فريق المعلوماتية بالقرب من قسم الصيانة، ومكتبي في الزاوية

اليمنى. دخلتُ مكتب الصيانة. لحسن الحظ لم يكن فيه أحد لذلك اتصلت بجيم وبريان ليأتيا إليَّ. بعد دقيقة، ظهرا من الباب ونظرة الدهشة تعلو وجهيهما.

«ما الذي تفعله هنا؟ لقد كنت أتحدث معك للتو». أومأتُ برأسي وقرّبتُ الكرسي من طاولة المكتب.

«رجاءً ادخلا وأغلقا الباب». دخلا ببطءٍ وجلسا على كرسيين أمامي. رأيتُ نظرة الترقب على وجهيهما. «كنتُ أتساءل إن كان بإمكانكما أن تُلقيا نظرة على هذا». أشرتُ إلى كومة الكاميرات الموجودة على المكتب. اقتربا أكثر. التقط بريان إحدى الكاميرات بيده، قلّبها وأمعن النظر فيها.

«هل هذه كاميرات IP[1]؟» أومأتُ برأسي. «من أين حصلتَ عليها؟»

«دعني أقُل فقط إني وجدتها وأحتاج إلى معرفة أي شيء يمكن اكتشافه عنها».

---

(١) أحد أنواع كاميرات الفيديو الرقمية التي تستخدم عادة في المراقبة. المترجمة.

نظرتُ إلى الكاميرات. كانت كلُّ واحدةٍ منها بحجم البطارية. «أريد معرفة عنوان الـ IP [1] مثلاً وإلى أين كانت تبث وتُرسل صورها».

«هذا يبدو صعباً، لكن ربما أستطيع الوصول إلى شيء ما من خلال الذاكرة إن لم تُمسح». أومأتُ برأسي لبريان ونظرتُ إلى جيم الذي أومأ لي كما لو أنه فهم ما قصده بريان.

«هل هذا له علاقة بأشياء تخصُّ الموقع الإلكتروني؟» أومأتُ لجيم مرة أخرى. مدّ يده وجمع الكاميرات المتبقية. تفحّص بريان الكاميرا التي أمسكها بِحذر.

«أكره أن أقول هذا ولكن هل يمكنكما أن تبدأا العمل على هذا الآن. أعني أن تنهيا هذا العمل أولاً. وسأدفع لكما».

هزّا رأسيهما. «لا، لا تفكر في هذا حتى. إن كان لهذا الأمر أيّ علاقة بما أعتقد أن له علاقة به، فستفعله الآن مباشرةً». حاولتُ وابتسمتُ لجيم.

«يمكنكما استخدام مكتبي إن أردتُما. كيف تجري الأمور هنا؟»

---

(١) عنوان الـ ip هو علامة رقمية تخصص لكل جهاز إلكتروني. المترجمة.

وضع بريان الكاميرات بسرعة على مكتبي. «كان العمل بطيئاً لأيامٍ عدة بعد إبطال عمل الفيروسات. نعمل على تحديث السيرفرات الآن».

«هذا يبدو جيداً... أنتما أفضل شخصين في هذه الشركة». وقفتُ ووضعت يديَّ على كتفيهما. «يجب أن أذهب الآن. أرجوكما لا تذكرا أي شيءٍ عن هذا الموضوع أمام أحد، ولا تذهبا إلى الشرطة قبل أن تتحدثا إليّ».

نظر جيم إليّ. «هل أنت متأكد أنه ما من شيء آخر تريد أن تحدثنا عنه». أومأتُ برأسي وشكرتهما مرة أخرى. تجوّلتُ بالسيارة لعدة ساعات، مررتُ بمكتب السيد سورينسون ومنزله مراتٍ عدة. أغراني الوقوف عندهما، ولكني تابعت القيادة إلى أن قررت العودة إلى المنزل. كانت ميشيل في المطبخ تتناول بعض الحبوب. تحدثنا للحظات ثم صعدتُ إلى الطابق العلوي ودخلتُ غرفة تومي وجلستُ على سريره. كانت الغرفة نظيفة والملابس كلها قد وضِعتْ في مكانها. فتحتُ مقطع الفيديو وتخيَّلتُ تومي جالساً في الغرفة إلى جانبي. حاولتُ أن أتخيَّل نفسي وأنا أطلق النار على سورينسون،

ولكنني لم أتمكن من هذا. لا أعرف ماذا سأفعل. لا يمكنني أن أخذل تومي، وفي الوقت نفسه لا يمكنني أن أقتل شخصاً بدمٍ باردٍ. شاهدتُ مقطع الفيديو مرّاتٍ عدة حتى سمعتُ ميشيل تنادي باسمي لتخبرني بأن لديّ مكالمة هاتفية. أسرعتُ إلى الأسفل، وأخذتُ الهاتف.

«مرحباً».

«مرحباً سيد سميث، أنا دوغلاس سورينسون. لقد أتيتَ إلى مكتبي منذ أيام عدة». شعرتُ بأن أمعائي تتخبَّط عندما أدركتُ أنَّ عليَّ قتل هذا الشخص بعد يومين. كانت ميشيل تنظر إليَّ وهي تتساءل مع من أتحدث. همستُ لها بأنه سورينسون. لكنها رفعتْ كتفيها بأنها لا تتذكره.

«كيف حالك؟» اتكأتُ على الطاولة.

«أنا بخير. أتذكُر أنَّك طلبتَ مني أن أُخبرك إن تمكنتُ من الوصول إلى أي شيء يساعدك في إيجاد ولدك». شعرتُ عندها بأنَّ شيئاً من الإثارة بدأ يظهر عليّ. نظرتُ إلى ميشيل التي كانت تنتظر جواباً آخر مني. «حسناً أعتقد أنَّ لديّ شيئاً ما. ولكني لست

متأكداً إن كان سيساعدك أو لا، ولكن الشاب الذي ظهرت صورته في كاميرات المدرسة كان موكلاً سابقاً لدي».

«ماذا؟» شعرتُ أن ميشيل اقتربت مني أكثر. «هل أنت متأكد؟»

«نعم. ملفه لدي هنا. اسمه فرانك هاريس. لم أذهب إلى الشرطة بعد. اعتقدتُ أن عليَّ أن أُخبرك أنت أولاً». اقتربتْ ميشيل لتسمع.

«هل لديك عنوانه؟» لا أُصدق هذا. قد نصل إليه. أعطاني سورينسون عنواناً في البلدة المجاورة لبلدتنا. يقول إنه عنوانه منذ سنوات عدة، ولكن حسب ما يعرفه عنه فإنه لا يزال صالحاً. شكرتُه مراتٍ عدة. أغلقتُ سماعة الهاتف وعانقت ميشيل. أسرعنا إلى الكراج وأخرجتُ سيارتي منه بسرعة.

الفصل الثالث عشر

«ألا يُفترض بنا أن نتصل بستانتون ونعلمه بما نفعله؟»

أومأتُ برأسي. «دعينا فقط نتأكد من هذا أولاً». وصلنا إلى حيٍّ مجاورٍ يسكنه أُناس من الطبقة الوسطى. يُشبه الحي الذي نعيش فيه، لكن منازله أحدث قليلاً، والساحات مرتبة أكثر. دخلنا عدة مداخل واستمعنا إلى صوت المرأة الناعم على جهاز تحديد المواقع الـ GPS وهو يدُلنا على الطريق. دخلنا ببطءٍ في طريقٍ ضيقٍ صغيرٍ فيه عدة منازل فقط. إنه زقاقٌ مغلقٌ في نهايته، ومن الواضح أنّ منازل الحي الكبيرة موجودة فيه. كانت الأشجار تغطي جانبي الطريق، ومن الصعب رؤية أرقام المنازل، ولكن عند وصولنا إلى دوار صغير في نهاية الطريق صاح جهاز تحديد المواقع: «وصلتَ الوجهة المقصودة». نظرتُ أنا وميشيل إلى بعضنا بعضاً. أشعر بالإثارة تعترينا ونحن نقف أمام منزلٍ قرميديٍّ كبيرٍ، يبدو من مظهره الخارجي أن أصحابه يعتنون به. لا

توجد شجيرات في غير مكانها، والباحة خضراء شُذِّبَت على شكل خطوط متوازية. لا أعرف تماماً ما الذي يجب علي فعله، هناك سيارتا بي أم دبليو BMW حديثتان عند مدخل المنزل.

«ماذا نفعل؟» ركنتُ السيارة في منتصف الدوار بعيداً عن المنزل.

«أعتقد أنَّ علينا أن نرى إن كان تومي هنا».

«ألا يجدر بنا أن نتصل بالشرطة الآن شيلدون». نظرتُ حولنا. كان أقرب منزل إلينا يكاد يُرى عبر الشارع، ويبدو أن لا أحد فيه. أوقفتُ محرك السيارة.

«ماذا تفعل؟»

«سأذهب إلى هناك لأُلقيَ نظرةً فقط. لماذا لا تبقين هنا في حال حدوث شيءٍ ما؟» أومأتْ برأسها، ولكنها بدتْ متوترةً قليلاً. «لديَّ شعور جيد».

«إن لم تعدْ في خمس دقائق فسأتصل بستانتون».

«هذا جيد». اقتربتُ منها وقبَّلتُ وجنتها. «أحبك».

«أحبك أيضاً. أرجوك كن حذراً». خرجتُ من السيارة بهدوء، ورأيت ميشيل تجلس على مقعد السائق وتشغِّل محرك السيارة مجدداً. لوحتُ لها وأنا أسير نحو المنزل. للمنزل مدخلٌ كبيرٌ وإلى يمينه صفٌّ من الأشجار الكثيفة والشجيرات. تسللت إلى طرف الباحة، كان المنزل بعيداً عن الشارع، لذلك لا يمكن لأحد أن يراني ما لم يكن ينظر من نافذة الطابق العلوي. أتمنى أن يكون تومي في إحدى تلك الغرف. تخيَّلتُ أني أدخل إلى غرفة النوم التي كان موجوداً فيها وأخرجه منها. شعرتُ بدقات قلبي تتسارع وأنا أتنقل بين الشجيرات. لحسن الحظ أن ارتفاعها لا يتعدى ركبتي، أستطيع أن أقفز فوقها. اتجهتُ إلى أقصى يمين المنزل وبقيتُ متوارياً خلف الأشجار. لا أعرف ما الذي أبحث عنه أو ما الذي سأفعله بالتحديد، ولكني أعرف أن عليّ أن أستمر في التقدم. بعد عدة دقائق، أصبحت بمحاذاة المنزل تماماً. توجد نافذتان جانبيتان في الطابق الثاني، ولكني بعيد عنهما جداً لأعرف إن كان فيهما أحد أم لا. قرّرتُ أن أُكمل حتى أصل إلى الجهة الخلفية من المنزل. توقفتُ فجأةً عندما سمعتُ أصواتاً. جثوتُ على ركبتيَّ إلى

جانب شجرة كبيرة واختلستُ النظر. رأيتُ رجلين على بعد خمسين ياردةً يقفان قرب المسبح المغلق، كانا ينظران نحوي، أعينهما تقدح شرراً وهما ينظران إليّ. انتقلتُ إلى وضعية الانبطاح، إنها الوضعية التي كنت أرتاح بها في الجيش. بقيتُ دون حراك. أستطيع سماعهما يتحدثان وقد تعالتْ أصواتهما. رفعتُ رأسي ببطء، إنهما يسيران نحوي يحملان بندقيتين يدويتين أمامهما، كانا يرتديان قمصين وربطتي عنق ويبدو أنهما في الثلاثينات أو الأربعينات من العمر. لا أعرف ماذا أفعل، لذلك زحفتُ عائداً في الاتجاه الذي أتيت منه. حاولتُ أن أبقى هادئاً قدر ما أستطيع، ولكن مع كل هذه الأغصان الصغيرة تحتي لا بد أنهما سيسمعانني. لذلك قررتُ أن أقف وأعدو. ركضتُ بسرعة بين الأشجار وقفزتُ فوق الشجيرات الصغيرة حتى وصلتُ إلى مدخل المنزل. سمعتهما يصرخان بي ولكني لم أتوقف. ركضتُ نحو سيارتي وقفزت في مقعد الركاب ما سبب الهلع لميشيل التي قادتْ السيارة بسرعة نحو الطريق العام. نظرتُ خلفي، كان الرجلان يركضان خلفنا ويلوّحان ببندقيّتيهما مهددين، ولكنهما لم يطلقا النار علينا. تابعنا طريقنا

وشرحتُ لميشيل ما حدث معي فأصرَّتْ على أن نُخبر ستانتون بهذا. وافقتُ وطلبتُ منه أن يلتقينا بعد ربع ساعة في الجوار.

«إذاً، ما رأيك بهذا؟» أوقفتْ ميشيل السيارة إلى جانب الطريق.

انقطعتْ أنفاسي. «لا أعرف ما الذي يحدث هناك، لكنهم رأوني ولحقوا بي».

«هل تعتقد أن تومي معهم؟»

أومأتُ. «لا أعرف. وصلتُ فقط إلى الجهة الخلفية من المنزل، لكن أحدهما يشبه الشاب الذي رأيناه في الصورة الملتقطة في المدرسة». رأيتُ ميشيل تبتسم. «صعُب عليّ التأكد من هذا لأنهما كانا بعيدين».

«أتمنى أن يكون هناك شيلدون. كم مضى من الوقت على اتصالنا بستانتون؟» نظرتُ إلى الساعة. «مضى تقريباً خمس عشرة دقيقة». بعد دقيقة وقفتْ سيارة ستانتون إلى جانبنا، أخبرتُه حرفياً بما حدث معنا، وبأنّ أحد الرجلين يشبه الشاب في صورة المدرسة. رأيتُ تعابير وجهه قد تغيَّرتْ من شخصٍ لا يصدق ما يسمعه إلى شخصٍ يشعر بالإثارة.

«سأذهب إلى هناك وأرى ما يحدث». نظر إلى الطريق.

«سآتي معك». مشيتُ نحو باب الركاب.

«تعرف أنه لا يمكن أن أسمح لك بهذا». تجاهلتُ كلامه وجلستُ إلى جانبه. أطفأتْ ميشيل محرك السيارة. «سنعود بسرعةٍ. ابقيْ في مكانك. اتصلتُ ببعض رجال الشرطة الآخرين لذلك قد ترين بعض السيارات بالقرب من هنا». أومأتْ. أعتقد أن ستانتون لا يريد أن يذهب بمفرده، لذلك وافق على مضض على أن أذهب معه. إضافةً إلى معرفته أنه لا يمكنه أن يتخلص مني إلا إذا أجبرني. أرشدته إلى طريق الحي ووقفنا أمام المنزل. كانت سيارتا الـ BMW لا تزالان موجودتين هناك، ولكن لا يوجد أثر للرجلين. خرجنا من السيارة ومشينا في مدخل المنزل. استقرّت يد ستانتون على مسدسه عندما وصلنا إلى الباب الأمامي. كان باباً مزدوجاً مطليّاً باللون الأخضر الداكن. طرق ستانتون الباب بقوة، ولم يُجِبْه أحد. استمرَّ في الطرق على الباب وبعد دقيقة أشار إلي أن أبتعد إلى الوراء. كان ينظر إلى نافذة الطابق الثاني فوق الباب مباشرةً. «هل ترى ذلك؟»

«ماذا؟» نظرتُ إلى الأعلى، إلى النافذة. اختلطتْ مشاعري.

«هناك حركة في الأعلى. لاحظتُها ونحن نسير إلى هنا». فجأةً لم أعد أعرف هل أصرخ أم أكسر الباب، ولكني بقيتُ واقفاً إلى جانب ستانتون حتى فُتِح الباب الأمامي فجأةً. سحب ستانتون مسدسه قليلاً من جعبته وظهر أمامنا رجل طاعن في السن.

«كيف أستطيع مساعدتكم أيها السادة؟» كان صوته حاداً ناعماً. يبدو وكأنه قد استيقظ للتو من نومه. كانت ملابسه مجعدة، وشعره مبعثراً في كل الاتجاهات.

رفع ستانتون بطاقته وعرّف نفسه. «نريد أن نسألك بضعة أسئلة».

«بشأن ماذا؟» سمعتُ بعض الأصوات خلف الرجل. انحنى ستانتون إلى الأمام قليلاً حتى ظهر له كلب صيد ذهبي ضخم عبر الباب.

«ابقَ هنا باستر».

«قبل قليل كان يوجد رجلان هنا. أريد أن أسألهما أسئلة عدة».

استدار الرجل ونظر إلى الداخل. «لا يوجد أحد هنا غيري أنا وباستر». شعرتُ بأنّ الدم يصعد إلى رأسي. وكأني سأنفجر.

«كانا في الحديقة الخلفية لتوهما». قلتُ له.

هزّ الرجل كتفيه بأنه لا يعرف. «فقط أنا وباستر».

اقترب ستانتون من الرجل العجوز. «هل تُمانع إن ألقينا نظرةً على المكان لنتأكد؟»

رفع الرجل العجوز يديه وابتعد عن الباب. تبعتُ ستانتون إلى داخل المنزل، دخلنا بهواً كبير جداً له درج مزدوج يقود إلى الأعلى من الجانبين. المنزل مزيّن بطريقة رائعة، فيه تماثيل صغيرة ومنحوتات موضوعة في كل مكان. دخل ستانتون غرفة الطعام التي تحوي على طاولة كبيرة، والجدران مغطاة بمجموعاتٍ أثريّة من الصحون والأواني الفضية التي لا بد أنها تساوي ثروة. نظرتُ خلفي فلم أرَ أياً من الرجل أو الكلب. تابعنا سيرنا ودخلنا الغرفتين المجاورتين، كانتا غرفتي جلوس مزينتين بطريقة رسمية جداً. أشعر أني في متحفٍ. يبدو أن ستانتون لم يلحَظ هذا. تابع سيره. وصلنا إلى المطبخ. إنه أكبر مطبخٍ أراه في حياتي، فيه ثلاثة رفوف كبيرة وفرنا غاز كبيران وخزائن أكثر بكثير من أن يتمكن امرؤ من ملئها بالأشياء، ليس هناك أي أثرٍ لتومي أو للرجلين. يطلُّ المطبخ على المسبح المغلق حيث رأيت الرجلين يتحدثان فيه

ولكن يبدو أنهما لم يعودا هناك على الإطلاق. تابعنا البحث في الطابق الأول من المنزل ولم نجد أحداً. عدنا إلى البهو وصعدنا الدرج. لا أثر للرجل العجوز أو للكلب، ولايزال الباب الأمامي مفتوحاً. وصلنا إلى ممرٍّ ضيّقٍ طويلٍ فاستدار ستانتون إلى اليمين. شعرتُ بالإثارة وبأن كل عضلة في جسدي مشدودة. أكاد أستطيع أن أتنفس. لا أزال أتخيّل أن تومي في إحدى هذه الغرف. فتح ستانتون الباب الأول بسرعة، تبدو كأنها غرفة للضيوف. في زاويتها سريرٌ غير مرتب. تابعنا السير في الممر ووصلنا إلى غرفة النوم الرئيسة، لا شيء يدل على وجود الغرفة التي رأيتها في مقطع الفيديو. توقف ستانتون ونظر إلى الغرفة الرئيسة، فرأينا أغطيةً مجعدةً، يبدو أن أحدهم كان نائماً هنا. تبعتُه إلى داخل الغرفة وهو يفتِّش الخزائن وحمام الغرفة الكبير، ولكن لم يكن هناك أثر لأي أحد. غادرنا الغرفة وتوجهنا إلى الطابق السفلي عندها توقفتُ فجأة. مشيتُ بسرعةٍ نحو خزانةٍ صغيرةٍ وأمسكتُ بصورةٍ وُضِعَتْ فوقها. وقف ستانتون خلفي ليرى إلى ماذا أنظر ثمَّ أخرج من جيبه صورة للرجل الذي أخذ تومي من المدرسة ووضعها إلى جانب الصورة التي وجدناها. إنه الرجل نفسه في الصورتين.

«إنه هو». صرختُ. أمسك ستانتون الصورة المؤطرة ووضعها تحت ذراعه وكاد يتعثر بباستر لمَّا سمعنا صوت دوي عالٍ في الخارج. تبعته مباشرةً إلى أسفل الدرج. سلاحه أمامه وعيناه تبحثان في كل اتجاه. وصلنا أسفل الدرج ودخلنا البهو الكبير. أشار إليّ أن أبقى ساكناً في مكاني حتى يسترق النظر إلى الخارج من الباب المفتوح. في الوقت نفسه، سمعنا صوت محرك سيارة وعجلات تتحرك في مدخل المنزل. خرج بسرعة من الباب الأمامي وتبعتُه ببطءٍ إلى الخارج فرأيتُه منحنياً فوق الرجل العجوز. كان غارقاً في بركةٍ من الدماء وسط المدخل. أدرتُ وجهي بسرعة عندما رأيتُ باستر يركض نحو صاحبه. توقف الكلب وجلس بانتباهٍ عند رأس الرجل العجوز، ووضع ستانتون يده على رقبة العجوز ليرى إن كان لا يزال على قيد الحياة أم لا، ثم تحدث على جهازه اللاسلكي. كانت إحدى سيارتي الـBMW هي التي ذهبت. نظرتُ إلى الطريق فلم أر أي شيء يتحرك. أعتقد أن ستانتون قد أعطى معلوماتٍ لرجال الشرطة بأن المشتبه بهما يقودان سيارة BMW. أشار إليّ أن أقترب منه.

«سيد سميث. هل ألقيتَ نظرةً على تلك السيارة؟»

أومأتُ برأسي. «لمْ ألحظ أكثر من كونها سيارة BMW داكنة. لا أعرف. أعتقد أنها أكبر من هذه». أشرتُ إلى السيارة الخضراء الداكنة التي كان ستانتون يقف أمامها. أعتقد أن نمرتها ٥٠٠ أو ٧٠٠، لكنني لستُ متأكداً. سمعتُ أصوات سيارات الشرطة قادمة من بعيد. نهض ستانتون ومشى خلف السيارة الثانية، وبقي باستر جالساً في مكانه.

«لقد مات». نظر ستانتون إلى الرجل العجوز وهزّ رأسه بأسف. «لا أصدق. كيف حدث هذا؟»

أومأتُ واقتربتُ من الكلب. مسحتُ على رقبته وحاولتُ أن أُبقي نظري بعيداً عن الرجل الميت. عاد ستانتون إلى المنزل. إنه يكتب شيئاً ما في دفتر ملاحظاته. وبعد دقيقتين، انتشرتْ أضواء الفلاش الزرقاء وأصوات صفارات الإنذار في مسرح الجريمة مسببةً وميضاً ضبابياً أزرق كثيفاً. بقيتُ جانب باستر عندما اقترب طبيبا الإسعاف من الرجل الميت. عشرة ضباط تقريباً تبعوا ستانتون إلى المنزل. يمكنني سماع صوته وهو يطلب منهم البحث في كل الاتجاهات. استدار اثنان أو ثلاثة منهم وخرجوا من الباب

واتجهوا إلى الجهة الخلفية من المنزل. أعتقد أني عرفتُ واحداً منهم لقد كان في منزلنا في الأيام القليلة الماضية. رأيتُ سيارات الإسعاف تملأ الدوار ومدخل المنزل، والناس يصطدمون بي وبباستر، يبدو كل شيء ضبابياً. كل شيءٍ يحدث بسرعةٍ كبيرة. من الواضح أن المسعفين انتهوا من محاولة إنعاش الرجل العجوز، لأنهم واقفون ويراقبون ضابط الشرطة وهو يلتقط صوراً للجثة. سمعتُ مواصفات سيارة الـBMW تتردد عبر كل أجهزة إرسال الشرطة، ولكني لم أسمع أن أحداً قد رآها. بعد دقائق عدة، شعرتُ بأحدهم يُربتُ على كتفي، كان رجلاً يرتدي ملابس تشبه ملابس ستانتون، سألني إن كان بإمكانه أن يطرح علي بعض الأسئلة. رافقته إلى القرب من الباب الأمامي.

«المحقق ميلكن». مدّ يده نحوي مصافحاً. «حسناً هل يمكنك أن تخبرني بالضبط ماذا حدث قبل أن يصل المحقق ستانتون؟» وصفتُ له الأحداث كلها وانتهيتُ بالحديث عن مطاردتهما لي وكيف قفزت إلى الشاحنة مع ميشيل. «هل أنت متأكد من أن هذا الشخص هو أحد الرجلين؟» كان يمسك الصورة التي كانت موجودة على الخزانة.

فجأةً خطرتْ على بالي ميشيل، شعرتُ برغبةٍ في أن أعانقها. «أنا متأكد جداً من أنه هو. كنت بعيداً عنه قليلاً، ولكنه هو، لقد أدركتُ هذا منذ أن رأيتُه». دوّن شيئاً ما في دفتر ملاحظاته. أخرجتُ هاتفي. «معذرةً عليّ أن أتصل بزوجتي».

«لا بأس. سأخذ من وقتك دقيقةً أخرى فقط». نظر مجدداً إلى دفتره. «هل رأيتَ المكان الذي ذهب إليه الرجلان بعد أن غادرتَ مكمنك؟» أغلقتُ عيني وحاولتُ أن أتخيل ما حدث مرة أخرى.

«أعتقد أنهما كانا على الطريق عندما ابتعدنا بالسيارة». أشرت إلى الطريق فأومأ لي برأسه.

«هل تعتقد أنهما كانا قريبين بما يكفي ليعرفا نوع السيارة التي كنت تركبها؟»

«ربما». أغلق دفتر ملاحظاته.

«حسناً، فقط ابقَ قريباً من هنا في حال احتجنا إليك. أعلم أن السيد ستانتون سيحتاج إلى الحديث معك». رأيتُه يُسرع عائداً إلى المنزل. اتصلتُ بميشيل على هاتفها آملاً أن يكون بحوزتها. لحسن

الحظ أجابتْ مباشرةً. شرحتُ لها ما حصل وأخبرتني أنها ستكون هنا في الحال. مشيتُ ببطءٍ عائداً إلى باستر ومسحتُ على رقبته مرة أخرى. بعد دقائق عدة، اقترب مني أحد الضباط وأخبرني أن ميشيل هنا. لم أنتبه إلى الشريط المحيط بمسرح الجريمة إلَّا الآن. رأيتُ ميشيل على الطرف المقابل، ركضتُ نحوها وانحنيتُ تحت الشريط. وقفنا على العشب إلى جانب مدخل المنزل وشرحتُ لها ما حدث. جلسنا على صخرة كبيرة وشاهدنا جثة الرجل العجوز تُسحب خارج المدخل على النقالة وتختفي في فوضى من الأضواء الحمراء والوميض الأزرق. وقف باستر ببطء وبدأ يدور حول نفسه، رأسه وعيناه إلى الأرض. صفقتُ له فمشى متردداً نحونا، وجلس إلى جانبنا على الأرض، فمسحتُ على رقبته مجدداً إلى أن وضع رأسه على حذائي. أعتقد أني رأيت ميشيل تحاول أن تبتسم، ولكني لستُ متأكداً من هذا. لا أعرف كم بقينا هناك، ولكن بعد مضي فترة من الزمن، خرج ستانتون وتحدث إلى ضابط أشار بيده إلينا. انحنى تحت الشريط وسار نحونا.

«مرحباً سيدة وسيد سميث، آسف لكل هذا التوتر والإرباك اللذين حصلا هنا».

«ماذا حدث؟» سألتْ ميشيل.

«حسناً في البداية، يبدو أنهم لم يعثروا على سيارة الـBMW في أي مكان. لم يصلنا أي تقرير يفيد بأن أحداً قد رآها أو بأي شيء عنها». هزّ رأسه. «ومن الواضح أن الرجل الذي أُطلق عليه النار هو والد الشابين اللذين رأيتماهما؟»

«أطلقا النار على والدهما؟» مسحتُ بيدي على ظهر باستر.

«يبدو أنهما لا يريدانه أن يتحدث، لذلك أطلقا النار عليه، يبدو أنهما ولدان صالحان أليس كذلك؟»

«هل هو الشاب نفسه الذي كان في المدرسة؟» سألتُه.

«نعتقد ذلك».

«ولكن لا دليل على وجود تومي هنا، صحيح؟»

نظر ستانتون إلى ميشيل. «هذا صحيح. لقد قلبنا المكان رأساً على عقب، لم نجد أي شيءٍ يدل حتى على أنه قد كان هنا أصلاً. الخبراء يبحثون فيه الآن». نظر خلفه إلى المنزل. «الغريب في الأمر أنه لا يوجد أي أغراض شخصية في المنزل باستثناء تلك الصورة التي رأيتها على الخزانة».

«إذاً، ماذا سنفعل الآن؟ هل عرفتم من هو هذا الشاب؟»

«كما تعرفان اسمه فرانك هاريس واسم أخيه هو شان، عدا ذلك نحن لا نعرف كثيراً عنهما. في الحقيقة، يبدو كأن شان غير موجود. لا أحد منهما لديه سجل لدى الشرطة أو أي شيء. الرجل الذي قتلاه يدعى فرانك هاريس سر». نظر نحو مدخل المنزل. «يبدو أنه قاضٍ متقاعد. سنتحدث مع بعض الجيران، لذا آمل أن نحصل على معلومات أكثر في وقت قريب». نظرتُ إلى باستر، يبدو نائماً. «لِمَ لا تعودان إلى المنزل وسأُطلعكما على كل جديد نصل إليه؟». نظر إلى الكلب. «خذه معك إذا أردت. لا أعتقد أن أحداً آخر سيهتم به».

أومأتْ ميشيل. سنعتني به إلى أن نجد مأوىً له. اتجهنا نحو الشاحنة يرافقنا باستر هازّاً ذيله، عندها اهتزّ هاتفي. نظرتُ إلى الرسالة النصية، كانت تقول: «لا يوجد حبٌّ أعظم من حبِّ الأب لابنه... هههههه».

الفصل الرابع عشر

وصلنا إلى المنزل ونحن نشعر بالإرهاق بعد كل هذه الإثارة. أخذتُ باستر إلى باحة المنزل لدقائق عدة، ثمّ عدتُ ونمتُ على الأريكة إلى جانب ميشيل. استيقظتُ مراتٍ عدة في أثناء الليل وأنا أشعر بلسانٍ رطبٍ يلعقُ وجهي، فركْتُ ظهر باستر وعدنا إلى النوم معاً. الشيء الآخر الذي أعرفه، أني استيقظتُ على صوت طرق الباب. نظرتُ إلى باستر وميشيل. نهضا بهدوء بسبب الصوت. إنه الصباح، والشمس تشعُّ عبر النوافذ؛ يومٌ آخر ويحينُ موعد الضغط على الزناد. أشعر أنّ معدتي تتخبط عند التفكير بهذا. فتحتُ الباب بسرعة لكلٍّ من المحققين ستانتون وآدامز. يبدو عليهما الحيوية والنشاط. أشرتُ لهما بالدخول وأعطاني ستانتون كيساً مليئاً بكعك الدونات وفنجانين كبيرين من القهوة. نظر إلى ميشيل وباستر اللذين كانا يقفان في الطرف الآخر من غرفة الجلوس قرب الأريكة.

«كيف حال الكلب؟ وجدتُ هذه. أعتقد أنه يمكنك استخدامها». أعطاني سلسلة خضراء من النايلون.

ربَّتُّ على ساقي لأنادي باستر، فقفز عبر الغرفة ووقف عند قدمي. فركتُ له رقبته تحت مكان الطوق. «أعتقد أنه بخير. أنا متأكد من أنه مرتبك قليلاً مما حدث. تعال اجلس». اتجهتُ نحو الأريكة، ووضعتُ كيس الدونات على طاولة القهوة، وأعطيتُ ميشيل فنجاناً. شمّ باستر الكيس ثم استدار مبتعداً عنه. وضع رأسه على قدميَّ عندما جلستُ. اقتربتُ من الطاولة وأخذتُ قطعة دونات طازجة، وجلس ستانتون وآدامز أمامي وتناولا بعض الدونات أيضاً، لكنّ ميشيل حدّقتْ بالكيس فقط.

«حسناً لقد عثرنا على السيارة. لن تُخمِّنا أين كانت؟»

«أمام منزل سورينسون، صحيح؟» هزّا رأسيهما بنعم.

«لم نجد في داخلها أي شيء يُفيد باستثناء هذه». أخرج ورقةً صغيرة كُتب عليها عدة أرقام. «إنها بلا شك رموز لمجموعةٍ ما أو شيءٍ ما». اقتربتُ منه وبدأتُ ألهث عندما قرأتُ الأرقام. إنه رقم المخزن الذي يوجد فيه المسدس الذي يُفترَض بي أن أستخدمه

غداً. لا أُصدِّق هذا. «هل هذه الأرقام تعني شيئاً لكما أيها السادة؟» هززنا رأسينا نافيين. «بعض الشبان يتفقدون منشآت التخزين المحلية، ولكن مع عددها الكبير هنا، أشك في أننا سنكون محظوظين بالوصول إلى شيءٍ ما». نظر إلي مباشرةً. شعرتُ أن جبيني يتقطّر عرقاً. أصدر باستر صوتاً بجسده. «بالمناسبة، قال بعض الجيران إنهم رأوا الرجلين بالقرب من منزل والدهما من قبل، ولكن أحداً لم يتحدث إليهما، والسيدة التي تسكن إلى جانبهم نظرها ضعيف، لذلك هي لن تساعدنا كثيراً».

«هل نعرف أي شيءٍ آخر عنهما؟» نظر ستانتون إلى آدامز.

«لا يوجد سجل لدى الشرطة لأي منهما. لم يدفعا ضرائب قط، لم يعملا، لم يؤديا خدمة العلم أو يفعلا أي شيء يمكننا إيجاده». نظر آدامز إلى ستانتون. «لم نتمكن حتى من إيجاد شهادات ميلاد لهما. السجل الوحيد الذي حصلنا عليه عنهما كان من سورينسون».

قرّب ستانتون كرسيه فأدار باستر رأسه بسرعة. «نعتقد أنّ هذين الشابين يحتفظان بتومي وأنهما المسؤولان عن مقتل محاسبة البنك والصبي الصغير، لذلك نريد أن نجدهما فعلاً». نظر إلى تلفازنا. «لقد نشرنا الصورة التي وجدناها... أو التي

وجدتها أنت حقيقةً، آمل أن يكون أحد قد رآهما. أعني أنهما مُختفيان. أعتقد أننا، على الرغم من كل ما حدث الليلة الماضية، قُمنا بخطوةٍ كبيرةٍ بذهابك إلى هناك واكتشاف أمرهم. أتمنى فقط لو أنك أخبرتنا بذلك منذ البداية».

نظرتُ إلى ميشيل. للمرة الأولى منذ اختطاف تومي أرى البريق يعود إلى عينيها مجدداً. «إذاً، ماذا نفعل الآن؟»

«نحن نراقب المنزل في حال قرّرا العودة إليه، إضافة إلى أننا نفحص السيارة ونفتشها للوصول إلى أيّ دلائل أخرى. لا بدّ من أن أحداً ما سيتعرف إليهما». أومأنا. تناول كل منهما قطعة دونات أخرى، وأخبرانا أنهما سيعودان إلينا عند وصولهما إلى أي جديد. رافقتهما إلى باب المنزل وشكرتهما. كان باستر يقف خلفي طوال الوقت، كأنه يراقبني، كما كان يفعل مع صاحبه. أمضينا بقية النهار ونحن نتسكع في الجوار، لم نتحدث إلى بعضنا كثيراً باستثناء بعض التعليقات على ما قاله المحققان. يبدو أن الأمور تدعو إلى التفاؤل أكثر مما كانت عليه منذ أسبوع. لا أصدق أنه مضى كل هذا الوقت. حقاً لمَّا تفقد ولدك ويكون في خطر تصبح لا تعرف أي شيء عن الوقت أو عن أي شيء آخر. لا أستطيع التوقف عن التفكير في الغد، على الرغم من حقيقة

أني إذا قمتُ بهذا العمل غداً فإن تومي سيعود. كيف لي أن أُطلِق النار على شخصٍ ما؟ خاصةً أنه الشخص الذي يحاول أن يعطينا خيطاً لإيجاد تومي. أتمنى فقط لو أنهم يجدون هذا الشاب قبل الغد فلا أُضطر إلى فعل هذا. لا يمكنني أن أتخيّل أن يُقتل تومي لأني لم أقُمْ بعملٍ ما. نظرتُ إلى باستر وهو يحدِّق بي بعينيه الواسعتين الحزينتين. حاولتُ أن أتخيَّل نفسي أحمل المسدس وأصوِّبه نحو سورينسون وأُطلِق النار عليه. لا أستطيع الاستمرار في تخيُّل مشهد إطلاق النار. كيف لي أن أضغط على الزناد؟ لقد أطلقتُ النار من عددٍ كافٍ من الأسلحة لأعرف ماذا يفعل كل منها. لا أعتقد أنه يمكنني أن أتعايش مع فكرة أن تومي قُتل لأني خشيتُ من عمل أمرٍ ما. وضعتُ يديّ على رأسي وأغمضتُ عينيَّ، شعرتُ بباستر يلتفُّ حول قدمي وكأنه يعرف أني قلق. بعد دقيقة، استسلمتُ للنوم، وحلمتُ أني أضغط على الزناد وسورينسون يتهاوى على الأرض فاستيقظتُ مذعوراً أتصببُ عرقاً. لا أعرف كم استمر هذا الحلم، ولكن أخيراً ربتَتْ ميشيل على كتفي وأخبرتني أنّ لديّ اتصالاً هاتفياً. جلستُ ومددتُ ذراعيّ قبل أن أُجيب.

«مرحباً».

«مرحباً شيلدون. أنا جيم». شعرتُ أنّ تنفسي عاد إلى وضعه الطبيعي بعد أن عرفتُ أن المتصل هو جيم وليس ذلك الرجل أو الشرطة تخبرني بأنهم وجدوا تومي. «لقد أحرز بريان بعض التقدم. أردتُ فقط أن أُطلِعك على آخر المستجدات». قرَّبتُ الهاتف من أُذني أكثر. «لقد تتبعنا أثره عبر الإنترنت. لا أعرف كيف فعل هذا، ولكنه وصل إلى الحاسوب الرئيس الذي نقل الفيروسات إلى مُخدماتنا وإلى الموقع الإلكتروني».

«حقاً؟ هل هذا الحاسوب يعود إلى سورينسون؟»

«لا، حاسوبه كان يُستخدم فقط كقاعدة للهجوم. الغريب في الأمر هو أن الشخص الذي كان يستخدم حاسوب سورينسون يريدنا أن نعرف أنه يستخدم ذلك الحاسوب. على أي حال، هذا الحاسوب هو أحد الحواسيب الموجودة في المكتبة العامة. بريان هناك الآن يتفحصه ويتحدث إلى فريق العمل في المكتبة. أعتقد أننا في طريقنا إلى شيءٍ ما».

نظرتُ إلى باستر. عيناه مغلقتان بإحكام. «هذه أخبار رائعة. ماهي فرص وصوله إلى شيءٍ ما برأيك؟»

«أعتقد أنها جيدة جداً، لأن الحاسوب نفسه استُخدم في الهجومين وعلى من يريد استخدامه أن يُظهر بطاقته الشخصية ويُسجل دخوله في المكتبة». عادتْ إلى ذاكرتي إجازة السَّوق الخاصة بلورانس التي استُخدمتْ لأخذ تومي من المدرسة.

«شكراً جزيلاً لكما على كل ما تقومان به. أنا أَدينُ لكما كثيراً».

«لا... لا، مرحباً بك في أي وقت، نريد مساعدتك بأيّ طريقةٍ ممكنةٍ. سأُعاود الاتصال بك حالما ننتهي من أمر الحاسوب. لانزال نعمل على تلك الكاميرات». وضعتُ سماعة الهاتف وأخبرتُ ميشيل بكل ما يعملون عليه. شعرتُ بارتياحٍ كبيرٍ لوجود طريقين منفصلين للوصول إلى هذا الرجل، أحدهما عن طريق الشرطة، والآخر عبر جيم وبريان. أتمنى أن يصل أحدهم إليه قبل الغد. قرَّرتُ أخذ باستر في نزهة إلى الخارج. وضعتُ السلسلة حول رقبته وخرجنا من الباب الأمامي. ولمَّا وصلنا إلى نهاية مدخل المنزل اهتزّ هاتفي. كانت مكالمةً هاتفيةً فأجبتُ عنها.

«مرحباً شيلدون، أرى أنك كنتَ مشغولاً في الأيام القليلة الماضية. أتمنى أن تكون مستعداً لأعمال الغد».

«اسمع، سأفعل أي شيءٍ تريده، ولكن قتل شخصٍ ما أمر يفوق طاقتي».

توقفتُ ورفع باستر رجليه فوق شجيرةٍ صغيرةٍ. «شيلدون، لقد عقدنا اتفاقاً ولمَّا أعقد اتفاقاً ألتزم به. إليك الخطة، سيكون سورينسون غداً في المنزل بمفرده من الساعة السابعة وحتى التاسعة مساءً. زوجته وابنته ستحضران درساً للرقص معاً، لذلك أريد منك أن تحضر السلاح مسبقاً وتتوجه إلى منزله». بدأ باستر يسحبني لأتحرك إلى الأمام. «يمكنك إخباره أنك تريد فقط التحدث إليه، ولمَّا تدخل إلى المنزل كل ما عليك فعله هو أن تضغط على الزناد، وما هو ملكك سيعود إليك في عشر دقائق».

لم أتفوَّه بأيِّ كلمة. فقط تبعتُ باستر وهو يسحبني إلى الشارع ليبحث عن شجيرةٍ جيدةٍ أخرى ليضع رائحته عليها. «أرجوك لا بدّ من وجود طريقة أخرى».

«دعني أسألك سؤالاً بسيطاً، شيلدون. هل تريد أن تستعيده أو لا؟»

«بالطبع أريد أن يعود تومي. سأفعل أي شيءٍ لأسترجعه. أرجوك اقتلني بدلاً منه. فأنا لا أبالي».

«هذا ليس جزءاً من الاتفاق. لديك التعليمات وإذا فشلتَ في تنفيذها، فأنت تعرف العواقب. من الآن، حياة ما هو ملكك بين يديك. الأمرُ عائدٌ لك في اختيار الحال التي تريده أن يعود إليك بها».

راقبتُ باستر وهو يشمشمُ بعض العشب. «ماذا فعل لك حتى يستحق أن يُقتل».

«إن كنتَ تقصد في كلامك السيد سورينسون فعليك أن تدع هذه التفاصيل لي، وإن كنتَ تقصد ما هو ملكك، فستعرف الجواب قريباً. فكر في الأمر على أنه لعبةٌ مميزةٌ لمعرفة مقدار حبِّك لولدك». سحبتُ سلسلة باستر وأعدتُه باتجاه المنزل. «معظم الناس يقولون إنهم سيفعلون أي شيءٍ من أجل أطفالهم، لكن أنت لديك الفرصة لتثبتَ هذا فعلاً».

«أتعرف! أنت شخص مريض؟»

«في الحقيقة، أشعر أني بحالٍ جيدةٍ جداً. أرى نفسي شريكاً لك أكثر من كوني مريضاً».

«أنت لستَ شريكاً لي، ولن تكون أبداً. من الأفضل لك أن تدعو ألّا أجدك أبداً».

ركض باستر إلى الشارع وهو يسحبني خلفه.

«صديقي شيلدون، لن تجدني أبداً. يمكنني الاختباء في أي مكانٍ أريده دون أن يراني أحدٌ مطلقاً. قد أكون واقفاً أمامك مباشرةً وأنت تمشي مع ذلك الكلب الفاسد». توقفتُ فجأةً ونظرتُ حولي في كل الاتجاهات. كان باستر ينظر إليّ. «غداً عند الساعة السابعة، لا تنسَ». سمعتُ صوت إنهاء المكالمة. انقطعتْ أنفاسي. نظرتُ إلى كل منزل، كل سيارة، كل شجرة، لم أر أي شيءٍ خارجٍ عن المعتاد. أين هو، وكيف يفعل هذا؟ ركلتُ الرصيف بقدمي بقوةٍ من شدّة الإحباط ما جعل باستر يفرك أنفه بسرعةٍ بساقي. عُدنا مباشرةً إلى المنزل وأغلقتُ الباب بقوة. ركض باستر وقفز على الأريكة. وظهرتْ ميشيل من باب المطبخ.

«هل أنت بخير شيلدون؟» نظرتْ إليّ ثمّ إلى باستر الذي كان مستلقياً.

«لا، لستُ بخير. لم أعد قادراً على تحمُّل هذا قط. يجب أن نعرف أين مكان تومي الآن». ألقيتُ السلسلة على الأرض. «هذا ليس عدلاً أبداً. إنه لم يقترف أي ذنب، ولا حتى نحن». بدأتُ أصرخ وأركل الأرض بقدميّ. أسرع باستر إلى المطبخ، لقد أخفتهُ

ولكني لا آبه لهذا الآن. وضعتْ ميشيل يديها على كتفي وطلبتْ مني أن أهدأ. أخيراً، توقفتُ عن الصراخ وجلستُ على الأرض وميشيل تلفني بذراعيها.

«سيكون كل شيء على ما يرام، شيلدون». شعرتُ بأنف باستر على الجهة الخلفية من رقبتي. فركتُ على ظهره بلطفٍ. نهضتْ ميشيل بسرعة وذهبتْ إلى المطبخ وعادت على الفور تحمل كأساً من الماء. «أرجوك تناول هذه، شيلدون». أعطتني كأس الماء وحبة دواء صغيرة زرقاء.

«ما هذا؟» أمسكتُ الحبة بيدي.

«إنها شيءٌ لتهدئتك. حضر الدكتور ماردر البارحة وترك وصفةً طبية». هززتُ كتفي بأني لا أذكر، وبلعتُ الحبة بسرعة. بعد دقائق عدة، استلقيتُ على السرير وأنا أشعر بالنعاس. جلس باستر عند قدمي وسحبتْ ميشيل الغطاء إلى رقبتي. ما أذكره بعدها أني لمَّا استيقظتُ كانت الشمس ساطعةً. استدرتُ فوجدتُ باستر أسفل السرير وميشيل إلى جانبي. إنها مستيقظة.

«ما هو اليوم؟»

«الأربعاء». وضعتْ يدها على ظهري. نهضت بسرعة.

«إنه الأربعاء، يا إلهي».

«ماذا هناك شيلدون؟ ما الأمر؟» استدار باستر ونظر إلي.

«كم الساعة؟» جلستْ ميشيل ونظرتْ خلفها إلى المنضدة جوار السرير. أحضرتْ الساعة.

«إنها التاسعة تماماً». أجابتْ.

«حقاً؟» أومأتْ برأسها. لا أصدق، بعد عشر ساعات عليّ أن أُطلِق النار على رجلٍ آخر لأُنقذ حياة ابني. أمسكتْ بي ميشيل بقوة.

«ماذا هناك شيلدون؟ ما الذي يحدث؟» أردتُ أن أصرخ وأن أخبرها، أردتُ أن أعترف لها بكل شيء، لكن بدلاً من ذلك عانقتها بشدة وأغلقتُ عينيّ. حاولتُ أن أُفكر بأني ألعب لعبة المطاردة مع تومي. يمكن أن أُعيده إلى المنزل اليوم. كل ما عليّ فعله هو الضغط على الزناد. تخيلتُ سورينسون يسقط أرضاً وهو يمسك برقبته الدامية.

الفصل الخامس عشر

إنها الثانية عشرة تقريباً، بقيَ سبعُ ساعاتٍ لأنطلق. أمضيتُ الساعات القليلة الماضية وأنا أفعل أي شيء لأشغل نفسي. تنزهْتُ مع باستر مرّتين، أخذتُ حماماً، حتى إنني نظفتُ المطبخ. أعتقد أن ميشيل تشعر بأنّ أمراً غريباً سيحدث، ولكن إذا سار كل شيءٍ على ما يُرام فإن تومي سيكون في المنزل اليوم وسيعود كل شيءٍ إلى طبيعته، باستثناء أني أكون قد ارتكبتُ جريمةَ قتلٍ. تفقدتُ الساعة كل دقيقة. أكاد أُجن. لا أعرف ماذا أفعل. أخيراً قررتُ أن أقوم بجولةٍ في السيارة. أخرجتُ الشاحنة ببطءٍ. لا أعرف تماماً إلى أين سأذهب ولكني أحتاج إلى الخروج إلى مكان ما. انتهى بي المطاف في ملعب البيسبول. كان عمال الصيانة هناك يهيئون الملعب. صعدتُ إلى المدرجات وراقبتهم وهم يحوّلون الملعب بطريقةٍ ساحرة من كومة عشب

إلى شكلٍ معينٍ أنيقٍ جاهزٍ لتتحقق عليه الأحلام والذكريات. فكرتُ مليّاً. كل ما عليّ فعله هو الضغط على الزناد ويكون تومي هنا يلعب البيسبول مجدداً. ستكون ميشيل سعيدةً وكل شيءٍ سيكون على ما يُرام. نظرتُ إلى الأسفل عندما بدأ هاتفي يهتز. يمكنني أن أعرف من طريقة الاهتزاز أنها ليستْ مكالمةً هاتفيةً ولا رسالةً نصيةً. نقرتُ على الشاشة فشعرتُ أنّ قلبي يخفق بشدةٍ عندما رأيتُ تومي. إنه يجلس في غرفة النوم نفسها على حافة السرير وهو ينظر إليّ مباشرةً عبر الكاميرا. رفعتُ الهاتف إلى الأعلى ليتمكن من رؤيتي.

«تومي؟ كيف حالك؟» عيناه تنظران إليّ عبر الكاميرا.

«مرحباً أبي، أنا بخير. ومستعدٌ للعودة إلى المنزل... اشتقتُ لكما كثيراً». أردتُ أن أدخل سماعة الهاتف وأسحبه منها، ولكني أعرف أنه لا يمكنني فعل هذا لذا فعلتُ ما هو أفضل؛ بقيتُ أنظر إليه.

«لن يطول هذا كثيراً يا عزيزي، أَعِدُك». نظرتُ إلى عينيه، تبدوان أصفى مما كانتا عليه في مقطع الفيديو الذي على هاتفي. إنه ينظر إلى يساره كل بضع ثوانٍ وكأنه ينظر إلى شخصٍ آخر.

إني أمرُّ بوقتٍ عصيبٍ لأجد شيئاً أقوله له، مشاعري تتدفق بشكلٍ غريبٍ. «ماذا تفعل؟» سألتُه أخيراً.

«كنتُ أعمل على الحاسوب وألعب بعض الألعاب الجديدة». أشار إلى كل الأجهزة الإلكترونية خلفه. «لقد انتهيتُ من قراءة كتابين أيضاً». أمسك روايتين ضخمتين ورفعهما أمام الكاميرا. شعرتُ بالدموع تملأ عينيَّ، فأغمضتهما قليلاً لأحبسها. كانت القراءة دائماً أمراً يجد فيه تومي صعوبةً. غالباً ما كنا نتشاجر معه ليقرأ صفحةً واحدةً مساءً من أي شيء.

«أنا فخورٌ بك جداً... تومي». انهمر الدمع من عيني، ولكني لم أعد أبالي قط.

«أين أنت بني؟»

«أنت تعرف أبي. أنا تماماً حيث طلبتَ من السيد كين أن يأخذني». رأيتُ عينيه تنظران نحو اليسار مجدداً.

«ماذا؟»

«أبي، يقول إنه لا يمكننا التحدث عن هذا. لأنه جزء من الاتفاق».

«هل هو هناك الآن؟» نظر إلى اليسار مجدداً ثم نظر إليّ وأومأ برأسه.

«هل كان لطيفاً معك؟»

«إنه لطيف جداً أبي. ويُحضِر لي أي شيء أريده من طعام أو شراب، ويسمح لي بمشاهدة ما أريده باستثناء الأخبار. اشتقتُ حقاً لاستخدام الإنترنت والبريد الإلكتروني. كم بقي من الوقت لأتمكن من العودة إلى المنزل؟» لا أصدق هذا. ماذا يحدث؟ ماذا يخبرونه؟

«قريباً جداً تومي... قريباً جداً»

«أبي، إنه يقول إنّ عليّ أن أذهب الآن. اشتقتُ لكما كثيراً. أرجوك بلِّغ سلامي لأمي».

«ونحن أيضاً اشتقنا لك كثيراً. هل يمكنك أن تسأله إن كان بإمكاني التحدث معه؟» رأيتُ فمه يتحرَّك ناطقاً بالسؤال وهو ينظر إلى يساره. وبعد دقيقة، نظر إليّ وهزّ برأسه بـ لا.

«إنه يقول إنَّ هذا ليس جزءاً من الاتفاق أيضاً. أين أنت أبي؟ يبدو كملعب البيسبول؟» رفعتُ الهاتف وأدرتُه بتأنٍّ حول الملعب.

«نعم. أنا هناك».

«ألا يُفترض بك أن تكون في عملك الآن؟»

«أنا أستريح قليلاً فقط. إنه يومٌ جميلٌ». لمَّا خرجتْ هذه الكلمات من فمي أدركتُ أنه ما كان عليّ أن أتفوه بها.

«أتمنى لو كان بإمكاني أن أخرج».

«لم تخرج من المنزل مطلقاً؟» نظر إلى الأسفل.

«ليس منذ أن أحضرني السيد كين إلى هنا».

«كيف يبدو شكل السيد كين؟» رأيتُه ينظر إلى يساره مجدداً.

«لا أدري أبي... أعتقد أنه يشبهك نوعاً ما، طويل، شعره أسود». أومأتُ.

هل تذكر عندما ذهبنا في عطلة مع أعمامك منذ سنوات عدة؟»

«نعم». رأيته يبتسم.

«هل هذا الرجل يذكرك بشيءٍ من تلك الرحلة؟» فكر بهذا لدقيقة. أمضينا أياماً وليالي عدة نخيّم في منطقة جبال البلو ريدج في فرجينيا.

«في الواقع، لا أبي. لا أعرف ماذا تقصد».

«ماذا عن المكان الذي ذهبنا إليه العام الماضي؟» لمَّا انتهيتُ من السؤال سمعتُ صوتاً آخر، صوتاً منخفضاً جداً يقول: «هذا يكفي».

«أبي، عليّ أن أذهب. أرجوك تعال لأخذي بسرعة. أحبك».

«سأفعل تومي... سأفعل. وأنا أيضاً أحبك يا عزيزي». لمَّا قلتُ هذا انطفأت الشاشة وانتهتْ جلسة الفيديو. أشعر أني سأنفجر، أشعر بالقلق والإثارة. انهمرتْ الدموع على خديّ ووضعتُ رأسي بين كفيّ، حتى شعرتُ بأحدهم يربتُ على كتفي. رفعتُ رأسي فرأيتُ أحد عمال الصيانة ينظر إليّ ويسألني إن كنت بخير. أومأتُ له بنعم وعدتُ إلى وضعي السابق حتى شعرتُ أن هاتفي بدأ يهتزّ من جديد. أخذتُ الهاتف بسرعة فوجدتُ رسالة نصية.

«أتمنى أن تكون قد استمتعتَ بهذا. قد تكون هذه المرة الأخيرة أو ربما تكون البداية فقط. كان سؤالك في النهاية عن العطلة محاولةً جيدةً منك. لا تنسَ مهمة الليلة».

نظرتُ إلى الساعة. إنها الثالثة. بقيَ أربع ساعات حتى تصبح حياة ولدي بين يدي. أشعر بألمٍ في معدتي. مشيتُ متثاقلاً إلى

السيارة وجلستُ على المقعد الأمامي. لا أشعر برغبةٍ في تشغيل محرك السيارة، أعرف إلى أين عليّ أن أذهب ولا أريد أن أذهب إلى هناك. لحسن الحظ، أنقذني اهتزاز هاتفي مجدداً. نظرتُ إليه فرأيت رقم جيم.

«مرحباً جيم».

«شيلدون، لقد أنهيتُ للتو اتصالي مع بريان. لن تصدق هذا، ولكن الشخص الذي كان يستخدم جهاز الحاسوب في المكتبة هو أخوك لورانس سميث».

«بالتأكيد».

«ماذا تعني؟»

«لا أعرف على الإطلاق». نظرتُ من النافذة وراقبتُ عربات الصيانة تخرج من مرآب السيارات.

«هل تعتقد حقاً أنه هو؟»

«لا، لقد استخدموا أيضاً شهادة القيادة الخاصة به عندما أخذوا تومي من المدرسة وتمكنَّا من إثبات أنه لم يكن لورانس. شكراً لكما على المساعدة».

«هذا ليس كلّ شيء». شعرتُ بأن حواسي قد تنبهتْ. «لديه أيضاً بريدٌ إلكترونيٌ كان يُستخدم في الوقت نفسه الذي استُخدم فيه الحاسوب».

«هل نعرف العنوان؟» أدرتُ محرّك السيارة وبدأتُ أرجع إلى الخلف.

«إنه حساب Gmail. بريان يتتبعه الآن. أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى الشرطة». خرجتُ من موقف السيارات، تجاوزتُ لوحةً قديمةً تقول «تبرَّع به شخص من سلالة السيد روبيرت إي لي».

«انتظر بعض الوقت. أرجوك اتصل بي إذا توصل بريان إلى أي شيءٍ عن عنوان البريد الإلكتروني». أنهيتُ الاتصال وأنا أشعر أني فقدتُ آخر أملٍ لإنقاذي من مهمة الليلة، إلَّا إذا تمكن من العثور على اسم وعنوان البريد الإلكتروني. لو كان أي شخص آخر غير بريان لقلْتُ أنْ لا فرصة لدي، ولكني أعتقد أنه لايزال هناك بريق أمل. انطلقتُ على الطريق العام وتوجهتُ إلى المخزن. لا أصدق أني أَمضي بهذا فعلاً. بماذا سيفكر والداي؟ وماذا عن تومي؟ أتساءل ماذا يريدني أن أفعل؟ أرغمتُ نفسي على ألَّا أفكر بأي شيءٍ على الإطلاق وأن أستمرَّ في القيادة. وصلتُ المخزن عند الساعة

الخامسة؛ بقيت ساعتان لأنطلق. أتساءل بماذا يُفكر سورينسون الآن وهو لا يعرف أنه قد يعيش لساعتين فقط. أدخلتُ الرمز فانفتح الصندوق، فمددتُ يدي وأخذتُ المسدس. يبدو منظره غريباً جداً في يدي، وكأني أمسك بشيءٍ ليس لي... وضعتُ المسدس في جيبي وأغلقتُ الباب. لا يوجد أحد في الجوار، لذلك بعد أن أغلقت الباب وتأكدتُ من أنه مقفل عُدْتُ إلى السيارة وثقل العالم في جيبي. قرّرتُ أن أتصل بميشيل لأُخبرها أنني سأعود إلى المنزل في وقتٍ متأخرٍ. لا يمكنني أن أراها، والساعة تقترب من السابعة مساءً. بقيَ أقل من ساعتين. شلّ القلق حركتي وأرغمني على أن أجلس، لذلك جلستُ في Starbucks أَحتسي فنجاناً من الشاي الساخن. أنا الآن في شارع منزل سورينسون وقد حان الوقت لأنفّذ مهمتي. حاولتُ أن أستعدَّ نفسياً فقلتُ لنفسي إن الأمر لن يكون قاسياً جداً. كل ما عليّ فعله هو الضغط على الزناد، على أداةٍ آلية وأستعيد تومي. لكن هذه النتيجة النهائية لا أستطيع أن أضمنها. فعلياً، أنا أُقايض حياة بحياة، قُلْتُ في نفسي إن حياة تومي تساوي أكثر لأنه الأصغر سناً والحياة أمامه، ولكن سورينسون أبٌ وزوجٌ. لا أعرف ماذا أفعل. احتسيْتُ بعض الشاي الساخن، وشعرتُ بالراحة عندما

لامس السائل الساخن جوف حلقي وانساب. نظرتُ إلى ساعتي كانت تقريباً السادسة مساءً. بقيَ أكثر من ساعة بقليل لأواجه القرار الذي سيغير حياة كثيرين إلى الأبد. نهضتُ بسرعة وألقيتُ بفنجان الشاي الذي لم أُنْهِهِ في سلة المهملات. أخرجتُ السيارة من موقف السيارات وعدتُ في الاتجاه الذي أتيتُ منه. توقفتُ عند كنيسةٍ كبيرةٍ كنتُ قد مررتُ بها في طريقي إلى هنا، لم تكن من الكنائس التي زُرتُها من قبل. لا أعرف حتى لأي مذهب تتبع، ولكني ركنتُ الشاحنة ومشيتُ على الرصيف ودخلتُ عبر بوابتين كبيرتين. رأيتُ لافتةً تشير نحو منطقة الكنيسة الرئيسة لذلك تبعتها ودخلتُ غرفةً كبيرةً جميلةً تتسع على الأقل لخمسمئة شخص. يوجد فيها الآن خمسة أو ستة أشخاص يجلسون في أماكن مختلفة من صفوف المقاعد الخشبية الطويلة، رؤوسهم منحنيةٌ إلى الأسفل. جلستُ على مقعدٍ في الخلف وحدّقتُ بتمثالٍ للسيد المسيح فوق المذبح، إنه منحوتٌ بشكلٍ رائعٍ، يبدو لي من مكاني أنه حقيقي. المسيح على الصليب، وجهه مليء بالإرادة والقوة اللتين صوّرهما الفنان بإتقان. كنتُ مفتوناً وأنا أحدق بالتمثال، وبدأتُ أتحدث عن كل ما في داخلي. لا أعرف إن كنتُ قد تحدثتُ بصوتٍ مرتفعٍ أو تحدثتُ إلى نفسي،

ولكن بعد دقائق عدة شعرتُ بتحسنٍ كبيرٍ. نظرتُ إلى ساعتي ورأيتُ أنه قد حان وقت الذهاب. إنها السابعة إلا ربع. ألقيتُ نظرةً أخيرةً على التمثال، وشكرتُ الله، وعُدْتُ إلى شاحنتي وأنا أشعر أني ذاهبٌ إلى حتفي. بعد دقائق عدة، توقفتُ في نهاية شارع منزل سورينسون. كان الظلام دامساً لا أحد يلاحظ فيه السيارة. تلمّستُ المسدس في جيبي مرات عدة. بدت يدي وكأنها تضغط على الزناد. أعتقد أنه يمكنني فعل ما علي فعله. خرجتُ من السيارة، وأغلقتُ الباب بهدوء، لم يُحدث ضجةً كبيرةً. لحسن الحظ، كانت البيوت في شارعهم متباعدة ولم يكن هناك منزل إلى جوار منزلهم أو قبالته. مشيتُ عبر الشارع المرصوف بالأشجار الكثيفة على جانبيه، وبعد دقيقة، وصلتُ إلى بداية مدخل المنزل. لم أشعر بمثل هذا التوتر في حياتي. فكرتُ في حديثي مع تومي قبل حين وكيف أنه لا يفهم حتى لماذا هو هناك. لا أعتقد أنه يدرك الخطر الذي يُحيق به. مشيتُ عبر المدخل، إنه منحدرٌ طويلٌ. نظرتُ إلى أعلى المنزل، كانت الأنوار الخارجية مضاءة، واجهة المنزل وعمود الإنارة عن يساري. يبدو أن أنوار درج المنزل مضاءةٌ أيضاً، لذلك أعتقد أن سورينسون في المنزل، على الرغم من أني في أعماق نفسي أتمنى ألا يكون هناك. إنه منزلٌ

كبيرٌ جداً، ربما له أربع غرف نوم. وصلتُ إلى نهاية المدخل فوجدت كراجاً ذا بابين يتسع لسيارتين. نظرت من نوافذ الكراج، فرأيت سيارة واحدة في الداخل. تبدو من طراز حديث، ولكن الظلام شديد لأعرف نوعها. كان الموقف الآخر فارغاً. لا بدّ أنه مكان سيارة زوجته. ألقيتُ نظرةً سريعةً على الهاتف آملاً أن أجد رسالة اللحظة الأخيرة من شخص ما يخبرني إما أنهم قد وجدوا ذلك الرجل وإمَّا أن كل شيء قد انتهى. لا أصدق أني حقاً أمضي في هذا، فأنا نادراً ما أؤذي حشرة، أحاول طردها من المنزل بدل سحقها فقط لأُنقذ حياتها، وأنا هنا أقف خارج منزل رجلٍ أحمل مسدساً محشواً، وأستعد لإنهاء حياته، وإفساد حياة أسرته أيضاً. اتكأتُ على باب الكراج، إن الظلام دامس، يمكنني أن أسمع صوت عرير الصراصير في الأشجار. كان القمر يلقي بضوئه الخافت على الرصيف. إنه مساء رائع برغم كل شيء. إنه مساء أرغب فيه أن أمشي مع ميشيل وتومي أو أشاهد تومي وهو يلعب الكرة تحت أضواء ملعب (Lee). نظرتُ حولي في كل مكان، لم يكن هناك أحد. أعتقد أن هذا الرجل، فرانك هاريس، السيد كين أو أياً كان اسمه، هنا يراقبني من مكان ما، ولكني لا أراه. بدأتُ أسير في ممرٍ صغيرٍ

يقود من الكراج إلى الباب الأمامي، إنه ممرٌّ مُنحنٍ مُغطىً بالزهور من جانبيه، من الواضح أن أحدهم أمضى ساعات عدة في تحسين منظره. بعد لحظة وصلت إلى الباب الأمامي، أشعر أني أتنفس بصعوبة، رئتاي وجسدي مشدودون ومتقلصون. تفقدت مجدداً السلاح في جيبي. قلت لنفسي يمكنني فعل هذا، فكرت بتومي وهو جالس بمفرده في تلك الغرفة ينتظرني لأفعل ما عليّ فعله. خطوت نحو الباب لأطرق عليه لكني سحبت يدي. أحتاج أيضاً إلى مزيد من الوقت لأفعل هذا. أنا حتى لم أُخطط كيف سأقوم بهذا بعد. لا يمكنني أن أفكر بالأمر من دون أن أشعر بالإعياء. أعتقد أني سأدخل وأتحدث لبعض الوقت وأنتظر الوقت المناسب. تلمستُ السلاح مجدداً، يبدو غريباً جداً وبارداً، أكره هذا. أنا لا آبه حتى إن جرى اعتقالي أو أي شيء، على الرغم من أنني أظن أن هاريس قد رتَّب الأمر كله، لكن لا يمكنني أن أفكر بقتل رجلٍ بريءٍ. في الجيش، تعلمنا أن نطلق النار على أي شخص يريد قتلنا، ولكن هذا رجل بريء أعزل يحاول أن يعيش حياته فقط. أوشكت على العودة إلى سيارتي وأنا أقول لنفسي انسَ الأمر، لكني ودون أن أشعر توقفت وطرقت الباب. تابعت الطرق عليه بلطف لكن أحداً لم

يُجب، لذلك طرقتُ، على مضضٍ، بقوة أكثر. أتمنى ألا يجيب أحد، ولكن بعد ثوانٍ عدة سمعتُ وقع خُطا أقدام في الداخل، وشعرت أن قلبي سيتوقف. لا أعتقد أنه يمكنني المضيّ في هذا. بعد لحظة فُتِح الباب، والسيد سورينسون يقف أمامي، كان يرتدي قميصاً كبيراً لفريق «الهنود الحمر» وبنطال جينز أزرق باهتاً. يبدو أنه يعيش حياته كأي شخص عادي لا يتوقع أن يُقتل بطلقٍ ناريٍّ في ليلة أربعاء.

«سيد سميث، كيف حالك؟ تفضل أرجوك». صافحته ودخلت المنزل. أغلق الباب خلفي. أشعر أني أريد أن أستدير وأركض من الباب، ولكني بقيت واقفاً في الرواق. إنه رواق كبير جداً، له درج أمامي ومدخلان على الجانبين. الغرفة التي إلى الجهة اليمنى تبدو غرفة طعام والأخرى غرفة جلوس. «بماذا يمكنني مساعدتك؟» لم أستطع الإجابة. لم تطاوعني شفتاي. «سيد سميث، هل أنت بخير؟»

أخيراً تمكنتُ من أن أتلفظ بإجابة. «أردتُ فقط أن أمر بك لأرى إن كان بإمكانك أن تفكر في شيء آخر يساعدني».

«لماذا لا ندخل غرفة الجلوس، هل أحضر لك شيئاً ما؟» أجبته بـ لا وتبعته إلى غرفة جلوسٍ كبيرةٍ فيها أريكة جلدية لونها أبيض فاتح وكرسيان متماثلان. جلس سورينسون على الأريكة وجلستُ على

الكرسي الأقرب إليه. «لسوء الحظ، ليس لدي أي شيء جديد غير الذي أخبرتك به ذلك اليوم. مرّ بي المحقق ستانتون باكراً وزودته بكل شيء أخبرتك به. أراد ملفات هاري وأخيه».

أومأتُ. «شكراً جزيلاً لك على إطلاعي على تلك المعلومات. أعتقد أننا على الأقل نعرف الآن من سنلاحق».

«أتمنى لو أستطيع المساعدة أكثر، ولكني لم أتواصل معهم منذ ذلك الوقت». شرب قليلاً من كأس النبيذ الأحمر. وضعتُ يدي في جيب السترة وتلمست المسدس، لا أعرف متى سأفعل هذا. أعتقد أنه من الأفضل أن أفعلها عندما لا يكون ناظراً إليّ. كما أني قريب مسافة تكفي لأُصيب الهدف. أشعر بيدي ترتجف بشدة على المسدس. أنا خائف. أتمنى ألا أضغط على الزناد بالخطأ. «يجب أن أُخبرك أنّ هذين الشابين معروفان بفظاظتهما». وقف فجأةً ونظر من النافذة. تساءلتُ فجأةً إن كان يعرف لماذا أنا هنا. «أذكر عندما كنا نسوي أمر أملاكهما، كانا قلقين جداً بشأن شيء ما. أعتقد أنه أمر يتعلق بمالٍ كثيرٍ جداً ذهب إلى شخص آخر غيرهما، لا أتذكر من هو. أتمنى لو أنني لم أفقد ذلك الملف».

«ماذا تعني؟» راقبته وهو يجلس على طرف الأريكة قبالتي.

«أنا أحتفظ بكل ملفاتي في خزانةٍ محكمة الإغلاق في مكتبي، وذلك الملف فُقد منها. لاحظتُ أنه اختفى بعد فترةٍ قصيرةٍ من حادثة اقتحام المكتب. رأيتَ الحالة التي كان عليها مكتبي حينها. أتساءل إن كان قد اختفى في تلك الحادثة. هناك شيء ما يحدث هنا». انحنى إلى الأمام. إنها فرصتي الآن، وضعتُ يدي على الزناد. فكرت أنه عليّ فقط أن أُخرج المسدس وأفعلها الآن وأنتهي من هذا. «ربما لهذا السبب يحدث كل هذا. والمال الذي سُرق، أعتقد أنّ من سرقه كان الطرف الآخر في القضية». نظر إليّ مباشرةً. «ذلك الملف فُقِد أيضاً، لذا هذا كل ما أذكره. لَمَ لا تعطيني قليلاً من الوقت وأعتقد أنني سأصل إلى شيء ما. لا أعرف ما؟ علاقة هذا بابنك، ولكن أعتقد أنه من الأفضل من أجلنا - نحن الاثنان - أن أبحث في أي شيء أملكه لأرى إن كان بإمكاني أن أجد أي شيء آخر». أومأتُ برأسي ونهضتُ ببطءٍ. كانت يدي على الزناد. استدار ووقف مقابل المكتبة في الجهة الأخرى من الغرفة. أخرجت المسدس من جيبي وصوبته إلى رأسه من الخلف مباشرةً، على بعد ثلاث أقدام عنه تقريباً. يجب أن يكون سهلاً وسريعاً. أغمضت عيني، والشيء التالي الذي أعرفه أنني كنت في السيارة أجلس على الكرسي الأمامي أرتجف بشدة. كان المسدس دافئاً ولا يزال في جيبي، ويدي تقبض بإحكام على الزناد.

الفصل السادس عشر

«شيلدون... شيلدون. هل أنت بخير؟» فتحتُ عينيّ. ليس لديّ أدنى فكرة عن مكان وجودي. رأيتُ ميشيل منحنيةً فوقي. لم أُدرك أنني أجلس على المقعد الأمامي لشاحنتي في مدخل منزلنا حتى جلست. لا أذكر كيف وصلت إلى هنا أو ماذا حدث في منزل سورينسون. «ماذا حدث لك؟ أنت مصاب بالذعر؟»

«لا أعرف». خرجتُ ببطءٍ من السيارة ومشيتُ في المدخل. كانت الشمس مشرقة، يبدو الوقت في الصباح الباكر. وضعتُ يدي في جيب السترة وتأكّدت من أنّ المسدس فيها. أغلقتُ عينيّ مرة أخرى. كانت ميشيل تمسك بي وتقودني نحو الكراج.

«هل أمضيت الليل هنا في سيارتك شيلدون؟»

«أعتقد... في الحقيقة لست متأكداً». قادتني عبر مكانٍ فارغٍ في الكراج ثم إلى داخل المنزل. ما إن دخلتُ من باب المنزل

حتى شعرتُ بأنف باستر يداعب أسفل رجلي. انحنيتُ نحوه ومسحتُ على رقبته. أوصلتني ميشيل إلى الأريكة وباستر يتبعنا، وجلس عند قدمي عندما جلستُ.

«كنت قلقةً جداً عليك. أرجوك لا تفعل هذا مرةً أخرى أبداً. يكفينا أننا لم نجد تومي». نهضتُ فجأةً.

«تومي. ماذا عن تومي؟ ألم تسمعي أي شيءٍ عنه؟» هزّتْ ميشيل رأسها.

«سآخذك إلى الطبيب، أعتقد أنك على وشك الانهيار». في الحال تفقدت هاتفي في جيبي. لم أجده في أي مكان. بل وقعتْ يدي على المسدس بدلاً منه.

«سأعود حالاً». قفزتُ عن الأريكة وتعثرت في طريقي إلى الباب.

«شيلدون، إلى أين تذهب؟» نظرتُ إلى الخلف وباستر يتبعني.

«لأُحضر هاتفي، أظن أني تركته في الشاحنة».

«كنْ حذراً أرجوك. يبدو أنّ باستر قادمٌ معك».

نظرتُ إلى باستر. «سآخذه في نزهة عندما نخرج».

«حسناً. أرجوك لا تبتعد». أومأتُ لها، توجهتُ بسرعة إلى الكراج يتبعني باستر، فوجدت هاتفي في الشاحنة، كانت البطارية فارغة. أخذت باستر عبر المدخل وراقبته وهو يرفع رجليه على إحدى الشجيرات الصغيرة في نهايته. اشتمَّ المنطقة مرات عدة قبل أن أدعوه ليدخل المنزل. دخلنا المطبخ لأشحن الهاتف ولمَّا رأيتُ ميشيل عرفتُ أنّ أمراً سيئاً قد حصل. كانت تمسك الهاتف بيدها والدموع تنهمر على خديها.

«ما الأمر؟»

نظرتُ إلى الأسفل. ركضتُ نحوها بسرعة ووضعتُ يدي حولها لأمنعها من السقوط. «اتصل المحقق ستانتون للتو. لقد وجدوا جثة صبي أخرى تشبه في صفاتها تومي. يريدك أن تذهب وتتعرف إليها». عليَّ أن أُمسك ميشيل بقوة لأمنع نفسي من السقوط. لا أصدق هذا.

«حسناً سأذهب». نظرتُ إلى باستر. كانت عيناه الحزينتان تعكسان ما أشعر به.

«أيضاً، اتصل دوغ سورينسون في وقت سابق. يقول إنَّ لديه مزيداً من المعلومات لك».

«منذ متى اتصل؟» نظرتُ إلى ساعة المطبخ.

«منذ نحو الساعة». لا أعرف كيف أتصرف. في البداية أنا مرتاح لأنني لم أقتله، ولكن الآن حصلت على تومي جثة هامدة. يجب أن أذهب وأتعرّف إلى ولدي. انحنيتُ فوق برميل النفايات وتقيأت. أشعر بميشيل تمسك بي، ولكني أُعاني من دوارٍ شديدٍ لأرى أمامي. بقيتُ على هذه الحال لساعات عدة. بعد فترةٍ قصيرةٍ وبطريقةٍ ما، كنت في السيارة متجهاً إلى مركز الشرطة نفسه لأرى جثة ولدي الهامدة الذي قتلته. لا أستطيع التوقف عن البكاء. الدموع تنهمر على خديّ كالمطر الغزير. وصلت إلى المبنى المجهول عينه ورأيت سيارة المحقق ستانتون تقف أمامه. توقفت إلى جانبه وأطفأت المحرك. لا أستطيع تحريك قدمي. لا أعرف ما الذي حصل الليلة الماضية، لكني أعرف أنني لم أفعل ما كان يُفترض بي فعله. تلمست المسدس في جيبي، أخرجته ووضعته تحت مقعدي. لا أعرف كيف سأتعامل مع هذا الأمر، أعلم أن حياتي ستنتهي عندما أرى أنها جثة تومي. أتمنى فقط أن أنهار على الأرض وينتهي هذا بسرعة، لأنني لا أعتقد أني سأكون قادراً على التعامل مع أي شيءٍ آخر. بقيتُ أسأل نفسي لماذا لم أضغط على الزناد. لا أتذكر أي

شيء. آخر شيءٍ أذكره هو أني سحبت المسدس وسورينسون يُدير ظهره لي، ولكن كل شيء بعد هذا غير واضح في ذهني حتى وجدتني ميشيل هذا الصباح. لا أعرف كم مضى على جلوسي هنا، ولكني أرى سورينسون عبر مرآة السيارة يقترب من شاحنتي. فتحتُ الباب ببطء ونزلتُ. اقترب مني ووضع ذراعه حولي.

«أنا آسف جداً لجعلك تفعل هذا مجدداً. أتمنى أن تكون النتيجة ذاتها كالمرة السابقة». أردتُ أن أُخبره بأنها لن تكون كذلك لأني لم أضغط على زنادٍ بسيطٍ صغيرٍ، ولكن بدلاً من ذلك أومأت له وتبعته إلى المبنى نفسه. مشينا مباشرةً واجتزنا الضابط الجالس خلف الزجاج. لم يرفع رأسه حتى. جلستُ إلى الطاولة عينها، على الرغم من أنها هذه المرة فارغة. بعد دقيقة، عاد ستانتون ومعه مجلد آخر. يبدو أسمك قليلاً، ولكنه باللون والحجم نفسيهما. جلس أمامي. هناك شيء مختلف هذه المرة، كأنه يعرف مقدار الألم الذي سأمر به في لحظات. نظرتُ في أرجاء الغرفة الفارغة ولم أرَ أحداً، ولا حتى الضابط الذي كان خلف الزجاج، اختفى الجميع. لستُ متوتراً على الإطلاق، لقد فقدت كل أحاسيسي. فقط جلست وحدَّقتُ بالمجلد الذي كان يتلاعب به بيديه. لم

يتكلّم ستانتون أو ينظر في عيني حتى. أشعر أن حياتي شارفت على الانتهاء. يقولون إن أقسى ما يواجهه المرء في حياته هو دفن أطفاله، وأنا صراحةً أصدق هذا ضمنياً، هذا أمر خارج عن سيطرتي، ولكني هنا الآن أجلس وجهاً لوجه مع المحقق الذي يحقق في قضية اختفاء ولدي، ولقلة حيلتي فأنا أملك الآن امتيازاً بكوني مسؤولاً عن موت ولدي. أريد أن أبكي أو أصرخ، ولكن لم يخرج من فمي شيء، سوى الصمت. لم يتبق لديّ شيء. راقبت ستانتون وهو يفتح المجلد بطريقة مرتبة ويتصفح محتواه بإيجاز. لا أعرف إلى ماذا كان ينظر، ولكن من نظرة وجهه يمكنني القول إنه ليس شيئاً جيداً.

«عليّ أن أنبهك سيد سميث، إنه قاسٍ جداً». أومأت... لا أستطيع التحدث. أشعر أن أنفاسي قد توقفت. لا أستطيع سماع أي شيء، يبدو كأن كل شيء يتحرك ببطء. أرى وجه تومي يتضرّع لي لأُعيده إلى المنزل وأنا أعده بأنه سيعود قريباً، والآن تسببت بمقتله بطريقةٍ وحشيةٍ لا إنسانيةٍ. رأيت ستانتون يقف ببطء، وضع الصور أمامي، هناك أربع أو خمس صور، لا يمكنني أن أحدد، تفكيري لا يعمل بشكل صحيح. أول شيء لاحظته في الصور كان الشعر في

الصورة الأولى، إنه مثل شعر تومي، شعر كثيف وبني، وبحجم تومي نفسه أيضاً. شعرتُ أن قلبي يذوب في صدري وكاد يتوقف عن النبض. كيف جَبُنْتُ إلى هذا الحد؟ لن أسامح نفسي أبداً. لا يمكنني رفع ناظري عن الصورة الأولى وعن شعر تومي. نظرتُ عبر الغرفة ورأيتُ ستانتون يومئ لي ويمشي باتجاهي. بدأ كل شيءٍ في الغرفة يدور، حاولتُ أن أركز على الصور الأخرى، أريد أن أعرف كيف انتهت حياته. لمَّا وصلت إلى الصورة الأخيرة رأيت فمه مفتوحاً، يبدو كأنه يصرخ لي لأنقذه، عندها لاحظتُ جهاز تقويم الأسنان، تومي لا يضع جهاز تقويم على أسنانه. وقفتُ في الحال وصرختُ إنه ليس هو. ركض ستانتون نحوي، وأمسك بكتفيّ.

«هل أنت متأكد؟» تفحصتُ الصور مرة أخرى، والآن يمكنني أن أقول إنه ليس هو فعلاً. الجسد مختلف. لا أعرف كيف لم ألحظ هذا من قبل. لعنتُ نفسي، ولكني لا أصدق أنه ليس هو. يا لها من حيلةٍ خبيثةٍ. فكرة أن طفلاً آخر فقد حياته تصدمني كثيراً، ولكني أشعر بارتياحٍ كبيرٍ لمعرفتي أنه ليس ولدي.

«أنا متأكد أيها المحقق. إنه ليس تومي». وقفتُ وتوجهتُ إلى الباب.

«سنصل إليه سيد سميث. أعدك». نظرت إلى الخلف وأومأت له وخرجت من الباب. مددت يدي لأصل إلى هاتفي لأخبر ميشيل، ولكني أدركت أنني قد تركته يشحن على طاولة المطبخ. استدرتُ وطلبتُ من الضابط خلف الزجاج أن يسمح لي باستخدام هاتفه فوافق. أخبرتُ ميشيل فلهشتْ وهي تعبِّرُ عن سعادتها لسماع هذا. أخبرتني أن السيد سورينسون اتصل مجدداً. قفزت إلى الشاحنة وعدتُ مباشرةً إلى الكنيسة نفسها التي ذهبتُ إليها الليلة الماضية. رأيتُ العدد نفسه من الناس مبعثرين على المقاعد الخشبية. جلستُ في مكاني نفسه وحدقتُ بالتمثال شاكراً الله على إنقاذه حياة تومي. تلوتُ بعض الصلوات بصوتٍ عالٍ للطفل الذي قُتِل بدلاً عن طفلي. وبعد نحو نصف ساعة، عدت إلى المنزل فوجدت ميشيل في الحمام. تناولت بعض قطع البسكويت القديمة من خزانة المؤونة، وأمسكت بسلسلة باستر وأخذته في نزهة. وصلت إلى نهاية الممر وشعرت بهاتفي يهتز. أعرف من يكون من دون النظر إلى الهاتف. ضغطت بعصبية على زر الإجابة.

«مرحباً شيلدون. أعتقد أنك مدينٌ لي بالشكر».

«ما الذي تتحدث عنه؟» أطلقت باستر من سلسلته فركض باتجاه صف من الشجيرات الصغيرة.

«أعتقد أنك قد رأيت للتو الدليل على أن ممتلكاتك لاتزال تحت الحماية. أتمنى أن يكون هذا درساً لك لتتعلم أنه عندما أعقد اتفاقاً معك فعليك أن تلتزم به». رأيتُ باستر يعود إليَّ. مسحتُ على رقبته.

«حاولتُ فعل هذا ولكني لم أستطع. أرجوك دع تومي ليعود إلى المنزل الآن».

«شيلدون، لقد عقدنا اتفاقاً وسوف تُنفِّذُ ما يترتب عليك وإلا سأفعل ما سبق وأخبرتك أني سأفعله. إليك الخطة، اليوم هو الخميس، يوم الأحد، سيشاهد السيد سورينسون مباراة لفريق «الهنود الحمر» عند الساعة الواحدة، وستكون زوجته وابنته في الخارج». انطلق باستر عبر الشارع وتوقف عند شريط من العشب الذي يحتاج إلى جز. «أريدك أن تفعل ما يفترض بك فعله وإلا فستكون الصور التالية التي ستنظر إليها لشيء أنت تعرفه جيداً».

«أرجوك، لا تجبرني على فعل هذا».

«تذكر، نحن شركاء ولقد عقدنا اتفاقاً. أتوقع منك أن تلتزم من جانبك وعندها سألتزم أنا. أَتَفَهَّم أن المرة الأولى كانت قاسية، لكنك الآن تعرف ماذا تفعل وأتوقع منك أن تفعله وإلا لن تكون هناك فرصة أخرى».

«لماذا قتلت ذلك الطفل؟» استدار باستر نحوي ونظر إلي.

«في الحقيقة، شيلدون، إن يديك ملطختان بدمه. لو أنك فعلت ما كان يفترض بك فعله، لكان حيّاً ولما كنتَ تتحدث إليّ الآن، بل كنت مع ممتلكاتك». ركلتُ الأرض بقدمي ما جعل باستر يقفز.

«اسمع، أنت شخص مريض ومصاب بانفصام الشخصية. لا أعرف ما الذي تريده، ولكني أريد أن يعود تومي الآن».

«كان من المفترض أن يكون بحوزتك الآن، ولكنك لم تلتزم من جانبك بالاتفاق. أتمنى أن تكون قد تعلَّمت درسك، لأنه سيكون الأخير. سأتصل بك قبل الأحد. تأكد من هذا وأعِد السلاح إلى مكانه المناسب إلى حين تحتاجه». رميت السلسلة على العشب، فركض باستر وأعادها بفمه وألقاها أمامي. انحنيتُ على ركبتيّ وربَّتُّ على ظهره بغضب. نهضت ببطء وبدأت أمشي باتجاه منزلنا،

وباستر يتبعني. فتحت الباب وتركت باستر يجري إلى الداخل. ذهب مباشرةً إلى المطبخ وبدأ يلعق الماء من إناء معدني لا بد أن ميشيل قد وضعته له. دخلتُ غرفة الجلوس ورأيتُ ميشيل تجلس على الأريكة. اقتربتُ منها وعانقتها عناقاً طويلاً حاراً. إنها المرة الثانية في الأيام القليلة الماضية التي اعتقدنا فيها أن تومي قد مات، لكن لم يكن هو. لم نتفوّه بأيِّ كلمة. لم يبق شيء ليقال. صعدتُ الدرج لأستلقي. أعتقد أني غفوت قبل أن يصل رأسي إلى الوسادة. استيقظنا في الصباح التالي، أعتقد أنها أفضل ليلةٍ نمتها منذ اختفاء تومي، وأظن أن السبب في هذا أنني عرفتُ أنّ ذلك الطفل لم يكن تومي. لا أزال أرفض مشاهدة الأخبار لأني لا أريد أن أسمع عن أُسر الولدين ومحاسبة البنك المفجوعة. أعتقد أنه يمكنني أن أتخيَّل ما يمرون به. ربما ينتهي كل شيء بعد يوم الأحد، نعم، لقد قرّرت أن أمضي بهذا العمل هذه المرة. سأتواصل مع أُسر الضحايا وسأساعدهم. ذهبت إلى المطبخ، كانت ميشيل تجلس إلى الطاولة وهي تحدّق بطبق الحبوب الذي لم يُؤكل منه شيء. وقفتُ لمَّا رأتني. يمكنني القول إن هناك أمراً سيئاً من جديد.

«ما الأمر؟» طلبتْ مني الجلوس. «ماذا حدث ميشيل؟» نظرتْ في أنحاء المطبخ ثمّ نظرتْ في عيني.

«آسفة شيلدون، لكن ستانتون وآدامز كانا هنا للتو. لقد وجدا لورانس ميتاً بطلقٍ ناريٍّ في شقته. قالا إنَّه لم يعانِ». حدّقتُ بها. لم يعد هناك دموع لتُزرف، حزنٌ فقط. يبدو ذهني خالياً تماماً من أي شيء. أسمع أصواتاً في الغرفة المجاورة.

«هل هما موجودان في غرفة الجلوس؟» نهضتُ، لكن ميشيل أشارت لي بأن أعود إلى مكاني وعانقتني.

«إنهما والداي. جاءا أمس». أومأتُ برأسي. «آسفة جداً شيلدون».

«لا أصدق هذا. قَتَلَ لورانس».

«هل تعرف من فعل هذا؟» نظرتُ إلى ميشيل. أشعر أن رأسي يزن مئة باوند.

«لا، ولكني أعرف أنه الشخص نفسه الذي يحتجز تومي».

«حقاً؟ تعتقد أن الأمرين مرتبطان ببعضهما». أشعر بيديها تمسكان بكتفيّ بشدة.

«لا بدّ أن الأمر كذلك». أومأت.

«قال ستانتون إنه يريدك أن تذهب إلى هناك عندما تكون مستعداً لهذا. من الواضح أنهم وجدوا شيئاً ما هناك ويريدون أن يسألوك عنه».

«مثل ماذا؟»

«لا أعرف. أعتقد أن هناك بعض الملحوظات أو شيئاً من هذا». مسحتْ على ظهري بلطف. «أخبرتهم أنك ستكون هناك في وقتٍ لاحقٍ. لِمَ لا تريح نفسك لبعض الوقت». نظرتُ خلفي عندما دخلتْ والدةُ ميشيل المطبخ. إنها النسخة الأكبر سناً عن ميشيل، الشعر المموج، والوجه البيضوي نفسهما، فقط أكبر بعدة سنوات. عانقتني وأخبرتني عن أسفها لكل ما حصل وأنهما هنا إن احتجنا لأي شيء. شكرتها.

وقفتُ. «سأذهب إلى هناك الآن».

«أرجوك شيلدون هوّن عليك. لا يمكننا أن نتحمل أكثر من هذا. أعني انظر إلى حالنا».

«لِمَ لا تصعدان إلى الأعلى لنيل قسطٍ من الراحة وأنا وبوب سنعتني بكل شيء. أرجوك تناول شيئاً ما شيلدون. لقد ذهبتُ إلى

المتجر الليلة الماضية، لم يكن هناك أي طعام طازج في المنزل. رفضتُ الفكرة هازّاً رأسي، وشكرتهم وصعدت إلى الأعلى. مررت بوالدها بوب في الرواق، فصافحني وأخبرني أنه آسف لما حدث. إنه أكبر سناً من والدتها بقليل وأصبح بطيء الحركة، لكنه مخلص. ارتديت ملابسي بطريقة ما. لم أشغل نفسي بالنظر في المرآة على الإطلاق، ولا أدري إن كان هذا بسبب خوفي من الحال التي أبدو عليها أو من الشخص الذي تحوّلتُ إليه. توجهتُ إلى السيارة، واستغرق الطريق إلى منزل لورانس خمساً وعشرين دقيقة. إنه يعيش خارج العاصمة، في منطقة إيرلينغتون (Arlington). لمَّا وصلت إلى شارعه رأيت سيارات الشرطة. إنه يعيش في مبنىً مؤلفٍ من عدة شقق وله حديقة، كل وحدة سكنية هناك تحوي تقريباً عشرين شقة. وتقع شقته في المبنى الثاني من الجهة اليمنى. شعرت بالذنب لأني لم آتِ إلى هنا كثيراً. أعلم أنه كان مشغولاً بعمله وأنا كنت مشغولاً بأسرتي، ولكن كان عليّ أن أزوره مرات أكثر. على الرغم من حقيقة أننا لا نرى بعضنا كثيراً، لكننا كنا مقربين من بعضنا جداً وتربطنا دائماً علاقة الأخوة، خاصةً مع والدينا اللذين يقيمان على الساحل الغربي. نظرت إلى الساعة، يجب

أن أتصل بهما لأخبرهما بوفاته بعد أن أنتهي من هنا. أتمنى أن يكونا قادرين على تحمل الرحلة إلى هنا نظراً لوضعهما الصحي، لأني أعرف أن لورانس أراد أن يُدفن هنا. هذا المكان كان كل حياته، لقد أحبَّ العاصمة والمناطق المحيطة بها، لم يكن لديه أسرة قط، ولكن لديه علاقات غرامية دائماً، برغم أنّ معظمهن كنّ محامياتٍ يعشن نمط حياته نفسه. أعلم أنه كان يتمنى أن يستقر يوماً ما ويصبح لديه أسرة، ولكن الآن انتهى كل هذا. أشعر أني أنا من قتله لأني لم أضغط على الزناد. أعلم أنه لا يوجد سبب يجعلني أفكر بأنها مجرد جريمة عشوائية، فأنا أعرف أن هذه الجريمة مرتبطة بعدم قتلي لسورينسون. ركنت السيارة ومشيت باتجاه المبنى الذي كان يسكنه. رأيت الشريط الأصفر الذي يوضع حول مكان الجريمة لُفّ حول بابه. تقع شقته في الطابق الثاني، كل الشقق هنا أبوابها الخارجية تقابل بعضها بعضاً. وشقته إلى الجهة اليسرى من الدرج. وصلت إلى بداية الدرج فأخبرني أحد الضباط أنه لا يمكنني الدخول، فأخبرته من أكون. وبعد دقيقة، رأيت ستانتون ومعه رجل آخر يرتدي بزَّة رسميةً يفتح باب شقة لورانس ويشير لي بالدخول. صعدت الدرج وصافحتهما. قدمني ستانتون إلى المحقق

الآخر، أعتقد أن اسمه الأخير كان نيلسون، ولكني لم أسمع أي شيء حقاً. يبدو كل شيء ضبابياً. دخلت الشقة ذات غرفة النوم الواحدة، كان كل شيء فيها يبدو عادياً ونظيفاً، تماماً كما تركها لورانس. شعرت أنه سيخرج من غرفة النوم في أيّ لحظة ليدقَّ كفه بكفي. لم نعانق بعضنا قط، دائماً ندق كفينا، منذ أن كنا في الصف السابع كان اتفاقنا بأن نسلم دائماً على بعضنا بتلك الطريقة. برغم أنني الآن أود أن أعانقه بشدة إلا أني لا أعرف ماذا أفعل، لذلك وقفت عند الباب وراقبت ما يفعلونه. هناك اختصاصيون يعملون في كل أرجاء المنزل. يبدو أنهم على وشك الانتهاء، ولكن من الصعب التأكد من هذا، لذلك لم أتحرك من مكاني حتى أشار لي ستانتون نحو غرفة النوم. لا أعرف ماذا أتوقع أن أرى وأنا أصل إلى باب الغرفة، ولكن أول شيء لاحظته هو أن لورانس لم يعد هنا على الإطلاق. هناك كثير من الدم الجاف على السرير، ولكني أشحتُ نظري عن هذا المنظر ونظرت في أرجاء الغرفة. لم أدخل قط غرفة نومه من قبل، فذُهلْتُ بكبر حجمها. لم يكن هناك لوحات على الجدران أو أي أشياء شخصية، فقط مرآة صغيرة معلّقة فوق خزانة لها أربعة أدراج. نظرتُ في خزانة ملابسه إلى

الجهة الأخرى، كانت مليئة ببزّات المحاماة كما توقعت، كانت جميعها بألوان ملابس المحامين المعتادة، الرمادي الداكن، والأزرق والأسود. لا أذكر آخر مرة رأيت فيها لورانس بملابس غير البزَّة الرسمية. لو كان لديه شيء آخر غير البزَّات لتفاجأت به.

«سيد سميث، أرجوك اقترب إلى هنا». أشار ستانتون إلى الطرف الآخر من السرير. اقتربتُ ببطءٍ من السرير الملكي الكبير وأنا أحرص على ألا أنظر إلى الدم الموجود على غطاء السرير. لمَّا وصلت إلى الجهة الأخرى، ابتعد المحققان خطوة إلى الوراء، كانا يحدقان في الأرض. كانت هناك مجموعة من الصور لتومي لا تقل عن ثلاثين صورة من القياس الكبير.

الفصل السابع عشر

«ما هذا؟» انحنيتُ على ركبتيّ وبدأت أتلمسها ثم توقفت فجأة.

«لا بأس، لقد رفعوا البصمات عنها جميعاً والبصمات الوحيدة التي وجدناها كانت لأخيك لورانس» قال ستانتون هذا وهو يهمس. بدأت ألتقطها وأول شيء لاحظته هو أن الصور جميعها التُقطَتْ في الغرفة نفسها التي ظهرت في مقطع الفيديو ومن اتصال الفيديو الذي أجريته مع تومي، رأيت كل ألعاب الفيديو خلفه. التقطت إحدى الصور وحدّقتُ في عيني تومي. لم تكن فيها تلك النظرة الغامضة، بدا تماماً كتومي. «هل لديك فكرة عن تاريخ التقاط هذه الصور؟» نظرتُ إلى الصور ثم إلى المحققين.

«لست متأكداً، ولكن يبدو أنها التقِطَتْ مؤخراً».

«وماذا عن المكان الذي التقطت فيه؟» أومأت بأني لا أعرف. «ألا تعتقد أن هذه الغرفة تشبه غرفة ولدك في منزلك؟» أومأت. «ألا تعتقد أن هناك أمراً ما يحدث هنا؟» ألقيت الصور أرضاً.

«هل تمازحني، تعتقد أن لورانس مشترك في خطف تومي؟»

«أنا لم أقل أي شيء. إنه فقط أمر غريب أن نجد هذه الصور هنا». نظرت إلى الصور مرة أخرى.

«من الواضح أن الشخص الذي قتل لورانس هو الذي وضعها هنا». وقفتُ بسرعة واتجهت نحو الباب.

«يوجد هذه أيضاً». نظرت إلى الخلف، كان ستانتون يمسك بهاتف لورانس الخلوي، إنه أحد أجهزة الأندرويد الكبيرة. نقر على شيءٍ ما فظهر تومي في الغرفة نفسها يتحدث عن كتاب يمسكه بيده.

«دعني أرَ ذلك». أخذت الهاتف من يده وأعدت تشغيل مقطع الفيديو. لا أصدق هذا، إنها نسخة معدلة من مكالمة الفيديو التي أجريتها مع تومي ذلك اليوم. نظرت إلى المحققين. ونظرا إلي ينتظران جواباً مني، ليس لدي أي شيء لأقوله. لا أعرف إن كنت

في حالة صدمة أو أنني جُنِنْتُ. شاهدت مقطع الفيديو مرة أخرى وتذكرت المحادثة كلها.

«نعتقد أنه متورط في الأمر بطريقة ما. يُظهر الفيديو أنه كان يتحدث إلى تومي». أعدتُ له الهاتف.

«لا إنه ليس كذلك، إنه فقط فيديو لتومي». أردت أن أُخبرهم بأنني من كان يتحدث إليه، ولكني أعرف أني لا أستطيع، لذلك استدرت ومشيت نحو الباب. توقفت عند الباب واستدرت، كانا ما يزالان واقفين ينتظران جواباً مني.

«هل يمكنك إخباري أين أخي؟» اقترب ستانتون مني وهمس لي عن مكان وجود جثة لورانس وحذرني من الذهاب إلى هناك. أيضاً اعتذر لي عن الفيديو والصور، لكنه أرادني أن أعرف بهذا. أومأت له وخرجت من الباب مجتازاً الضابط الذي كان يقف أسفل الدرج، والذي دوّن شيئاً ما بعد أن ابتعدت. وصلتُ إلى السيارة فشعرتُ بوصول رسالةٍ جديدةٍ إلى هاتفي. فتحت بريدي الإلكتروني وقرأت، «آسف بشأن لورانس، أردت فقط أن أخبرك بأني جاد بشأن يوم الأحد. أنت تعرف أن الفشل غير مقبول. وماذا عن ذلك التحول في القضية؟ هل

رأيت وجهي المحققين عندما شاهدا ردة فعلك على محادثة الفيديو؟ لم يعودا يعرفان بماذا يفكران الآن»

تجاهلت العنوان الذي أعطاني إياه ستانتون، وقدت السيارة باتجاه المخزن، وضعت المسدس في الخزنة وأغلقت الباب. لا أستطيع التوقف عن التفكير في أنه كان بإمكاني منع موت لورانس لو أني فعلت ما كان عليّ فعله. ركبتُ السيارة وطلبتُ رقم والدي، أهاب فعل هذا ولكني أعرف أنه لا بدّ من فعله. أمضيتُ الدقائق العشر التالية وأنا أبكي وأُعاني مع أبي وأمي على لورانس وتومي، وعدا بأنهما سيستقلان الطائرة إلى هنا في الحال. حاولت إقناعهما بأن لا حاجة لذلك، ولكن من دون جدوى لذلك أنهيت الاتصال وتوجهت إلى المتنزَّه. كان مظلماً تماماً، واللافتة تقول: (ممنوع الدخول بعد ساعات محددة)، وبرغم ذلك دخلت البوابة وانتهى بي الأمر جالساً على المقعد الطويل عينه. لدي إحساس بأني مراقب ولكني لا أكترث. حقاً لم يعد يهمني أي شيء إلا استعادة تومي. حدثتْ أشياء كثيرة في الأيام القليلة الماضية. لا أعتقد أني سأعود كما كنت أبداً حتى لو استعدت تومي، هذا الأمر الذي قطعت عهداً على نفسي بأن أفعل أي شيء لأجله. بعد فترة، سمعت حركة

شخصٍ بين الأشجار إلى جانبي، ولكني لم أنظر إلى هناك حتى. أتمنى أحياناً أن يأتي أحدهم وينتشلني من هذه المأساة، ولكني أعرف أنه لم يعد بإمكاني أن أستسلم، ليس الآن، ليس قبل أن أستعيد تومي. شعرتُ بهاتفي يهتزُّ مجدداً، نظرتُ إلى الرقم، لم أعرفه لذلك أجبت.

«مرحباً شيلدون، دوغ سورينسون معك». قرّبت الهاتف من أذني.

«كيف حالك دوغ؟» لو أنه فقط يعرف أنه كان بحوزتي مسدس موجّه إليه قبل مدة قصيرة.

«أردتُ أن أخبرك أني أجريت بعض عمليات البحث واكتشفتُ أشياء مهمةً عن فرانك هاريس، أعتقد أنه ينبغي عليك معرفتها». نهضتُ عن المقعد واتجهتُ نحو شاحنتي. توقفتُ واتكأتُ على باب السائق.

«حسناً، ماذا وجدتَ؟»

«حسناً، كما تعرف، فرانك لديه أخ يُدعى شان. من الواضح أن علاقتهما الأخوية قوية. شان أضخم بقليل وأقوى». خطر لي

مباشرةً أنه لا بدّ أن يكون هو الشخص الذي أخذ تومي من المدرسة. «وفرانك جذاب وأذكى قليلاً». أتصوّر أنه الشخص الذي يتصل بي. دخلتُ السيارة وأغلقتُ الباب.

«كيف أصبحتَ محاميهما؟» أدرتُ محرِّك السيارة.

«في الحقيقة لم أكن ممثلاً لهما، كنت أُمثل والدتهما، وعندها بدأا يظهران معها في كل مرة تأتي فيها إليّ».

«هل تعرف أين هي الآن؟»

«ماتتْ مباشرةً بعد انتهاء القضية، في حادث تحطُّمِ سيارةٍ غامضٍ. أتذكّر أن سيارتها اشتعلتْ بالنيران ولم تعمل أبوابها فلم تتمكن من الخروج منها. بعدها لم أعُد أعرف ماذا حدث ولِمَن عاد المال كله».

«هذا أمر مثير للشكوك». خرجتُ من موقف السيارات.

«إنه كذلك، ولكن الشرطة حكمتْ بأنه مجرّد حادث استثنائي».

«إذاً، إلى من ذهب المال؟» اجتزتُ اللافتةَ الداكنةَ ثمّ إلى الطريق الرئيس. اتجهتُ نحو منزلنا.

«هذا الأمر الذي لا يعرفه أحد حقاً. كنتُ أحاول الاستقصاء عنه، ولكني وصلتُ إلى نهايةٍ مسدودةٍ. على أي حال أردتُ فقط إخبارك بهذا».

«شكراً جزيلاً لك على هذه المعلومات».

«أهلاً بك في أي وقت. تذكّر، إذا احتجتَ إلى أي شيء فأخبرني أرجوك، في أي وقت». رأيت انعكاس صورتي في المرآة الخلفية فانحرفتُ عن الطريق عند رؤية الرجل الذي سيقتل هذا الشخص بعد عدة أيام. شكرته مرة أخرى وأغلقت الهاتف. أدرت السيارة واتجهت إلى المنزل. مررت في طريقي بمنزل سورينسون. توقفت أمامه بعيداً عن الأنظار، ورأيت طفلته الصغيرة وزوجته تركضان في الباحة الأمامية للمنزل خلف كلب أسود لطيف. ابتعدت بسرعة عن حافة الطريق وتأكّدت من ألا أنظر إلى الخلف. بقيتُ أقول لنفسي إني على الأقل سأستعيد تومي، وبعد دقائق عدة، وصلت إلى كراجنا. كان الوقت تقريباً منتصف الظهيرة، أشعر بأن الوقت يصارعني، دخلت غرفة الجلوس فوجدت ميشيل جالسةً على الأريكة إلى جانب والدها ووالدتها. نهضتْ مباشرةً، عانقتني

وأبدت أسفها لما حدث للورانس. أخبرتها أنّ والديّ قادمان إلى هنا وأننا سنستضيفهما لوقتٍ قصيرٍ. أومأ لي والداها، وركض باستر باتجاهي من المطبخ.

«لقد كان ينتظرك طوال اليوم شيلدون». مسحتُ على رقبته بيدي وجلس عند قدمي.

«سآخذه إلى الخارج في غضون دقيقة».

«حسناً، ماذا أرادك ستانتون أن ترى في منزل لورانس؟» نظرتُ حولي لأرى السلسلة. لم تكن في مكانها حيث كانت هذا الصباح.

«وجدوا كيساً مليئاً بالصور، وفيديو لتومي».

«ماذا؟ ماذا تعني؟»

بقيت أنظر حولي. لم أرَ السلسلة. «إنه أمرٌ مرتبٌ. إن الشخص الذي أخذ تومي تركها هناك ليضيِّع وقت الشرطة ووقتنا».

«هل أنت جاد في هذا؟ لهذا السبب قُتِل لورانس». أومأت برأسي. مددت يدي إلى جيبي وأعطيتها إحدى صور تومي. أمسكتْها بكلتا يديها وبدأتْ تبكي.

«على الأقل إنها تُظهِرُ أنه بخير وعلى قيد الحياة». كان باستر يلكز قدمي.

«كيف لنا أن نعرف متى التُقِطَتْ هذه الصور؟» قربَتْ الصورة من وجهها.

«انظري إليه أين هو». نهضتْ والدتها ووقفتْ إلى جانبها. وضعتْ يديها على كتفيها.

«تبدو مثل غرفته باستثناء كل تلك الألعاب».

«إنه شخص مريض، أليس كذلك؟ هل تعرفين أين سلسلة باستر؟»

لم ترفع ميشيل عينيها عن الصورة. «أبي هل تذكُر أين وضعتها؟» نظرتْ إليَّ. «أخذه أبي في نزهةٍ باكراً». نظرتُ إلى والدها، لا يبدو أنه يسمعنا أو أنه يتجاهلنا.

«لا يهم. هيا باستر دعنا نذهب». مشيت نحو الباب الأمامي يتبعني باستر، فتحت الباب فانطلق يركض إلى الخارج إلى أول شجرة ليحدد منطقته. أمضينا نصف الساعة التالية نسير في الشارع جيئةً وذهاباً. لمَّا اقتربتُ من منزلنا رأيتُ سيارةً في

المدخل، أدركت أنها سيارة ستانتون. فتحت الباب الأمامي وتركت باستر يدخل. ركض إلى المطبخ، ها أنا ذا أسمعه يلعق الماء من إنائه مجدداً.

دخلت غرفة الجلوس ورأيت ميشيل تُمسِك قميصاً أزرق مقلّماً وتقف إلى جانب ستانتون.

«ما هذا؟»

خطا ستانتون إلى الأمام. «وجدنا هذا في شقة أخيك بعد أن غادرت». أشار إلى القميص. إنه أحد قمصان تومي.

«إنه قميص تومي شيلدون. ماذا يحدث؟»

«نحن نعتقد أن أخاك كان متورطاً في هذا. حصلنا على نسخة من كشف حسابه المصرفي لقد تلقى مبلغين كبيرين الأسبوع الماضي، يزيدان عن مئة ألف دولار». نظرتُ إلى ستانتون وميشيل التي تمسك القميص.

«اسمع، من المستحيل أن يقوم لورانس بأي شيء لإيذاء تومي. لِمَ لا ترى أنه يحاول أن يُضيّع وقتنا ويجعلنا نتخبط؟» ركلتُ الأرض بإحباطٍ ما جعل باستر يخرج من المطبخ.

«بغض النظر عن هذا، يجب أن ننظر إلى الأمر من كل الزوايا، ويوجد الكثير من الأدلة التي تمنعنا من أن نتجاهل هذا». نظر ستانتون إلى القميص.

«افعل ما تريده، ولكن لا تضيع وقتك مع لورانس. أَلَمْ ينل ما يكفيه؟ أقصد أنهم قتلوه». شعرتُ بالغضب يسري في عروقي.

«أنا أتفق معك في كل شيء إلا أنه لا توجد طريقة لتفسير مقطع الفيديو. أعني أنَّ لدينا مقطع فيديو لمحادثة صوت وصورة بين تومي ولورانس. رأيتَه أنت».

انحنت ميشيل إلى الأمام. «هل الفيديو معك هنا؟»

«لا، أعتذر تجري معالجته الآن. سأحضره لكِ حالما ننتهي منه لتتمكني من رؤيته».

قربت القميص من وجهها. «كيف كان يبدو؟» نظر ستانتون إليّ.

«يبدو جيداً، تماماً مثل الصورة». نظرت إلى باستر. كان يمدُّ قدميه أمامه.

«يعتقد التقنيون لدينا أن مكالمة الفيديو حقيقية. لم يجرِ تطبيقها». هززتُ رأسي.

«لورانس ليس مشتركاً في هذا». تابعتُ هزَّ رأسي. شعرت برأس باستر على قدمي.

«أنا آسف جداً بشأن أخيك، ولكن يجب عليك أن تفهم من أين أنا أتيتُ. لا تفسير آخر للأمر، إلا إن كنت تفكر في شيءٍ آخر. سوف نتصل بشركة «آبل» لنرى إن كان بإمكاننا الحصول على نسخة كاملة من المحادثة». نظرتُ بعيداً وصعدتُ الدرج، سمعتهم يقولون شيئاً ما لي، ولكني تابعتُ طريقي. أشعر أن باستر يسير خلفي تماماً، فهمست له بأني أريد أن أخبره بكل شيء. استلقيت على سريرنا وجلس باستر إلى جانبي بهدوء. وضعت يدي حوله واعترفت له بكل شيء فعلته في الأسبوع الماضي. لعق وجهي.

الفصل الثامن عشر

«شيلدون». سمعتُ ميشيل تناديني. يبدو صوتها قادماً من أسفل الدرج. أغلقتُ الحاسوب المحمول، ووضعتُ العنوان في جيبي وتوجهت إلى أسفل. حلّ الظلام في الخارج، لذا لا بدّ أنها ليلة الجمعة، على الرغم من أني لستُ متأكداً بشأن الوقت أو اليوم. فالأيام تبدو كلها مجتمعة بكابوسٍ واحدٍ طويلٍ بدأ منذ أن أُخِذَ تومي من المدرسة. نزلتُ الدرج ودخلتُ غرفة الجلوس، كانت ميشيل وباستر يجلسان على الأريكة، باستر يضع رأسه على حجرها. حاولت أن أبتسم، لكن لا أعرف ما التعبير الذي ظهر على وجهي، أعتقد أن ميشيل قامت بالأمر نفسه. كانت تمسك بقميص تومي وتضع صورته على طاولة القهوة. «اتصل جيم. يريدك أن تقابله في العمل هذا الصباح. قال إنه سيكون هناك هو وبريان طوال النهار». أومأتُ لها وجلست إلى جانبها. رفع باستر رأسه ونظر إليّ. فمسحت

أعلى رأسه بلطف. «لقد عاد من الخارج منذ فترة. أخرجته في نزهة باكراً».

«أين والداكِ؟»

«أرسلتهما لتناول العشاء في الخارج. حاولا أخذي معهما، ولكنني لا أستطيع الخروج من المنزل، ليس قبل أن أرى تومي سليماً ومعافى». أمسكتُ يديها.

«لقد رأيتِ الصورة وأخبرك ستانتون عن مقطع الفيديو، لذا عليكِ أن تصدقيني أنه بخير، صحيح؟» انحنتْ أكثر، ما جعل باستر يُعدل جلسته، وأخذتْ الصورة. حدّقنا فيها كلانا.

«إنه يبدو على حاله شيلدون. لماذا كل هذه الأشياء حوله؟»

اقتربتُ وألقيتُ نظرةً عن كثب على الصورة. «لينشغل بها حتى يعود إلى المنزل. لو نظرتِ عن قرب لوجدتِ كتابين. إنه يقرأ تلك الكتب». أدارتْ رأسها فجأةً عن الصورة ونظرتْ إليّ مباشرةً.

«كيف عرفتَ ذلك؟» تقول هذا وأنت تعرف أنه لا يحب القراءة».

«أعتقد أنه كان هناك شيء عن هذا في مقطع الفيديو أو شيء ما». زلق باستر نفسه إلى الأمام حتى أصبح أنفه يلامس قدمي الآن.

«أَحقاً تعتقد أنه بخير؟» أمسكتُ يدها وضغطتُ عليها بلطف. نظرتُ إلى تومي في الصورة.

«نعم. أعتقد ذلك حقاً. أعتقد أنه سيكون في المنزل عمّا قريب».

«أتمنى هذا فعلاً شيلدون. حقاً أتمنى». غفونا معاً على الأريكة لعدة ساعات بعدها.

استيقظنا صباح السبت. كان هناك غطاء فوقنا وعلبة من الكعك على طاولة القهوة. نظرنا إلى بعضنا بعضاً.

«إنهما والداي»، قالت ميشيل. أمسكت بقطعة كعك واستمتعت بمذاقها الحلو الذي ملأ معدتي. لم أستمتع بأكل أي شيء منذ قرابة الأسبوع، لكن هذا الكعك طعمه لذيذ جداً. أخذت واحدة أخرى، تبدو بطعم التفاح، لكن لا يمكنني أن أحكم حتى أتناول لقمة كبيرة منها. كانت ميشيل تراقبني بفضول. اتجهت نحو الباب وأطلقت باستر يركض في الهواء الطلق. بقي يوم واحد حتى أضغط على الزناد وأستعيد تومي، فكرت وأنا أراقب باستر وهو يركض في فناء المنزل تاركاً خلفه رائحته. أنهيت الكعكة عندما عاد إليّ فدخلنا المنزل. صعدت إلى الأعلى لأستحم وبعدها أخبرت ميشيل أني ذاهب إلى العمل لأُقابل جيم وبريان. لا أعرف ماذا سأفعل اليوم،

ولكن لسبب ما أشعر أنه آخر يوم لي، لذلك من الأفضل أن أُنجز فيه قدر المستطاع. أقنعتُ نفسي بأني سأنفّذ مهمتي غداً. حتى إني رأيت نفسي في الحلم أُطلق النار، ولكن هذه المرة لم يكن سورينسون من وقع أرضاً بل تومي. أعتقد أني استيقظت الليلة الماضية أربع أو خمس مرات على الحلم نفسه. في كل مرة كنت أشعر أن باستر يقترب مني أكثر، إنه كلبٌ رائعٌ حقاً، جعلني أتساءل لماذا لم نقتنِ كلباً من قبل. لقد طلب تومي هذا منّا منذ سنة تقريباً ولكننا أنا وميشيل رفضنا الفكرة مباشرةً لاعتقادنا أنه يحتاج إلى كثيرٍ من العناية وليس لدينا الوقت الكافي لذلك. ربما ستعود الأشياء إلى طبيعتها عندما نسترجع تومي غداً، وسنعود إلى الروتين الطبيعي، على الرغم من أني لا أعتقد أن هذا سيحدث مجدداً. أعتقد أننا تغيرنا إلى الأبد، مهما حدث. أخرجت السيارة من مدخل المنزل. أعتقد أني أرى رأس باستر من نافذة غرفة الجلوس يحدّق بي، ولكني لستُ متأكداً من هذا. قدت السيارة على الطريق العام. إنه صباح يوم السبت، لذلك لا يوجد ازدحام شديد، مررتُ بعدة سيارات فقط على الطريق، لا يبدو أي منها مألوفاً لي. أصبحتُ أنظر إلى كل سيارة خلفي تقريباً لأرى إن كنت قد رأيتها من قبل، لكن حتى الآن لم ألحظ أي شيء غير عادي. ركنتُ السيارة في مكاني المعتاد. لا توجد أيّ سيارة

أخرى، لابدّ أني سبقت جيم وبريان. دخلت من المدخل الجانبي طالما أنه لا أحد في مكتب الاستقبال. مشيتُ نحو مكتبي، يبدو أمراً غريباً أن أكون هنا الآن. اعتدتُ أن يكون هذا المكان منزلي الثاني، لكنه الآن يبدو مكاناً غريباً نائياً، لم أتخيل أني سأشعر بهذا من قبل. فتحتُ الباب ودخلتُ المكتب، يبدو غريباً جداً، لا شيء فيه صحيح على الإطلاق، طاولة المكتب ليست في مكانها الصحيح، الكتب التي على رفوف المكتبة لا تبدو أنها الكتب الصحيحة أو في مكانها المناسب. كل الصور التي خلفي تبدو في المكان الخطأ. جلست إلى مكتبي وشغَّلتُ الحاسوب، أقلع ببطء شديد، لا شيء صحيح. أشعر أن جبهتي يملؤها العرق، أشعر بالحرِّ الشديد. فتحت النافذة وأخرجت علبة كولا «دايت» من الثلاجة الصغيرة التي أحتفظ بها في زاوية المكتب. بعد دقائق عدة، بدت الأشياء طبيعيةً أكثر، جلست وسجلت دخولي الحاسوب. أتساءل إن كنت أعاني من نوبة هلع، سمعت عنها كثيراً ولكني لم أجرب شيئاً كهذا من قبل. نظرت في أرجاء المكتب مجدداً فبدت الأشياء تعود إلى طبيعتها، ربما ما كان عليّ أن آتي إلى هنا اليوم. نظرت إلى موقف السيارات، لا أزال لا أرى أيّ سيارة. رفعت نظري بسرعة عندما سمعت طرقاً على الباب، كان جيم واقفاً عند الباب. ولم أسمعه حتى عندما دخل.

«أهلاً جيم، تفضل بالدخول». دخل ببطء وجلس على أحد الكراسي. يمكنني القول مباشرةً إن هناك أمراً ما يُقلقه. «ما الأمر؟»

«إنه بريان. لم أتمكن من الاتصال به منذ الأمس، وأنت تعرف علاقته بهاتفه». أومأت.

«ربما يكون فقط مشغولاً في أمرٍ ما».

«هذا ما كنت أفكر فيه أيضاً، لذلك توقفت هذا الصباح عند منزله قبل أن آتي إلى هنا، ويبدو أنه لم يأتِ إلى هناك منذ عدة أيام». اتكأت على المكتب.

«ماذا تعني بهذا؟»

البريد في مكانه منذ يومين، والجرائد موضوعة على الشرفة. طرقت الباب لعشر دقائق لكن أحداً لم يُجبْ، لذا دخلت المنزل. لقد أعطاني مفتاحاً له. شعرت أن يديَّ وقدميَّ بدأت تتخدر. «ولمَّا دخلت المكان وجدته قذراً، وأنت تعرف كم هو نظيف». أومأت مجدداً. «ماذا يعني هذا برأيك؟»

«لست متأكداً، ولكني أعرفه، ربما يكون يعمل في مكان آخر، تعرف أنت كيف اعتاد أن ينام هنا لأنه يعمل طوال الليل».

قرب كرسيه. «ربما أنت على حق. كان يحاول الوصول إلى مكان حساب البريد الإلكتروني الذي وجده في حاسوب المكتبة». نظرت إلى الأسفل. «لمَّا تحدثت إليه آخر مرة قال لي إن لديه اسماً وعنواناً وإنه سوف يبحث عنهما».

«هل أنت جاد؟ كيف حصل على عنوان من البريد الإلكتروني؟ ألا يستخدم معظم الناس أسماء مزيفة؟»

نظر خلفه. «هكَّر بريان الحساب وكان يقرأ البريد الإلكتروني. حسب ما قاله لي كان هناك بعض الأشياء الجنونية التي بدت وكأنها مرتبة، لذلك كان عليه أن يتفقدها».

«ماذا تقصد؟»

«لا أذكر كل شيء، لأنها بدت أشياء بعيدة جداً عما نبحث عنه، لكن كان هناك رسائل عن جريمة قتل من أجل المال وخطف... أوه آسف».

«لا عليك. قد يكون هذا كله مرتبطاً بخطف تومي».

نظرت إلى شاشة حاسوبي، ورأيته وهو يُخرج ورقة صغيرة من جيبه. «لقد طلب مني أن أكتب هذا الاسم». أخذت الورقة ورأيت الاسم، كُتِبَ عليها: «ماري كلوسن».

«من تكون هذه؟»

«لا أعرف، لكن بريان قال إن الاسم ذُكِرَ كثيراً في الرسائل. كان يحاول تتبع أثرها. أتعتقد أن هذا كله مرتبط باختفاء ولدك؟»

«أعتقد أن هناك فرصة كبيرة لهذا. يجب أن نصل إلى بريان». أخرج هاتفه المحمول واتصل به. وضع الهاتف بعد دقيقة.

«مازال لا يجيب».

صغرت نافذة المستعرض ونقرت على أحد الملفات. «لدي بعض الأرقام له هنا». قرأت له الأرقام التي لدي فأخبرني أنه قد جرب الاتصال بها جميعها. اتصلت بها أنا أيضاً وتركت رسالة صوتية على كل واحد منها. تحدثت أنا وجيم لمدة ساعة أو ما يقاربها عن مكان وجود بريان وما الذي يعمل عليه. لم أقتنع بعد أنه في خطر، بسبب عاداته في العمل، ولكنا اتفقنا أن نُطلِع بعضنا على كل جديد إذا سمعنا أو فكرنا في أي شيء. في الحال طبعت اسم ماري كلوسن على الحاسوب بعد أن غادر جيم، كان هناك المئات من صاحبات هذا الاسم على غوغل، لكن أحدها ظهر مرتبطاً باسم فرانك هاريس. فتحت الصفحة، كان فيها صورة لامرأة في منتصف العمر وللرجل الذي قُتِل في منزله تلك الليلة، فرانك هاريس سير. كانا

يقفان إلى جانب بعضهما بعضاً في ما يبدو وكأنه عمل رسمي. هو يرتدي بزّة سوداء وهي ترتدي فستاناً. هي تبتسم وهو يظهر على وجهه نظرات غير مريحة وكأنه أُرغِمَ على الوقوف لالتقاط هذه الصورة. كُتِب تحت الصورة أن السيدة كلوسن تقيم مأدبتها الخيرية السنوية. لا بدّ أنها الشخص الذي ورث الخمسين مليوناً. نظرت إلى صورتها عن قرب، كانت مغطاة بالأحجار الثمينة الضخمة حول رقبتها وفي يديها. عدتُ إلى غوغل وتابعت القراءة عنها. من الواضح أنها كانت فيما مضى معلمةً تحضر دروساً في مدرسة التمريض ليلاً في البلدة المجاورة ثم استقالت عند تلقيها ميراثاً كبيراً، وأسست العديد من الجمعيات الخيرية. يقول الموقع إنها اشتراكية حقيقية وغير متزوجة، ولم يَذكُر الموقع شيئاً عن علاقتها بفرانك أو شان أو حتى فرانك بالنسبة لسير، تبدو صغيرة جداً لأن تكون زوجته، قد تكون ابنته لكني لست متأكداً. بحثتُ عن إحدى جمعياتها فأعطاني عنواناً في بلدة الإكسندريا القديمة. كتبت العنوان بسرعة، وعاودت البحث مجدداً، ولكني حصلت على الصفحات نفسها بالصورة نفسها. أخيراً فتحت غوغل مجدداً وأعدت طباعة اسمها، فحصلت على المواقع نفسها التي حصلت عليها من قبل، لكني وجدت أيضاً صفحة أخرى فيها صورة تجمعها مع فرانك

هاريس مرة أخرى. إنها لقطةٌ أفضل لفرانك. كان يقف خلف السيدة كلوسن وهو يحمل مشروباً في يده. إنه يبتسم وينظر إلى شيء ما إلى يمينه، لكن لا أعرف ما هو لأن الصورة مقصوصة. على الأقل هذا يثبت أنهما يعرف بعضهما بعضاً. حدّقتُ في صورته لفترة. أعتقد أن لها علاقة باختفاء تومي. ذهبت إلى الشاحنة واتجهت شمالاً نحو الإكسندريا. بعد فترةٍ قصيرةٍ، مررت بمعبدٍ ماسونيٍّ مشهور وشارع "Duck" ذي المناظر الخلابة والغريبة. كانت السيارة تنطلق بسرعة، ولكن لمَّا اقتربت من نهر بوتوميك أصبح الشارع ضيقاً والازدحام شديداً. كان هناك كثير من الناس في الخارج؛ سيّاح وسكان محليون يتمتّعون بالمناظر الأخاذة في صباح السبت الجميل. لا أعرف تماماً أين يقع مكتب الجمعية، ولكنه في المبنى أربعمئة، لذا فهو في منطقة راقية تقع قرب البحر. وجدت مكاناً للسيارة على بعد عدة أبنية، وانضممت إلى المارّة. لاحظت المحلات الصغيرة المليئة بالناس، والحلي الرخيصة التي تُباع في أي مكان بأسعارٍ تتراوح ما بين الدولار وآلاف الدولارات.

تابعت السير ماراً بعدة صالات صغيرة للفنون ورأيت لافتة للمكتب الذي أبحث عنه. إنها لافتة صغيرة فوق مبنى قرميدي إلى جانب مطعمين مشهورين للأطعمة البحرية. رأيت الأنوار

مضاءة والناس في الداخل. وقفت في الخارج وحدّقت به. رأيت امرأة ضخمة، أنا متأكد من أنها ماري كلوسن. شعرت بالحماس فدفعت الباب ودخلت. كان يوجد في المكتب شخصان آخران إضافة إلى السيدة كلوسن، نظرا إليّ بفضول وأنا أدخل. أحدهما امرأة أكبر سناً بقليل من السيدة كلوسن، والآخر رجل لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين. سار الرجل نحوي.

«مرحباً، هل يمكننا مساعدتك؟» إنه رجلٌ طويلٌ ونحيل، شعره أشقر مردود إلى الوراء عن جبهته، تماماً كالنمط المثالي.

«أنا هنا لأرى ماري كلوسن». نظر خلفه إلى المرأتين. أشارت إليّ السيدة التي تشبه ماري كلوسن.

«أنا ماري كلوسن، كيف يمكنني مساعدتك؟» إنها أكبر بقليل مما كانت تبدو عليه في الصورة. وبطولي نفسه تقريباً. شعرها داكن جداً وطويل، لا بدّ أنه مصبوغ. كانت ترتدي فستاناً أصفر طويلاً. صافحتها.

«نعم، اسمي شيلدون سميث. كنت أتساءل إن كان بإمكانك إخباري أي شيء عن فرانك هاريس». رأيت تعابير وجهها تتغير.

«اتبعني رجاءً». تبعتها عبر المكتب إلى غرفة صغيرة مزودة بحاسوب وما يشبه آلة تصوير صغيرة. أغلقت الباب وجلست إلى المكتب. «انظر أنا لا أعرف من تكون أو ماذا تريد، ولكن مهما حدث لفرانك فهو لا يستحقه. إنه رجل مستقيم كان يحاول فقط أن يستمتع بتقاعده ويبقى بعيداً عن كل تلك الفوضى التي كانت تلاحقه دائماً».

«ماذا تعنين بكل تلك الفوضى؟»

نظرتْ إلى الباب المغلق خلفي. «هل أنت صحافيّ أو شيء من هذا القبيل؟» كان لصوتها رنّة غريبة. أومأتُ برأسي بـ لا. «أنت تعرف قصته مع المال وأولاده وكل شيء. كان يعيش في جحيم، والآن هذه هي النتيجة». نظرتْ إليّ نظرة مطولة. «هل أعرفك؟ تبدو مألوفاً لي؟ من أنت؟»

أنا شخص يحاول الحصول على معلومات عن فرانك وشان، أدارتْ رأسها بسرعة.

«إذاً، فأنت تعرفهما حقاً؟» أومأتُ. «حسناً أنت تعرف إذاً، أنهما اثنان من أقذر الناس على وجه الأرض، ويفعلان أي شيء للحصول على المال، وهذا ما يجعلني أعمل بجدٍّ على جمعياتي الخيرية

حتى يبقى المال بعيداً عن متناول أيديهما». نظرتْ إلى الباب مجدداً وأخفضتْ صوتها. «عرفتك الآن. أنت الرجل الذي اختُطِفَ ولده، صحيح؟» أومأتُ لها بنعم. «ما علاقة فرانك بهذا؟»

«هذا ما أحاول أن أكتشفه».

«أتعتقد أن فرانك متورط في هذا؟» هزت رأسها، «مستحيل. كما قلتُ لك إنه شخصٌ مستقيم. كان قاضياً. أعني أنه كان عليه أن يستقيل من المحكمة، لكن لم تكن غلطته. من المستحيل أن يفعل شيئاً كهذا. أعتذر لا يمكنني مساعدتك بهذا». مدّتْ يدها إلى قبضة الباب.

«انتظري». توقفتْ ونظرتْ إلي. رأيتُ طوقاً براقاً مليئاً بالماس يتدلى من رقبتها. «كيف تعرفين فرانك وشان؟»

نظرتْ إلى قدميها. كانت ترتدي حذاء أصفر فاتحاً كعبه عالٍ. «لا أعتقد أنهما مشتركان في الأمر. إنهما يريدان المال فقط. إنهما أخواي غير الشقيقين من زواج أبي الثاني. أنا لا أتحدث معهما، ولن أفعل أبداً. كما قلت، إنهما شرٌّ محضٌ». مدّتْ يدها إلى مقبض الباب ثانيةً وفتحته ببطء.

«هل تعرفين أين يعيشان أو يقيمان؟» فتحتْ الباب ومشتْ إلى المكتب الرئيس، ثمّ توقفتْ واستدارتْ.

«تملك والدتهما منزلاً صغيراً في مكان ما بالقرب من هنا. تعرف أن هذين الصبيين قتلاها أليس كذلك؟ السبب الوحيد الذي يجعلهما لا يقتلانني هو أنه إذا حدث شيء لي فسيذهب المال كلّه إلى محاميَّ. لديَّ محامٍ رائع رتَّب لي كل هذا الأمر، فإذا حدث لي شيء فلديّ حماية. يمكنك أن تتحدث إليه إذا أردت أن تعرف أي شيء آخر».

«أين كانت تعيش والدتهما؟» نظرتْ إليّ.

«انظر... أنا وهي لم نكن مقربتين من بعضنا، لذا لست متأكدةً تماماً، ولكني أعرف أن منزلها في الإكسندريا في مكان ما بالقرب من هنا. أعرف أنه على البحر». كانت المرأة الأكبر سناً والرجل ينظران إلينا.

«من هو محاميك؟» توقفتْ، نظرتْ إليهما ثمّ نظرت إليّ.

«دوغلاس سورينسون».

الفصل التاسع عشر

لا أصدق هذا. سورينسون هو محاميها. كيف يمكن هذا؟ لماذا لم يخبرني سورينسون بكل شيء؟ خرجتُ من مكتب الجمعية وذهبتُ باتجاه الرصيف النهري، ووجدتُ كرسيّاً خالياً قبالة النهر. راقبتُ مواكب القوارب الصغيرة وهي تتسابق إلى الأمام والخلف، بعضها مربوط في حوض السفن للتزود بالطعام أو الغاز أو أي شيءٍ يحتاجون إليه. تخيلت نفسي أنا وتومي وميشيل على النهر. قطعتُ عهداً على نفسي بأن أستأجر قارباً غداً عندما نستعيد تومي. أحاول أن أفكر في ما سأقوله له عندما أراه. أتساءل كيف سيعيدونه إليّ. أتمنى أن أتمكن من تنفيذ مهمتي غداً. أغمضتُ عيني وحاولت أن أتخيل نفسي أضغط على الزناد. لأول مرة، أرى سورينسون يهوي على الأرض من دون دماء. قلت لنفسي أستطيع فعل هذا، عليّ أن أفعلها. نظرت إلى ساعتي، إنها الواحدة تقريباً. بعد أربع

وعشرين ساعة من الآن ينتهي كل شيء. أتساءل فقط ما الذي سيحدث بعد ذلك، ولكني أرغمت نفسي على ألا أفكر في الأمر. بدلاً من ذلك، ركزتُ على قارب سياحي كبير مفتوح يعلن عن رحلةٍ بحريةٍ عبر واشنطن، العاصمة. هناك نحو عشرين شخصاً يصعدون إلى القارب بمساعدة شابين في سن الجامعة، يبدون جميعهم سعداء وفرحين، أنا لا أتذكر حتى كيف يكون ذلك الشعور. يبدون كأن لا همّ لهم في هذا العالم، يصعب عليّ أن أصدق أني كنت مثلهم قبل أسبوع، كان أكبر همومي أن أستيقظ في الوقت المحدد وأن أتأكد من أن مجموعة الحواسيب تؤدّي ما عليها فعله. يبدو هذا الآن كله غير مهم. لا أفهم كيف سأكون قادراً على العودة إلى ذلك. عدتُ إلى مشاهدة القارب. الشابان يقفان على طرف القارب يفكّان الحبال. جلس الركاب جميعهم. بعد دقيقة، انطلقوا، وأخيراً اختفوا عن يساري. أدرتُ رأسي إلى الخلف عندما سمعت صوت هتافٍ عالٍ وتصفيقٍ. كان هناك حشدٌ صغيرٌ يجتمع في دائرةٍ حول رجلٍ يركب على عجلةٍ واحدةٍ ويرمي الكرات في الهواء. أنتظره ليقع، لكنه بقي واقفاً باحتراف وهو يمسك

الكرات الثلاث حتى تفرّق الحشد وملأ سلةً كانت أمامه بالمال. جفلتُ عندما بدأ هاتفي يهتز. نظرت إليه فوجدت بريداً إلكترونياً بلا عنوان، لذا عرفت في الحال ممن يكون. فتحت الرسالة ثم الرابط، رأيت تومي جالساً في غرفة النوم عينها، ولكنها الآن تبدو فارغة. لم يعد هناك ألعاب فيديو، كتب، علب للطعام أو أي شيء. إنه يجلس في المكان نفسه وينظر إلى يساره، ربما إلى السيد كين. يبدو أنه لا يعرف أنه يجري تصويره. يبدو ضجراً جداً وغير مرتاح عكس المرات القليلة الماضية، ولكن على الأقل عيناه صافيتان. شاهدت الفيديو قرابة العشرين ثانية. حاولت حفظه لكنه حذف نفسه بسرعة. حاولت فتحه، لكن لم يحدث شيء، اختفى البريد الإلكتروني والفيديو. وضعت الهاتف إلى جانبي وأنا أشعر بالخيبة والإحباط. تابعت النظر إلى النهر المزدحم وحاولت ألا أُفكر بتومي وهو يجلس في تلك الغرفة من دون أي شيء، هو فقط. انطلق زورق سريع صغير يسحب خلفه طوافة مطاطية يتمسك بها طفلان. انطلقوا بسرعةٍ كبيرة جداً أكاد أسمع هاتفي يهتز مجدداً. نظرت بعيداً عنهم وأجبت.

«مرحباً عزيزي شيلدون. هل نحن مستعدان لمهمة الغد عند الساعة الواحدة؟ سمعت أن فريق «الهنود الحمر» سيلعب ضد فريق «العمالقة»، لا بدّ أنها ستكون لعبة جيدة. فقط أشعر بالأسف لأن صديقنا لن يكون قادراً على مشاهدتها طالما أنك ستنفذ الأمر هذه المرة كما أفترض». راقبت الزورق السريع يستمر بالحركة جيئةً وذهاباً أمامي.

«اسمع، من الأفضل لك أن تعطيني تومي حالما أخرج من هناك».

«ستصلك التعليمات بعد عشر دقائق، بعد أن أتأكد من تنفيذك المهمة، وهو أمر أفترض أنك تعرف أني أستطيع القيام به». وقفت واتكأت على الدرابزين ونظرت إلى الماء تحتي. «ألا توجد طريقة أفضل لفعل هذا؟»

«لن تَجْبُنَ مرةً أُخرى أليس كذلك شيلدون. أعدك إذا لم تفعل ما أطلبه منك هذه المرة فإنها ستكون محادثتنا الأخيرة. أتمنى أن تكون قد استمتعت بمقطع الفيديو».

«أين ذهبت كل تلك الأشياء؟ لماذا يجلس هناك ولا يوجد شيء ليفعله؟» رأيت طائر النورس يحطّ على الدرابزين على بعد عشر أقدام مني.

«أعتقد أنك تعرف الجواب عن هذا. دعني أَقُلها هكذا. بطريقة أو بأخرى، في أقل من أربع وعشرين ساعة لن يكون في تلك الغرفة مطلقاً، إذا فهمت ما أقصده. أما إلى أين سيذهب فهذا أمر يعود إليك تحديده طبعاً». طار النورس بعيداً.

«من الأفضل لك ألا تؤذيه. لماذا قتلت لورانس؟ لم يفعل أي شيء».

«تذكر، أخبرتك أن هناك دائماً أضراراً حتمية لأيّ معركة، ولا يمكن تفاديها. أقدم لك تعازيّ الحارّة، وأتمنى ألا يكون هناك المزيد من المآسي لك في الغد». مشيت بعيداً عن السياج وعدت إلى الشارع. مشيت بالقرب من راكب العجلة، كان جالساً على الأرض، يُفرغ سلة نقوده في جيبه.

«سأجدك بعد أن ينتهي هذا كله. أعدك بذلك». ضغطت على الهاتف. «من الأفضل لك ألا يُخدَش تومي».

«ماذا أخبرتك في البداية؟ أنا أعتني بما هو ليس لي. أنت تقوم بعملك وأنا أقوم بعملي. يجب أن أذهب. عليّ أن أتابع حزم الأغراض. غداً يوم الانتقال». سمعت الخط يُقفَل. عُدْتُ إلى شارع Duck واجتزت عدة مبانٍ لأصل إلى شاحنتي. مررت في

طريقي بمكتب الجمعية الخيرية ورأيت ماري كلوسن تتحدث إلى موظفيها هناك. ولم يلاحظوا وجودي. عدتُ بسيارتي إلى المنزل. كانت ميشيل جالسةً في المطبخ مع والديها. قفز باستر ورحَّب بي عند باب المطبخ. فمسحت على ظهره بلطف.

«كيف تجري الأمور مع جيم، شيلدون؟» ذهبتُ إلى البراد وصببتُ كأساً من الحليب.

«لا بأس. إنهما يعملان على طريقةٍ لإيجاد تومي». قرّرت ألا أخبرها أننا لم نتمكن من الاتصال ببريان.

«اتصل جيم مرة أخرى. يطلب منك أن تتصل به عندما تسنح لك الفرصة». أومأت.

«لِمَ لا تتناول شطيرة؟ لقد أعددت اثنتين أو ثلاثاً منها. إنها في البراد». نظرتُ إلى والدة ميشيل، كانت تجلس إلى جانب ميشيل ويدها فوق كتفها. أمسكتُ شطيرةً فابتسمت لي وصعدتُ إلى الأعلى فوجدتُ نفسي في غرفة تومي. لسبب ما، قرّرتُ إعادة ترتيب الأثاث، وإزالة كل شيء على الجدران. لا أريدها أن تبدو مثل الغرفة التي يقيم فيها. أزحتُ السرير إلى الطرف الآخر، ونقلتُ الخزانة إلى مكان السرير. بعد ساعة أصبحت ملابسي مبللة

وجبيني يتقطّر عرقاً، ولكني راضٍ، فالغرفة لم تعد تشبه أي شيء كانت عليه من قبل. نظرت إلى الساعة كانت تقريباً الخامسة، غداً في مثل هذا الوقت سيكون سورينسون ميّتاً منذ ساعات عدة، وتكون زوجته وابنته قد اكتشفتا ذلك ودُمرَتْ حياتهما. وربما تكون الشرطة تُمشِّط منزله وترفع البصمات وأي دليل DNA يجدونه. لا أعرف كيف سأفسر سبب وجود بصماتي هناك، لكني أتصور أني سأخبر ستانتون أننا تحدثنا مرات عدة عن اللغز الذي أعطاني إياه. لا زلتُ مشدوهاً لأنّه محامي ماري كلوسن، قلت لنفسي بأني سأتدبر هذا الأمر لاحقاً عندما سمعت صوت رنين طوق باستر وهو يصعد الدرج إلى الأعلى. أخذته بسرعة إلى الشارع في نزهة أخرى. بدأ الظلام يُخيّم، لذلك أسرعنا. لم نجد السلسلة، لكن لا يبدو أن باستر يريد أن يتجوّل بعيداً عني. راقبته وهو يقف عند أشجار وشجيرات محددة، لديه خيارات عدة لكنه يختار بسهولة. أتمنى لو أن حياتي بتلك البساطة. قرارٌ واحدٌ غداً، لا يؤثر على حياتي فقط بل على حياة آخرين كُثُر أيضاً. لا أستطيع التوقف عن التفكير في أن الوقت بدأ ينفد. قررت أن أتصل بجيم. أحتاج حقاً إلى فرصة اللحظة الأخيرة.

«مرحباً شيلدون».

«جيم، ألم تتمكن من الاتصال ببريان بعد؟» شاهدتُ باستر يُطارد سنجاباً.

«لا شيء. إني أحاول من دون توقف. لديّ إحساس سيّئ بسبب هذا. مررتُ بمنزله مرة أخرى في وقت مبكر ولازال لا يوجد أي أثر لوجوده». أومأت برأسي. صعد السنجاب إلى أعلى الشجرة، وباستر في الأسفل يحدّق به. صفقت بيديّ فجاء إليّ.

«علينا أن نؤمن بأنه يحاول تعقب تلك الأشياء وأنه علق بها فقط».

«نعم، ولكن كان عليه أن يتصل. دائماً يبقى على تواصل معنا ليطلعنا على كل شيء». أومأت برأسي. رأيت باستر يشتمُّ مساحة صغيرة من العشب مقابل منزلنا.

«سأظل أحاول الاتصال به». شعرت أن صدري انقبض لأمر بريان. ولكن من المحال أن يكون هذ الأمر مرتبطاً بما حدث لتومي. «شكراً على اتصالك جيم. أخبرني إذا سمعت شيئاً عنه». أغلقت الهاتف وأخذت باستر إلى المنزل. كانت ميشيل تجلس في المطبخ مع والديّها. أسرع باستر إلى الداخل وذهب مباشرة إلى إناء الماء. أمضينا

أنا وميشيل بقية الليل على الأريكة وغفونا عليها كالمعتاد. شعرتُ بنفسي أستيقظ كل عدة ساعات في أثناء الليل ما جعل باستر يتحرّك ويقلق. أخيراً استسلمت وقررتُ أن أنهض. أخذت باستر في نزهةٍ صباحيةٍ باكرة. عندما خرجنا، بدا الهواء مختلفاً تماماً. كما لو أن الله قد ألقى غطاءً ثخيناً فوق كل شيء ليعمّ الهدوء قبل العاصفة. حتى باستر كان يمشي ببطء. حاولت أن أقاوم الهواء الكثيف ومشيت إلى نهاية مدخل منزلنا، شعرت بأن ساقيَّ مربوطتان بحزام مطاطي، وقدميَّ ترتعشان. لا أعرف إن كان هذا بسبب قلة النوم أو بسبب ما أنا مُقدمٌ على فعله اليوم. أعتقد أنه من السبب الأخير. لم يركض باستر بعيداً اليوم، بقي إلى جانبي تماماً، يقولون إن الكلاب تشعر بأشياء لا يمكن للإنسان أن يشعر بها، وأنا متأكدٌ أنّ باستر يعرف ما سأفعله. مددتُ يدي ومسحتُ على رقبته وأشرتُ له إلى العشب الذي يذهب إليه عادةً، ولكنه رفض أن يغادرني. سرتُ معه إلى مكان العشب، وأخيراً وضع ساقه على إحدى شجيراته المفضلة. أمضينا بعض الوقت نكرر العملية نفسها من بداية الشارع إلى نهايته حتى عُدنا إلى الداخل. لم يذهب باستر إلى المطبخ هذه المرة بل بقي إلى جانبي فقط. أخذته إلى المطبخ ليرى الماء، ولعق على الأقل نصف

غالون. لم أستطع فعل شيء نظرت إلى ساعة المطبخ فقط. كانت تقريباً السابعة صباحاً، بقي أكثر من ست ساعات بقليل حتى ينفجر العالم. يبدو أني لا أزال غير قادر على الجلوس. حاولت تناول شيءٍ ما، التنظيف، وحتى مشاهدة التلفاز ولكن لا شيء يفيد. أنا قلق جداً. ولم يتركني باستر. أينما أذهب يكون هناك. ميشيل نائمة على الأريكة ولم أسمع بعد أيَّ حركةٍ في الأعلى من غرفة الضيوف. ينام والدها حتى الحادية عشرة صباحاً كل يوم. أعتقد أنه يمضي الليل كله يقرأ أو يشاهد التلفاز، لهذا فهو يعوض ذلك في الصباح. قررت أن أتفقد الرسائل الصوتية. توجد رسالة واحدة جديدة. إنها من أمي، تقول إنهما سيأتيان على متن طائرة "Reagan National" بعد الظهر وتريد مني أن آتي لاصطحابهما. سيعاودان الاتصال بي ليزوداني بتفاصيل الرحلة. أتمنى أن يكون موعد وصولها بعد الساعة الواحدة، على الرغم من أني أتمنى حقاً لو يكون عند الواحدة فأستطيع أن أستخدمها كعذرٍ لعدم الذهاب إلى منزل سورينسون. تابعتُ في النظر إلى الساعة. مرت خمس عشرة دقيقة أخرى. لا أعرف كيف سأُمضي الوقت حتى الساعة الواحدة. لا أزال لا أعرف إن كنت قادراً على فعل بذلك العمل، على الرغم من أني

أعرف أنه عليّ أن أعمله وإلا فإني لن أرى تومي أبداً مرة أخرى، وهذا أمر لا أستطيع تحمله. فكرت في ما قاله لي هاريس على الهاتف إن الأهل يقولون دائماً إنهم سيفعلون أي شيء من أجل أولادهم، والآن أنا لدي الفرصة فعلاً لأفعل هذا. أتمنى لو أن هذا فقط لم يكن يعني أن عليّ أن أقتل رجلاً بريئاً. لا أستطيع التوقف عن تخيل ابنته وهي تطارد الكلب في باحة منزلهم. ستفقد والدها. ربما يكون بطلها وهي فتاته الصغيرة، والآن لن تراه مجدداً. إنها في عمرٍ يكاد يسمح لها بأن تتذكره. كيف لي أن أعيش مع هذا الذنب؟ نظرت إلى الأسفل، إلى باستر. رأسه ممدد على قدمي وعيناه مغلقتان. لا شيء يقلقه، ينام بسكينةٍ وسلامٍ. قررت أخيراً أن أتناول شيئاً ما. لا أعرف إن كان هذا سيساعدني طالما أن معدتي تتقلب، ولكن لا يمكنني الجلوس والقلق فقط. أعتقد أني سأصاب بالجنون. وضعتُ صحناً من الحبوب وأضفت إليها قليلاً من الحليب. تبعني باستر خلال العملية كلها ثم وضع رأسه على قدمي عند الطاولة. بقينا على هذه الحال لعدة ساعات لأن ميشيل جاءت وتناولت بعض الطعام، وكذلك فعل والداها. لا أعتقد أني تلفّظْتُ بكلمةٍ واحدة، وحتى باستر لم يتزحزح قيد شعرة. حاولت ألا أنظر إلى الساعة، ولكني لمحتها

بطرف عيني، كانت تقريباً الحادية عشرة. أشعر بالتوتر يتزايد، يبدو أنه لم يعد يقتصر على معدتي. أتصوّر أن برنامج مباريات الدوري الوطني لكرة القدم بدأ يُعرض على الهواء تمهيداً للعبة «الهنود الحمر» التي ستبدأ عند الساعة الواحدة. نحن على المسافة نفسها من الزمن. اختفت ميشيل ووالداها في الأعلى وأنا أخذت باستر في نزهة أخرى إلى الخارج قبل أن أمسك مفاتيحي وأتوجه إلى السيارة. أكاد أستطيع تشغيل المحرك لأن يديَّ ترتجفان بشدة. أشعر كأنني رأيت هذا الموقف من قبل، وأنا أدخل موقف السيارات الخاص بمنشأة التخزين. كانت الساعة الثانية عشرة، بقيت ساعة واحدة على الانطلاق. وجدت المسدس في المكان نفسه الذي وضعته فيه من قبل. فوضعته في جيب سترتي وتسللت عائداً إلى الشاحنة. تجولت في السيارة، ومررت بالكنيسة نفسها التي توقفت عندها من قبل، ولكني لا أستطيع تحمل مواجهة التمثال الرائع للسيد المسيح مرةً أخرى قبل أن أُتِمّ ما أنا ذاهب لفعله. لست متأكداً من أنني أستطيع المضي في هذا، ولكني أفكر بما سيحدث لتومي إذا لم أفعل ذلك. حاولت أن أتخيل جلاد السجن وهو يسحب السوط أو الحقنة. إنهم لا يفكرون بعواقب عملهم، يركزون فقط على إتمام المهمة التي بين

أيديهم. ذهبت إلى شارع سورينسون ولم أخفف السرعة عندما مررت بالقرب من منزله، اصطدمتُ بشجرةٍ عندما رأيت زوجته وابنته في باحة المنزل مرةً أخرى. فكرت أنه ربما تكونان في المنزل عند الساعة الواحدة فلا اضطر لقتل سورينسون. قدت السيارة بالقرب من منطقتهم ثم عدت إلى منزل سورينسون مجدداً، هذه المرة رأيت سيارةً تخرج من مدخل المنزل وبداخلها شخصان. إنها الواحدة إلا ربعاً، الوقت يقترب كثيراً بسرعة. لا أستطيع التركيز أبداً. بالكاد أستطيع إبقاء عيني على الطريق. أعتقد أن حادث ارتطام السيارة أمر مهم، لكني لا أريد أن أفوت فرصةً لإطلاق سراح تومي. هذا هو الهدف من كل ما أفعله. أنا أفعل هذا لأجل تومي. سواء أمضيت بقية حياتي في السجن أم في الجحيم لا يهم طالما أن تومي سيتحرر من يدي ذلك القاتل المعقد المريض. يجب أن أفعل هذا لأجله. أنا أحد القلّة من الآباء الذين اختاروا فعلاً عمل أي شيء لأجل أطفالهم. هذه هي تعويذتي. استدرتُ وتوقفت إلى جانب الطريق المشجر. قررت في وقت سابق أن أتوارى خلف الأشجار حتى لا يراني أحد وأنا أسير في الطريق. أتمنى ألا يعرفوا سيارتي، ولكني في الحقيقة لا أفكر بشكل صحيح ولكن لو عرفوها، ربما يكون هذا هو الثمن

الذي عليّ دفعه. مشيت ببطء عبر العشب المقلم، إنه العشب نفسه الذي كانت تلعب عليه ابنة سورينسون الغالية. نظرت في كل الاتجاهات، لا أعرف ما الذي أبحث عنه، ربما أبحث عن معجزةٍ أعرف أنها لن تحصل. تفقدت هاتفي آملاً أن أتلقى اتصال اللحظة الأخيرة، ولكن لا شيء. ١٢:٥٨، حان الوقت. مشيت إلى الباب الأمامي، تفقدتُ المسدس في جيبي، لا يزال في مكانه بارداً غريباً. وقفتُ أحدق بالباب الأمامي لبعض الوقت. لا أدري إن كنت قد تجمدت أو أنني فقط غير مستعد، ولكن الأمر أصعب بكثير هذه المرة، ربما لأني كنت أعرف من أعماقي في المرة الماضية أنه من المستحيل أن أفعل هذا. هذه المرة الأمر مختلف. إنه حقيقي هذه المرة. إذا لم أفعل هذا فسيموت تومي. استدرت ونظرت إلى باحة المنزل. كان كل شيء يبدو رائعاً، العشب الأخضر، السماء الزرقاء، الشمس المشرقة، الطيور التي تغني، عندها شعرت بوجود المسدس في جيبي، فأصبح كل شيء غريباً فجأة وخارج تركيزي، وكأن العالم انقلب فجأة رأساً على عقب. أشعر بأنفاسي تتسارع، وجبيني يتقطر عرقاً. حاولت بسرعة أن أستعيد السيطرة على نفسي، فأخذتُ نفساً عميقاً، يبدو أن هذا ينفع لأن الأشياء كلها بدأت تتوضح وتتحول

إلى ضباب كثيف جميل. استدرت، إنها الواحدة. طرقت الباب. لم يجب أحد، طرقته بقوة أكثر. بعد دقيقة، ظهر سورينسون عند الباب، يحمل كأساً من البيرة في يد، وشطيرة في اليد الأخرى.

«مرحباً سيد سميث، كيف يمكنني أن أساعدك؟» فتح الباب ومسح فمه بظهر يده. «آسف، كنت أتوقع أن أرى شخصاً يحاول أن يبيعني شيئاً ما. يبدو أنهم يأتون إلى هنا ويطرقون الأبواب في نهاية كل أسبوع». أومأت. «لماذا لا تتفضل بالدخول؟» تبعته إلى الداخل، إلى غرفة الجلوس نفسها التي جلسنا فيها من قبل، ثم إلى غرفة أصغر بكثير فيها شاشة كبيرة مثبتة على الحائط، يظهر عليها فريق «الهنود الحمر». «كنت أستعد لمشاهدة المباراة، لا تمانع في هذا أليس كذلك؟» جلست على الطرف الآخر من أريكة لها شكل حرف L. «هل أحضر لك كأساً من البيرة؟» أجبته بـ لا وشاهدت لاعب «الهنود الحمر» وهو يركل الكرة بعيداً إلى نهاية الملعب. «أكره هذه القاعدة الجديدة التي يؤجلون فيها بداية المباراة. إنها تقتل متعة انطلاقة المباراة». أومأتُ. «إذاً، ما الذي جعلك تمر بي اليوم؟» حركتُ شفتيَّ ولكن لم يصدر عنهما أيّ كلمة. «هل

أنت بخير؟» أومأت مرة أخرى وأخذت نفساً عميقاً. «هل أنت متأكد أنك لا تريد البيرة؟»

«أنا متأكد. أردت فقط أن أمر بك لأرى إن كنت قد فكرت بأي شيء آخر». لا أصدق كم هذا صعب. أشعر أني في عالم آخر. جسدي هنا، لكن عقلي في الشاحنة. تخيلتُ أن هاريس يراقب ما يحدث من خلال إحدى كاميراته العديدة التي أنا متأكد من أنها موجودة في هذه الغرفة. نظرت إلى السقف ولكني لم أر شيئاً.

«لم أفكر بأي شيء آخر. لأكون صادقاً معك، كنت أحاول ألا أفكر بذلك مطلقاً. كنت أعتني بزوجتي وطفلتي». لم يرفع نظره عن الشاشة عندما تلقى أحد لاعبي فريق العمالقة تمريرة قصيرة وركض مجتازاً المدافعين مسافة أربعين ياردة في الملعب. «اللعنة على «الهنود الحمر». تمنيت أن يتعاونوا مع بعضهم في لعبة واحدة كل هذه السنوات». تلمست المسدس في جيبي، وحاولت أن أفكر كيف سأفعل هذا. لا أزال أشك في أني قادرٌ على عمل هذا. نظرت إلى سورينسون، إنه إنسان أيضاً، رجل بريء يجلس ويشاهد فريقه المفضل عند ظهيرة يوم أحد هادئ. ربما ذهب هذا الصباح مع أسرته إلى الكنيسة. نظر إلي. «أعتذر، لست رفيقاً جيداً، فلمّا يلعبون

أندمج كثيراً مع اللعبة. اعتدتُ أن أحصل على بطاقات الموسم، ولكن لمَّا وُلِدتْ «هالي» قررتُ أنَّ من الأفضل أن أبقى قريباً من المنزل بدلاً من حضور المباريات، لذلك سويت الأمر واشتريت هذه». أشار إلى شاشة التلفاز الكبيرة. «ليس كحضور المباراة، ولكنه قريب منه كفاية. أنت من مشجعي «الهنود»؟»

«أشاهده عندما تسنح لي الفرصة، ولكني ولدت في جنوب فلوريدا، لذلك كنت دائماً أفضل فريق «الدلافين».»

«لا بأس بفريق الأسماك، على الرغم من أنه تقدم بصعوبة في السنوات القليلة الماضية».

أدار رأسه مجدداً باتجاه اللعبة. شعرت أن يدي تضغط على المسدس، وفجأةً أصبح خارج جيبي موجهاً مباشرةً نحو سورينسون. سمعت صوت انفجار قوي، ورأيت ألسنة من اللهب البرتقالي تنطلق فوق معصمي. سورينسون على الأرض يمسك برقبته ويحدق بي. يوجد دمٌ غزير ينزف فوق أنفه تماماً. ماذا فعلت؟ نظرت إلى يدي. لا أزال أمسك بالسلاح بإحكام، كأنه يزن ألف باوند. لا أصدق هذا. لا أعرف ماذا أفعل. حدقتُ بعيني سورينسون. يبدو غير قادرٍ على التنفس أو الكلام. إنه ينظر

إليّ فقط. لا أعرف حتى إن كان على قيد الحياة. أريد أن أنحني على ركبتي إلى جانبه، ولكني غير قادر على الحراك. يبدو كأنني أشاهد فيلم رعبٍ سيّئ، ولكني أعرف أن هذا حقيقي. نهضت بطريقة ما لا أعرف كيف. اقتربت منه ورأيت صدره لا يتحرك، وعينيه لا حياة فيهما. لم أر شخصاً يموت من قبل، ولكني لم أتخيل قط أن الأمر سيكون على هذا النحو. لا أعرف ماذا أفعل. عاد المسدس بطريقة ما إلى جيبي، وأسرعت إلى الباب الأمامي عبر غرفة الجلوس. فجأة استدرت وأخذت قميصي ومسحت المكان الذي جلست فيه على الأريكة. عدت إلى الباب الأمامي وفعلت الشيء عينه. لقد ارتكبت جريمة للتو. أسرعت إلى الخارج ماراً على العشب، ومتخفياً خلف الأشجار حتى وصلت إلى المكان الذي دخلت منه باحة المنزل. أطللتُ من بين شجرتين فلم أر أحداً، لذلك أسرعت إلى سيارتي. أدرتُ محرك السيارة وانطلقت ببطء. لم أجرؤ على الالتفات إلى منزل سورينسون عندما مررت إلى جانبه. لم أتجاوز أياً من السيارات المارة على الطريق جوار منزله وتابعتُ على هذه الحال حتى وصلت إلى أحد الطرق الرئيسة التي تبعد مسافة ميلين حيث توقفت بسرعة وبدأت أتقيأ بشدة من باب السيارة. لا

أصدق أني قد أطلقت النار على شخص وقتلته. قلبي ينبض في أذني بصوتٍ عالٍ جداً وكأن رأسي سينفجر. أصبحت رؤيتي ضبابية، ولم يعد بإمكاني قيادة السيارة. خرجت من السيارة ومشيت في موقف سيارات صغيرٍ خاوٍ كنت قد توقفت فيه. يبدو كأنه محطة غازٍ مهجورة. مشيت حول المبنى المنهار واستندت إلى الحائط الخلفي له. لا أعرف ما الذي سيحصل لي، أشعر أني سأنهار في أيِّ لحظة. قدماي ترتجفان كالمطاط، والأشياء تدور في كل الاتجاهات. تمسكت بالمبنى بأقصى قوتي حتى شعرت بهاتفي بدأ يهتز بشكل متواصل. في البداية لم أجب، لأن ذراعيّ لم تطاوعاني، أخيراً تمكنت من الوصول إليه. لم أزعج نفسي بالنظر إلى الشاشة، لأنه من المستحيل أن تتمكن عيناي من رؤية أي شيءٍ. ضغطت زر الإجابة ووقعت على الأرض وأنا أسمع صوتاً من الطرف الآخر.

الفصل العشرون

«شيلدون... شيلدون. أين أنت؟»

«لا أعرف. أنا أحبك ميشيل. أنا حقاً أحبك».

«هل أنت بخير؟ من المفترض أن تكون الآن في المطار لتحضر والديك. إنهما هناك بانتظارك. ألم تصلك رسالتهما؟» أشعر أن حجارة الرصيف تحفر ظهري. «أنا أحبك حقاً ميشيل، أرجوك سامحيني على أي شيء فعلته».

«ما الذي تتحدث عنه شيلدون؟ أين أنت؟» عن أحد جانبي لا أرى شيئاً سوى الأشجار، وعن الجانب الآخر أرى جدراناً إسمنتيةً منهارة كانت لمحطة غازٍ مهجورة.

«ليس لدي فكرة. أرجوكِ سامحيني».

سمعت صوتها يصبح أعلى وأكثر اهتماماً. «أرجوك شيلدون أخبرني أين أنت لآتي وآخذك».

«لا أعرف أين أنا أو كيف وصلت إلى هنا». تكوّرتُ على معدتي. أشعر أن الرصيف يكشطُ جلدي وأنا أتكور، ولكني لا أشعر بأي ألم. فجأةً سمعت صوت سيلٍ من صفارات الإنذار. «عليّ أن أذهب. سأعاود الاتصال بك بعد قليل».

«شيلدون، أرجوك أخبرني ماذا يحدث؟»

«يجب أن أذهب ميشيل». حاولت أن أجلس شيئاً فشيئاً. أسندت ظهري إلى الجدار.

«أرجوك لا تفعل هذا شيلدون. أرجوك. هل أنت ثمل؟ أنا أحتاجك شيلدون».

«أنا بخير. سأعاود الاتصال بك بعد قليل. أرجوك ميشيل». لا أستطيع سماع أي شيء إلاّ صوت صفارات الإنذار تقترب. تبدو وكأنها تدور في رأسي. قرّبت الهاتف من رأسي قدر ما استطعت.

«حسناً، وأنا أحبك أيضاً. ماذا تريدني أن أخبر والديك؟» أخذت عدة أنفاس عميقة. «ما كل أصوات صفارات الإنذار تلك؟ أمتأكد من أنك بخير؟» حاولتُ أن أُهدِّئ نفسي قدر ما استطعت.

«أنا بخير. أخبريهم أني سأكون هناك بعد فترة قصيرة. بإمكانهما تناول بعض الطعام أو شيء ما» أصبح صوت صفارات الإنذار عالياً جداً الآن. لم أعد أستطيع سماع ميشيل حتى عند تقريب الهاتف من أذني أكثر. أعتقد أني سمعتها تقول وداعاً لذلك صرخت وداعاً على الهاتف، ولكني لا أعرف إن كان الاتصال لا يزال جارياً. زحفت بطريقة ما إلى طرف البناء، ورأيت على الأقل خمس سيارات للشرطة تنطلق بأضوائها الزرقاء، وصفارات الإنذار تتبعها. أتساءل إن كانوا سينتبهون إلى وقوف الشاحنة في منتصف موقف السيارات. أعتقد أنني بعيد كفاية عن أن ينتبه لي أحد. ولكني قررت أن أبقى بعيداً عن الأنظار لفترة، لذلك عدت في طريقي إلى خلف المبنى مرةً أخرى، واستلقيتُ على ظهري. أبعدتُ يدي بسرعة عن المسدس عندما لامسته في جيبي من دون قصد. لا أزال أستطيع أن أرى عيني سورينسون الميتتين وهما تحدقان بي وهو ينتقل إلى العالم الآخر. نظرتُ إلى السماء وحاولتُ أن أشرح لله كم أنا نادم، ولكني لم أستمر طويلاً في هذا لأني بدأت أتقيأ وأبكي. نظرت إلى الأسفل، إلى بنطالي، فرأيت دماء، في البداية اعتقدت أنها دمائي، ولكن عندها أدركت أني مغطى بالدماء. لا بد أنها جاءت من سورينسون. بنطالي

وقميصي ملطّخان باللون الأحمر القرمزي. خلعتُ بسرعة بنطال الجينز وقميص "Polo". لا أريدهما قربي. ركلتهما بعيداً عني ما جعل الحصى تتطاير. بقيتُ مستلقياً هناك لخمس دقائق تقريباً وأنا أستمع إلى أصوات صفارات الإنذار تقترب ثم تتلاشى وتتوقف. أشعر بهاتفي يهتز مجدداً. لا أستطع أن أقرأ ما ظهر على الشاشة لذا أجبت وأنا أتوقع أن أسمع صوت ميشيل تسألني كيف حالي، ولكن بدلاً من هذا سمعت صوت هاريس أو أياً كان اسمه.

«مرحباً شيلدون، شريكي، كان عملاً رائعاً جداً اليوم. يمكنني القول إنه تمّ إنجاز المهمة، ولكن بقي أمرٌ واحدٌ عليّ أن أفعله». كنت أستمع إليه، لكن كلماته لم يكن لها أي وقعٍ عليّ. «أعتقد أنك تعرف ما هو. سأوصل ممتلكاتك إليك في الحال غير مصابٍ بأي أذى كما وعدتك». نهضتُ بسرعة وفكرت بتومي، السبب الكلي الذي جعلني أنفّذ بهذا الأمر المريع.

«أين هو؟»

«سأوصله إلى ملعبك المفضل بعد ساعة». وقفتُ. هدأتْ أصوات صفارات الإنذار. «أريد منك أن تترك الأداة التي في جيبك في المخزن قبل أن تتوجه لاصطحاب ما هو ملكك».

«من الأفضل لك أن يكون بخير».

«لقد أعطيتك وعداً ونجحتَ في مهمتك. بالمناسبة ربما سمعتَ أصوات صفارات الإنذار منذ عدة دقائق. لقد اتصلتُ بالـ٩١١ (بالإسعاف) وأخبرتهم أنه قد سُمِعَ صوت إطلاق نار آتٍ من المنزل. لا أريد لزوجته وابنته أن تشاهدا تلك الفوضى التي سببتها». مشيت إلى حافة المبنى ونظرت من زاويته. لم أعد أرى سيارات الشرطة. «أعتقد أن من الأفضل لك أن تغادر موقف السيارات الذي تختبئ فيه وتتوجه إلى المخزن، وبعد ساعةٍ تقريباً اذهب إلى الملعب. لا تذهب إليه باكراً وإلا سنُنهي الاتفاق بطريقةٍ أخرى». مشيتُ بسرعة من المبنى إلى الشاحنة، إنها تبعد عنه نحو خمسين ياردة[1]. لم أر أياً من سيارات الشرطة. «مرة أخرى، إنه لمن دواعي سروري أني عملتُ معك. سأبقى على اتصال بك».

«لا لن تفعل. أنا أكرهك...» أدركت أنه قد ذهب عندما دخلتُ السيارة وأغلقتُ الباب. أدرتُ المحرك وخرجت ببطء من موقف السيارات. كنت أرتدي فقط ملابسي الداخلية. الملابس الملوثة بالدماء على الكرسي إلى جانبي. قدت السيارة مباشرةً إلى

---

(١) الياردة = ٩١, ٠ متر. المترجمة.

المخزن. وقفت جانب المخزن وانتظرت امرأة ورجلاً ليخرجا من المحل المجاور له قبل أن أخرج من السيارة. خرجتُ من الشاحنة وأسرعتُ إلى المخزن وأدخلت الرمز. لمَّا فتحت الباب وجدت ظرفاً صغيراً على الرف. نظرت داخله بسرعة، إنه مليءٌ بالنقود. وضعته في جيبي ووضعت المسدس مكان الظرف. قبل أن أُغلق الباب، أخرجت المسدس ومسحته جيداً بقميصي. أكره أن أفكر كمجرم، ولكني الآن أصبحت قاتلاً. شعرت بأن رأسي بدأ يؤلمني من الفكرة. نظرت في الظرف مجدداً فلاحظت وجود رسالة صغيرة مطبوعة تقول:

«أحسنت عملاً. هذه هديةٌ صغيرةٌ مني عربون تقديرٍ لأعمالك. استمتع بها».

«ملاحظة: انظر في مؤخرة سيارتك قبل أن تذهب لتأخذ ما هو لك».

عدت إلى الشاحنة وألقيتُ الظرف على المقعد الأمامي، ووجدتُ فيها بنطالاً وقميصاً جديدين وضعهما. ارتديتهما بسرعة فوق ملابسي الداخلية. لم يفاجئني مقاسهما المناسب تماماً. دخلت السيارة وأدرتها. كان الظرف مليئاً بالمال،

والملابس الملوثة بالدماء على مقعد الركاب تحدق بي. أرغمتُ نفسي على النظر في الاتجاه الآخر. لا يزال أمامي خمس وأربعون دقيقة لأكون في الملعب. أرغب في أن أذهب باكراً، لكني قررت أن أتبع تعليماته وأن أصل إلى هناك في الوقت المحدد. ابتعدت عن المخزن، ومرّت إلى جانبي عدة سيارات للشرطة، لكن أضواءها مُطفأة. أنا متأكدٌ أنهم يبحثون عن شخص ما. يبدو أنهم لا يعيرون أيّ اهتمامٍ لي، لذلك تابعت طريقي إلى الملعب. رأيت منطقة صناعية كبيرة مليئة بورشاتٍ لإصلاح السيارات وتجار الأثاث. زحفت إلى خلف مستودعٍ كبيرٍ، وتوقفت أمام سلة قمامة خضراء ضخمة. رميت الملابس القديمة هناك، وتأكدت من أني خبأتها تحت بعض الصناديق المحطمة. قدتُ السيارة بسرعةٍ مبتعداً كي لا أثير أي شكوك حولي. بالكاد أتمالك نفسي. بقي أقل من ثلاثين دقيقة لأرى تومي. سيكون بين ذراعي وبأمان. أتمنى ألا يغير هاريس رأيه، ولكني لسبب ما أصدقه. أحاول أن أتخيل ما الذي سأفعله إذا رأيته في الملعب، سأفعل أسوأ مما فعلته بسورينسون. أعدت تركيزي على تومي. رأيت الظرف بجانبي، فالتقطته، كان في داخله على

الأقل مئة ألف دولار. انتظرت حتى وصل عداد السرعة إلى الستين، عندها فتحت النافذة ورميته تاركاً ورائي ذيلاً من الورق الأخضر. أتساءل ماذا سيقول عني راكبو السيارات التي تسير خلفي. بقي خمس عشرة دقيقة، لذلك توجهت إلى الملعب. أنا مستعد. ليس لدي فكرة عمَّا سأقول له، أو هل سيكون هناك حقاً، ولكني مستعد. رأيت لافتات الملعب فدخلت ببطء إلى موقف السيارات. الموقف مليء بالسيارات والناس في كل مكان. نسيت أن اليوم هو الأحد وأنّ الفرق جميعها ستلعب بعد الظهر كما يفعلون كل يوم أحد. أعتقد أن فريق تومي سيلعب عند الرابعة. وجدت مكاناً لأركن فيه في الخلف. يوجد أربعة صفوف من السيارات بيني وبين أقرب ملعب، الملعب عينه الذي كنت أمضي فيه الوقت في الأيام القليلة الماضية. رأيت المدرجات من المكان الذي أجلس فيه، لا يبدو أن أياً منها مفتوح. نظرت إلى كل شخص لأجد تومي أو هاريس. أعرف أني وصلت قبل الموعد بعدة دقائق، ولكني لم أعد قادراً على الانتظار قط. عليّ أن أستعيد تومي. بقيت جالساً في الشاحنة أنظر في كل الاتجاهات. لا أعرف إلى أين أذهب،

بعد دقيقة خرجت وبدأت أسير نحو مدرجات الملعب الأول. وقفت إلى جانب السياج، وكان هناك فريقان على أرض الملعب. رأيت رامي البيسبول الصغير ينحني ويضرب كرة البيسبول، فأطلق الحكم صرخةً عالية، ما جعل ضارب الكرة يُقطّب حاجبيه، والناس على المدرجات يثورون. تفحصت كل الوجوه على المدرج، لكني لم أر تومي بينها، لم أقلق لأنه لم تمضِ ساعة بعد. لا أعرف هل عليّ أن أبقى هنا أم أذهب نحو الملاعب الثلاثة الأخرى. إنها مليئة بالناس. قررت أن أبقى واقفاً هنا. رأيت الرامي ينسحب والضاربين التاليين والفريقين يتبادلان الأماكن. إنّ الضارب الآخر يشبه تومي كثيراً. له الشعر البني نفسه، ونوع الجسم، لكنه أكبر منه بسنتين أو ثلاث على الأقل. نظرت إلى ساعتي. إنها الثانية وعشر دقائق. بدأت أشعر بالقلق. بدأت أفكر بكل السيناريوهات التي يمكن أن تحدث، أتساءل إن كانت زوجة سورينسون وابنته اكتشفتا ما حدث. لا أستطيع تخيل الألم الذي ستشعران به، لا أصدق أني فعلت هذا بأحدهم، أشعر أني سأنهار هنا وأتكوّر كالكرة، أتمنى لو كان ذلك كله حلماً سيئاً، ولكني أعرف أنه إن كان

هناك أيّ فرصة لوجود تومي هنا، فعليّ أن أتماسك حتى يكون بأمان وسلام ويعود إلى المنزل. حاولت أن أتخيل وجه ميشيل عندما أدخل المنزل وتومي إلى جانبي. ضرب الصبي كرة طارت عالياً إلى يسار الملعب، ركض اللاعب اليساري إلى الخلف ونظره إلى الأعلى حتى أصبح تحت الكرة وأمسكها عند السياج تماماً، ارتفعت صيحة عالية من الأهالي خلفي تبعتها صيحات احتفال مدوية من الجانب الآخر، بدأت أنظر عن قرب أكثر إلى الملعب التالي، شعرت بهاتفي يهتز. قرأت الرسالة بسرعة. «طلبت منك ألا تأتي باكراً، والآن رجاءً عُد إلى سيارتك وانتظر حتى أتصل بك». بدأت أشعر أن هذا الأمر كله لن يتم. فقد رجل حياته من دون سبب، وأنا من قتله. لا يمكنني تحمل أن أدرك ما اقترفت، لكني سأحاول ما بوسعي التركيز فقط على استعادة تومي، استدرت مرغماً وعدْتُ إلى السيارة. مررتُ بين السيارات المركونة ورأيت سيارتي تقبع مكانها تماماً كما تركتها. فتحت الباب وصعدت، عندها شعرت فجأةً أنّ دفعةً من الأدرينالين تتدفق في جسدي. بدأ قلبي يتسارع ورأسي ينبض بعنف وكأنه سينفجر. هناك شخص على

المقعد الخلفي. لا أعرف كيف، ولكن الأمر التالي الذي أذكره هو أنني خارج السيارة أفتح الباب الخلفي بسرعة قدر ما أستطيع. إنه تومي مستلقياً على المقعد. إنه هو حقاً. وهو مستلقٍ على جانبه، وجهه مقابل المقعد لذلك لا أستطيع رؤيته جيداً، لا يمكن أن أكون مخطئاً إنه هو. ناديت باسمه عدة مرات وحاولت أن أقلبه على ظهره ولكنه لا يستجيب. أول شيء فكرت فيه أنه ميت، ولكني أرى صدره يتحرك وتفقدتُ نبضه على طرف رقبته، فشعرتُ بالراحة. تابعتُ مناداته، ولكني لم أتلقَّ أيَّ إجابة منه. بدأت أشعر بالذعر فهززته بقوة. «ماذا فعلوا بولدي؟» صرخت. أريد فقط أن أضمه إلي بشدة لكني لم أتمكن من إيقاظه. لا أعرف ماذا سأفعل. قفزتُ إلى الأمام وأخرجت السيارة من الموقف بأسرع ما يمكن. اتجهت غرباً واجتزت السيارات يميناً ويساراً ما جعل السائقين ينظرون إلي بغضب، ولكني لا آبه. استدرت بسرعة ووقفت أمام غرفة الإسعاف لمستشفى قريب. أسرعت إلى الداخل وطلبت من أفراد الطاقم الطبي الذين يجلسون في البهو أن يساعدوني. لحق بي ثلاثة أو أربعة أشخاص منهم إلى السيارة ووضعوا تومي

على النقالة ودفعوه إلى الداخل بسرعة. شاهدته يختفي في الداخل في حين أخذتني امرأةٌ إلى غرفةٍ صغيرةٍ خاصةٍ حيث أخذت مني بعض المعلومات. سألتني إن كان تومي يعاني من الإدمان ولكني نفيتُ هذا. ثم سألتني عمّا حدث له. أخبرتها بأنه ليس لدي فكرة، فقط وجدته على تلك الحال. أخيراً أخذتني إلى غرفة تومي. دخلت إلى هناك ورأيته وقد عُلِّق له المصل في وريده وهناك شخصٌ معه، مفترضاً أنه الطبيب الذي يعاينه.

«هل أنت والده؟» أومأت. «أنا الدكتور سيمونس. هل يمكنك أن تخبرني ما حدث؟» نظرت إليه. إنه في أواخر الخمسينات من عمره، شعره رمادي خفيف، يرتدي نظارة طبية ثخينة.

«لا أعرف. وجدته على هذه الحال». نظرت إلى تومي ولمست جبهته.

«أين وجدته؟ هل كانت هناك زجاجة ما إلى جانبه؟»

«ماذا تعني؟»

«من الواضح أن ما أصابه سببه جرعة زائدة من المخدرات. أريد فقط أن أعرف ما الذي كان يتعاطاه». لهثتُ وضغطتُ على يد تومي بلطف.

نظرت إلى الطبيب مرة أخرى. «لم يكن إلى جانبه أي شيء. كان فقط مستلقياً هكذا. إنه لا يتعاطى المخدرات. سيكون بخير أليس كذلك؟»

«إنه يعاني من غيبوبةٍ سببها المخدرات. أنا أجري له بعض فحوصات الدم لأعرف المادة الموجودة في جسمه. لمَّا نحصل على النتائج سنعرف أكثر». كتب شيئاً ما على لوحه ثم عدّل السيروم. سننقله إلى غرفة العناية المشددة، لذلك سيأتون لنقله بعد دقيقة." فقط أومأت له. نظرت إلى تومي، لا أصدق أني استعدت ابني. أتمنى فقط أن يعيش. قبل أن أستدير دخل رجلان يرتديان بزَّتين زرقاوين، فصلا السيروم وجهاز المراقبة عن الحائط، وأخذا تومي عبر الممر. جاهدتُ لأبقى معهم. بعد دقيقة كنا في المصعد ونزلنا به إلى طابق العناية المشددة. أدخلاه بسرعة إلى غرفة صغيرة مليئة بالمعدات. وقفت هناك لا حول لي ولا قوة أراقب ولدي الذي لم أره منذ أكثر من أسبوع يُعالج من

تناول جرعة زائدة من المخدرات. لقد صدقْتُ هاريس بأنه سيكون بخير. أتذكر خطابه الصغير عن أن كلمته هي كل شيء والآن هذه هي النتيجة. رأيت طبيبين آخرين بدأا بفحصه وتدوين أشياء على لوحيهما. كل شيء يتحرك بسرعة. بعد دقيقة، أسرع طبيب آخر ودخل الغرفة. إنه طويل في الأربعينات من عمره. يمسك ورقة مليئة بما يشبه الأحرف والأرقام. توقف أمام تومي ونظر إلى الطبيبين الآخرين. تابعوا فحص تومي.

«إنها تدعى (ميتيرابون)[1]. هذه الجرعة تُستخدم لخفض مستوى الكورتيزول في الجسم».

رفع الطبيب الذي يقيس ضغط دمه رأسه، وظهر القلق على وجهه. إنه هزيلٌ جداً، وجهه نحيل. «لم أسمع بهذا وبهذه الطريقة، هل هذا مجرّب؟»

«نعم، يُفترض أنه يُستَخدم لمسح الذاكرة، على الرغم من أنه لا إثبات على أنه يفعل هذا». نظروا إلي جميعاً. «هل لديك فكرة

(١) الميتيرابون (Metyrapone) مادة كيميائية تستخدم لاختبار الوظيفة الوطائية – النخامية في الجسم. المترجمة.

كيف وصل ولدك إلى هذا؟» خطوت داخل الغرفة وتحدثت بصوت منخفض.

«لقد كان مخطوفاً». رأيت نظرة الدهشة تعلو وجوههم.

«انتظر لحظة... هل هذا... هل أنت؟ الصبي الذي اختُطِفَ من المدرسة؟ هل هذا هو؟» أومأت برأسي.

نظر إليّ الطبيب الذي دخل الغرفة. «إنه في حالةٍ سيئة جداً. لقد أُعطِي جرعة كبيرةً جداً». اقتربت وضغطت على يد تومي. كانت رخوةً شاحبةً وباردةً.

«ماذا يمكنكم أن تفعلوا؟»

نظر إليَّ الطبيبان الآخران. «لسوء الحظ لا يوجد ترياقٌ للميترابون لذلك سنستخدم الفحم».

«الفحم؟»

«نعم، إنه فحمٌ منشطٌ. سيمنع الجسم من امتصاص العقار. سنضخه في معدته في البداية. لحسن الحظ، لم يمضِ على وجود العقار في جسمه مدة طويلة. منذ متى وجدته؟»

نظرت إلى ساعة الحائط. «منذ عشر دقائق».

«دعنا نتفاءل. والآن نريد منك أن تنتظر في الخارج لعدة دقائق». لن أترك يد تومي. من المستحيل أن أتركه بعد كل هذا. «أرجوك سيدي، من الأفضل لولدك أن تنتظره في الخارج». أشار إلى الباب وأمسك كتفي بلطف. شعرت أن قدمي تحملانني وتأخذانني إلى الباب. نظرت إلى تومي وشعرت بسيل من الدموع على وجهي. وضع الطبيب يده حولي وحاول أن يطمئنني ثم اختفى عبر الباب. أخرجت هاتفي بسرعة واتصلت بميشيل.

«شيلدون، ماذا عن والديك، لقد اتصلا للتو مرة أخرى».

«ميشيل، تعالي إلى مستشفى "First Memorial" في الحال. تومي معي».

«ماذا؟» صرخت بصوت عالٍ جداً فاضطررت لإبعاد الهاتف عن أذني. شرحت لها بهدوء ماذا حدث وماذا يفعلون.

سمعتها تبكي عبر الهاتف، بوالديَّ تحاول تهدئتها. «نحن في طريقنا إليك». أنهت الاتصال، فاتصلتُ بوالدي وشرحت لهما ما يحدث. وافقا أن يستقلا سيارةً من المطار إلى المستشفى مباشرة،

وأخبرتهما بأنه لا يهم كم ستكلف. أغلقت الهاتف وعدت إلى الخلف لأستند إلى الحائط. لا يمكنني أن أفكر في كل شيء حدث في الساعات القليلة الماضية. كأنّ قتلي لسورينسون حدث منذ وقت طويل جداً. الآن أنا أقف خارج غرفة العناية المشددة التي يوجد تومي فيها، وهو يصارع من أجل حياته. حاولت ألا أفكر بما تفعله زوجة سورينسون وابنته الآن، على الأقل تومي لديه فرصة ليعيش. سورينسون لم يعد لديه فرصة قط. حاولت أن أستمع إلى أيّ صوتٍ آتٍ من الغرفة، ولكن لا شيء، ولا أي صوت. انحنيت على ركبتي مقابل الحائط طالباً من الله المساعدة. أعرف أنه لا يحق لي أن أطلب هذا بعد ما فعلته، لا أعرف كم بقيت على هذه الحال، ولكن الشيء التالي الذي شعرت به هو ميشيل وهي تسحبني إلى الأعلى.

«شيلدون، يقولون إنه يمكننا أن ندخل الغرفة». عدتُ من غيبوبتي بسرعة، وتبعت ميشيل إلى الغرفة. يوجد طبيب واحد فقط في الغرفة، الطبيب الذي كانت لديه معلومات عن المخدر.

كان تومي مغطىً بشكلٍ كامل، في الحقيقة كان غطاؤه عالياً جداً لذلك اعتقدت أنه لم ينجُ، خاصةً أني رأيت ميشيل تركض نحوه

وتعانقه. مباشرةً أخبرنا الطبيب أنه سيكون بخير بعد عدة ساعات، وكان عليّ أن أُمسك بكرسي قريب كي لا أقع أرضاً. شرح لنا كل شيء عن الفحم مرةً أخرى وكيف أنهم أخرجوا معظم العقار من جسده بعد ضخ الفحم في معدته، لا أعتقد أنني سمعت كلمة مما قاله، كان جلّ تركيزي على ميشيل وتومي. يقول الطبيب إنه سيستيقظ بعد فترةٍ قصيرةٍ. أظن أني شكرته ثم غادر الغرفة، ولكني لست متأكداً تماماً... دخلت ممرضة بعده وبدأت تعدّل الأجهزة المحيطة بتومي. وقفت إلى جانب ميشيل ووضعت رأسي على صدر تومي. لا شيء أبداً يُشعِر بمثل هذه الراحة. أمسكت يد ميشيل بيدي ونظرنا إلى بعضنا ونحن نعرف أن كل شيء سيكون على ما يرام. تومي بخير. تومي عاد.

الفصل الحادي والعشرون

جلسنا في غرفة تومي. لقد نُقِل إلى غرفةٍ خاصةٍ في الطابق العلوي. إنها واسعةٌ جداً، فيها تلفاز، وحمام صغير ونافذة كبيرة لها ستائر محكمة الإغلاق. ذهب والدا ميشيل للتو إلى الكافتيريا. لم يستعد تومي وعيه بعد، لكن الطبيب وعدنا أنه سيصحو في أيّ لحظة، لذلك فنحن ننتظره بفارغ الصبر. لم يؤكدوا لنا بأنه سيتذكر أي شيء ولكننا لا نأبه لهذا، نحن سعداء لأنه بخير. لا أستطيع أن أبعد ناظري عنه، وكأنني أراه لأول مرة. جلسنا أنا وميشيل جانب بعضنا على كرسيين يتحولان إلى سريرين وقررنا ألاّ نغادر مكاننا مهما كان السبب. قررت أني لن أتركه مجدداً. أدرنا رأسينا نحو الباب ورأينا ستانتون يدخل. نظر مباشرةً إلى تومي وهو مستلقٍ على السرير. ورأيت الدهشة في عينيه.

«هنيئاً لكما عودته». سحب كرسياً إلى أمامنا، وظهره إلى تومي. «كيف حاله؟» شرحت له ما أخبرنا الطبيب به وعن تعافيه. نظر خلفه إلى الباب. «سوف نبقي مفرزة أمنية هنا لحمايتكم». نظرنا أنا وميشيل بعضنا إلى بعض بفضول. «يوجد حشد من وسائل الإعلام في الخارج لم أر مثله من قبل». نظر باتجاه النافذة. «أمضيت وقتاً عصيباً للدخول فقط من الباب الأمامي. الأخبار تنتقل بسرعة. حسناً أخبراني كيف حدث هذا؟»

«كنت أتجول في ملعب "Lee" ولمَّا عدت إلى شاحنتي رأيته هناك مستلقياً على الكرسي الخلفي. كان فاقداً الوعي، لذلك أحضرته مباشرةً إلى هنا». كان ستانتون يدون أشياء في دفتر ملاحظاته.

«هل شاحنتك في الخارج؟»

«نعم».

«نحتاج إلى تفتيشها إذا كنت تسمح بهذا. يجب أن نبحث عن أي نوع من البصمات أو أي شيء». أومأت برأسي. بدأ بإجراء اتصالٍ على هاتفه في الحال. وبعد دقيقة، وضع هاتفه في جيبه. «لدي بعض الأخبار الأخرى التي أريد أن أشارككما بها.

من الواضح أن دوغ سورينسون قُتل منذ ساعات عدة في منزله». شعرت بأن عينيه تخترقانني، وبدأ سيل من العرق يتشكل على جبيني.

«يا إلهي... متى سيتوقف هذا؟» أزاح ستانتون عينيه عني ونظر إلى ميشيل.

«لا أعرف. لم أذهب إلى هناك بعد، ولكننا حالياً نعاين مكان الجريمة. أعتقد أني محقٌّ! تماماً إذا قلت إنَّ الحادثتين مرتبطتان ببعضهما». لا يمكنني أن أنطق. كل ما أراه هو عينا سورينسون الميتتان تحدقان بي. «هل أنت بخير سيد سميث؟» رفعت رأسي. كان ستانتون وميشيل ينظران إليّ بفضول.

«أنا بخير. أنا فقط لا أفهم لماذا يحدث كل هذا؟» نظرت إلى تومي. كانت الأجهزة تسجل بانتظام نبض قلبه ونَفَسَه. أيضاً بدأت أفكر كيف مسحت بصمات أصابعي جيداً. لثانية، فكرت بالاعتراف لستانتون وميشيل الآن، ولكني لم أتكلم. لا يمكنني أن أتحدث، فقط نظرت إلى تومي وهو مستلقٍ هناك على قيد الحياة لأن سورينسون ميت. بطريقة أو بأخرى، لا بد من وجود سبب منطقي لهذا، لكني توقفت حالاً عن إيجاد مبرر

لموت رجل. لا يزال ستانتون وميشيل ينظران إلي، لذلك وقفت بسرعة ونظرت من النافذة، ذهلت من عدد سيارات وسائل الإعلام في الخارج.

«إنها مأساة. تلقينا اتصالاً من مجهول، استجبنا له مباشرةً فوجدناه مقتولاً بطلقٍ ناري. الأمر الوحيد الجيد هو أن زوجته وابنته لم تكونا في المنزل». توقف.

«ولكن لا حاجة بك أن تقلق بشأن ذلك، لقد عاد ولدك. على أي حال أياً كان السبب فقد حدث الأمر، إنه هنا وحسب ما أخبرتني به فإنه سيكون بخير». وقف ببطء ونظر إلى تومي. «رجاء أسدي لي معروفاً بعد أن يستيقظ وتمضيا معه بعض الوقت، اتصل بي لنرى إن كان يتذكر أي شيء. يمكننا أن نستخدم دليلاً جيداً الآن». وقفتُ وصافحته. ربَّت على ظهر ميشيل ومشى نحو سرير تومي. وتوقف عنده لدقيقة ثم خرج من الباب. لا أعرف إن كنت أشعر بالراحة لمغادرته، ولكني لمَّا نظرت إلى الأسفل كانت يداي ترتجفان. الشيء الآخر الذي شعرت به هو يدا ميشيل تلتفان حولي، كانت تمسك بي بقوة، لا أعرف كم بقينا على هذه الحال، ولكن فجأةً فتح تومي عينيه، وأسرعنا إلى جانبه.

«تومي... تومي. كيف حالك؟» صرخت. كان ينظر إلينا محاولاً أن يبتسم. قبلته ميشيل في الحال على جبينه، فاستجاب لها بهز رأسه.

«سيستغرق وقتاً ليستعيد وعيه تماماً». نظرت خلفي ورأيت الطبيب يقف ورائي. «لكن هذه إشارة جيدة». كتب شيئاً ما على لوحه ومشى إلى أسفل سريره. استمر تومي بالإيماء برأسه ببطء ثم أغلق عينيه بالسرعة نفسها التي فتحهما فيها، يبدو أنه عاد إلى النوم. «إنه مريضٌ أنموذجيٌّ جداً، هذا يعني أن جسمه يتهيأ لمرحلة جديدة».

«هل هذا يعني أنه خرج من الغيبوبة؟» رأيت الطبيب يومئ برأسه. مشى نحو جهاز مراقبة دقات القلب.

«نعم. في ساعة أو ساعتين ينبغي أن يكون قادراً على التواصل مع الآخرين. ربما سيكون مشوشاً جداً وليس لديه فكرة عن مكان وجوده، ولكن رؤيته لكما ستساعده». راقبنا الطبيب وهو يخرج من الغرفة، وبقينا جالسين إلى جانبه على السرير نراقب ولدنا يستريح بسلام وأمان. شعرت أن هاتفي بدأ يهتز من جديد. نظرت إليه فكان المتصل جيم.

«مرحباً جيم».

«تهانينا شيلدون. سمعتُ أن تومي بخير. إنّ الخبر يُذاع في كل نشرات الأخبار».

«شكراً لك».

«أنا سعيد جداً لأجلكما. إنه ولد رائع».

«شكراً. ألم تسمع أي شيء عن بريان بعد؟» نظرت إلى ميشيل. كانت تمسك بيد تومي.

«لا، لا شيء. لا أزال أمرُّ بمنزله ولكن لا أثر لوجوده في أي مكان».

نظرت إلى تومي. كان صدره يرتفع وينخفض بانتظام. «حسناً، أخبرني إذا سمعت شيئاً عنه». أغلقت الهاتف بسرعة وجلست إلى جانب ميشيل مجدداً. مرت ساعة أو أكثر، وعاد والدا ميشيل من الغداء. تطوعا بأن يذهبا ويحضرا والديّ، وشكرتهما على هذا وهما يغادران. لحسن الحظ، أن أهلنا علاقتهم جيدة على الرغم من أنهم لم يروا بعضهم منذ سنوات. بعد عدة دقائق، دخل شخص بالزي الأبيض غرفتنا ووضع طبقين من الطعام. فأنهينا أنا وميشيل كل شيء فيهما. أعتقد أنها المرة الأولى التي نتناول فيها وجبة كاملة منذ اختفاء تومي. كان ذهني مشغولاً تماماً بالتركيز على تومي بدلاً من

قتل سورينسون، لذلك بقي الطعام في معدتي حتى الآن على الأقل. بعد دقيقة، سمعنا صوت نخرٍ خفيفٍ صادراً عن تومي. اقتربنا من سريره ورأيناه ينظر إلينا. اتسعت عيناه ولفظ كلمتي «أمي وأبي».

«مرحباً تومي». ضغطت بلطف على يده في حين مسحت ميشيل على جبينه.

«مرحباً أمي وأبي». يبدو صوته ملائكياً على الرغم من أنه كان أقرب إلى الهمس.

«أين أنا؟» نظرنا أنا وميشيل بعضنا إلى بعض.

«أنت في المستشفى عزيزي». ضغطت على يده أكثر.

«ستكون بخير حبيبي». ابتسمت ميشيل ابتسامةً عريضة. أنا مسرورٌ جداً. أشعر أن عينيّ اغرورقتا بالدموع. لقد نسيت أمر سورينسون تماماً الآن.

«ماذا حدث؟ هل انتهت فترة إقامتي مع السيد كين؟» كانت عيناه تتنقل بيننا.

«نعم، لقد انتهيت منه». نظرتْ إليّ ميشيل بغرابة. أومأت برأسي.

«كيف مرضتُ؟»

«لقد تناولت شيئاً ما جعلك فقط تشعر بالنعاس. ولكنك ستكون بخير». كانت ميشيل تنظر إليّ بفضول.

«أنا لم أتناول أي شيءٍ أبي. هل السيد كين هو من أعطاني إياه؟» نظرتُ إلى ميشيل.

«نعم إنه هو تومي. أنت لم ترتكب أي خطأ. هل تتذكر أي شيء؟» هز برأسه لا.

«لا حاجة بك أن تفكر بهذا الآن عزيزي».

«والدتك محقة تومي، لا تفكر بهذا الآن».

«لقد تصرفتُ كما طلبتَ مني، صحيح أبي؟» نظرت إلى ميشيل ثم إلى جهاز القلب. ثبَّتُّ ناظري على الأنماط الثابتة التي تومض على الشاشة.

«لقد أدَّيتَ عملاً رائعاً تومي. هل تذكر من أين أحضرك السيد كين؟» راقبته يغمض عينيه لدقيقة ثم نظر إلي.

«لا أذكر كيف وصلت إلى هناك أو إلى أين ذهبت، ولكني أذكر أنها كانت تماماً مثل غرفتي في المنزل باستثناء أنها كانت مليئة بتلك الأشياء الرائعة». ابتسمنا أنا وميشيل. «ثم قال لي

السيد كين إن عليّ أن أبقى في غرفتي حتى ينتهي أمر ما... ولكني لا أتذكر ما هو. كان كل شيء يبدو غامضاً».

«لا بأس تومي. لقد أدّيت عملاً رائعاً». قبلت ميشيل جبهته.

«أتذكر حديثي معك أبي. أظن أنك كنت في محل ماكدونالدز أو شيء من هذا». أشعر أن جبيني يتصبب عرقاً مجدداً، وميشيل تنظر إليّ، لذلك أومأت فقط ونظرت إلى ميشيل نظرةً ينظرها المتزوجون إلى بعضهم بعد مرور سنين على زواجهم.

«وأنا أذكر ذلك أيضاً. اشتقنا لك شريك. نحن سعداء جداً بعودتك». بدت ميشيل راضيةً بجوابي. عادت لتنظر إلى تومي.

«لماذا كان عليّ أن أذهب إلى هناك؟ أنا لا أتذكر؟ لماذا لا أستطيع أن أتذكر أي شيء؟»

«كان فقط مكاناً عليك أن تذهب إليه لفترة، وبذلك تمكنت من استخدام كل تلك الألعاب التي كانت في غرفتك. من الواضح أن المادة التي أعطاك إياها مسحت أجزاء من ذاكرتك لذلك ربما لن تكون قادراً على أن تتذكر كل شيء».

«والدك محق». أدرنا رأسينا أنا وميشيل بسرعة إلى الخلف عندما سمعنا الطبيب يتحدث. إنه طبيب آخر مختلف، يرتدي لباس الطبيب

الأبيض الطويل ويحمل لوحاً إلكترونياً في يده. يبدو في منتصف الخمسينات من عمره، شعره رمادي مرتب. «أنا الدكتور براندون من قسم الأمراض العصبية» تصافحنا. «المخدر الذي أُعطيَ لك يمكن أن يزيل أجزاء معينة من ذاكرتك. لا شيء يضمن لنا أنك ستستعيدها، ولكننا لن نعرف هذا قبل عدة أشهر حتى نرى التأثيرات». مشى بيني وبين ميشيل ورفع يده لتلامس يد تومي. رفع تومي يده اليمنى ولمسَ بلطف يد الطبيب. «ما هو شعورك إن عدت إلى المنزل في وقت قريب؟» رأيت فم تومي يرسم ابتسامة خفيفة. «أعتقد أننا سنكون قادرين على إخراجك من هذا الفندق غداً». نظر إلينا. «يجب أن أحذركم، قد تحظون بترحيب كبير عندما تصلون إلى المنزل». نظر إلينا تومي بارتباك. أجرى الطبيب بعض الفحوصات لتومي وطبع نتائجها على لوحه ووعدنا أن يعود بعد عدة ساعات. بدأت عينا تومي تتثاقلان وشاهدناه أنا وميشيل وهو يغفو، عدنا إلى كرسيينا. قبل حتى أن نجلس، اقتربت ميشيل مني.

«ما الذي كان يتحدث عنه معك في ماكدونالدز؟ هل هناك شيء ما لم تخبرني به؟» لم أجب مباشرةً. راقبت الجهاز الذي يسجل معدل نبضات قلب تومي يتأرجح بين الـ ٧٠ والـ ٧٢.

«لا يوجد شيء آخر. سمعتِ ما قاله الطبيب بأن هناك أشياء محددةً لن يتذكرها؟»

اقتربت مني أكثر. «كان من الواضح جداً أنه يتذكرك شيلدون. ما الذي تخفيه عني؟» رأيت الدموع تملأ عينيها فنهضت ونظرت من النافذة. لم أر شيئاً إلا بحراً من سيارات الإسعاف وسيارات وسائل الإعلام، محتشدة في موقف السيارات. اقتربت ببطء من ميشيل وجلست إلى جانبها. لم تُبعِدْ عينيها عني. «ما هو شيلدون؟ يجب أن تخبرني. من هو السيد كين أيضاً؟» نظرت إلى الأسفل إلى قدمي. ورأيت بقعاً من الدم الأحمر متناثرةً على أطراف الحذاء، لم ألحظها من قبل. سارعت إلى فرك قدميَّ ببعضهما. «تحدث إليَّ شيلدون». أدرت رأسي ببطء نحو ميشيل، واتسعت عيناها بانتظار أن تسمع كلماتي التي من الممكن أن تغير حياتنا إلى الأبد.

«إن الأمر معقد جداً ميشيل». تابعتُ فرك حذائي.

«شيلدون، عليك أن تخبرني ماذا يحدث الآن». قربتني منها وهي تمسك بيدي. «من أين حصلت على هذه الملابس؟» لم أجب. تابعتُ النظر إلى حذائي. معظم قطرات الدم قد اختفت الآن.

«لا أستطيع. ثقي بي ميشيل».

«لا... لا يمكنني شيلدون. تومي ولدي أنا أيضاً وإذا كنت تخفي شيئاً ما عني، فعليك أن تخبرني به الآن». لا أستطع أن أتحدث أبداً.

عاد تفكيري إلى سورينسون، عيناه الميتتان وابنته الصغيرة وهي تركض في فناء المنزل. شعرت أن قلبي ينفطر. ما الذي فعلته؟ شعرت أن جسدي كله يرتجف. حذائي الآن مغطىً بالدماء، والعرق يسيل من أنحاء جسمي كله. سورينسون يستلقي أمامي على الأرض وهو غارق بالدماء. أعتقد أني سمعت ميشيل تنادي باسمي، ولكن كل شيء كان ضبابياً ويدور حولي. أعتقد أنني وقعت على الأرض ولكنني لست متأكداً. كل مكان أنظر إليه، كل شيءٍ مغطىً بالدماء. أشعر أنني سأنفجر. أعتقد أني مصاب بالدوار ولكني لست متأكداً. المستشفى كله يهتز بعنف، ويبدو السقف كأنه سينهار فوقي. أغلقت عيني بشدة قدر ما أستطيع وعندها لم أشعر بشيء إلا بالظلام والصمت.

الفصل الثاني والعشرون

«شيلدون... شيلدون». فتحت عيني فرأيت أمي تقف فوقي. ليس لدي أيّ فكرة عن مكان وجودي. «كيف حالك؟»

«أين أنا؟ ماذا حدث؟» حاولت أن أجلس لكن جسدي لم يطاوعني. «كيف حال تومي؟»

«تومي بخير». رأيتها تنظر خلفي. أمي من النساء اللواتي لا يشخنَ أبداً. تبدو كما كانت عليه في الثلاثين من عمرها. شعرها بطوله المتوسط نفسه، لونه بني رملي، وتسريحتها نفسها لا أعتقد أنها عملت في حياتها. «أنت في المستشفى شيلدون». نظرت في أرجاء الغرفة فأدركت وجود العديد من الأشياء التي رأيتها في غرفة تومي سابقاً.

«أريد أن أذهب لرؤية تومي». شعرت بها تضع يدها على صدري.

«تومي في المنزل شيلدون».

«ماذا تعنين؟ قال الأطباء إنه لا يمكنه أن يذهب إلى المنزل قبل الغد». رأيت وجه أمي تشتدُّ تقاسيمه.

«عاد تومي إلى المنزل منذ يومين».

«ما الذي تتحدثين عنه؟ منذ متى وأنا هنا؟» نظرت أمي نحو النافذة. الستائر مغلقة تماماً كما كانت في غرفة تومي.

«إنه اليوم الثالث لك هنا». وضعت يدها على رأسي ومسحت عليه بلطف. «لقد كنت مرهقاً. قال الطبيب إنك تعرضت لضغط شديد استسلم له جسدك. أنت في حاجةٍ إلى الراحة».

«لا أصدق أنه مضى يومان. أريد أن أطمئن على تومي».

«تومي بخير. والدك وميشيل ووالداها برفقته في المنزل. إنه أفضل بكثير».

«أريد أن أذهب إلى المنزل». حاولت النهوض مجدداً، ولكن جسدي لم يتحرك.

«هوّن عليك». وضعت يدها على صدري مجدداً. «قال الطبيب إنه من الضروري أن تنال أكبر قسط ممكن من الراحة. إننا نتبادل الأدوار في البقاء إلى جانبك. ميشيل قلقة جداً عليك». أدرت رأسي

ببطء فرأيت السيروم والعديد من الأجهزة المخيفة الأخرى. أشعر أن عينيَّ أصبحتا ثقيلتين. حاولت أن أبقى مستيقظاً، ولكني خسرت المعركة بسرعة. رأيت امرأة تسير خلف أمي، أعتقد أنها ممرضة لأنها كانت تتفقد أجهزة المراقبة وتتحدث إلى أمي، ولكني لم أسمع أي شيء مما تقوله. بعد دقيقة، أصبح كل شيءٍ ساكناً بسلام.

لا أعرف كم مضى من الوقت بعد أن أغمضت عيني على رؤية أمي، لكني لمَّا فتحتهما مرة أخرى كانت الغرفة مضاءةً. أعتقد أن الشمس مشرقةٌ خلف الستائر، لا بد أنه الصباح. أتمنى لو أن معي ساعة. نظرت في كل أرجاء الغرفة. ووجدت نفسي قادراً على تحريك جسدي والجلوس. لم أر أمي، لا بد أنها عادت إلى المنزل. ابتسمت لفكرة أن تومي عاد إلى المنزل مع أشيائه وأصدقائه. تُرى ما الذي يفعله الآن. أتمنى لو أجد طريقة للخروج من هنا. أشعر أني أفضل بكثير من المرة الأولى التي استيقظت فيها. لم يعد ذهني مشوشاً قط. يمكنني أن أتذكر كل شيء حدث بوضوح. فقط لا أصدق أني أمضيت كل هذا الوقت هنا. رفعت يديَّ ببطء ومددتهما بشكلٍ كامل. اليد التي وضع فيها السيروم امتدت قليلاً بسبب كل تلك الأشرطة، ولكن على الرغم من ذلك تبدو جيدة.

يمكنني أيضاً تحريك ساقيّ إلى الأعلى والأسفل عدة مرات. وجدت زراً أحمر صغيراً مثبتاً على جانب السرير كتب عليه «نداء»، فضغطته بسرعة. وبعد دقيقة، دخلت امرأة ترتدي زياً زهرياً إلى غرفتي تتبعها ميشيل. ابتسمت لرؤية ميشيل، فأسرعت إليّ وعانقتني. تفقدت الممرضة السيروم وعدّلتْ بعض الأشياء حولي. أنا سعيدٌ جداً لرؤية ميشيل، وضغطت على يدها بلطف.

«مرحباً شيلدون، صباح الخير».

«صباح الخير». أجبتها. يبدو صوتي حاداً، لذلك حاولت تنظيف حنجرتي. «هل يوجد ساعة هنا؟» سمعت ميشيل والممرضة تضحكان بهدوء.

«أخبرتك بأنها ستكون أول شيء يسأل عنه».

ابتسمت الممرضة لنا. «سأحضر لك واحدة إلى هنا في الحال. والآن استرح سيد سميث، إنها تعليمات الطبيب». أومأت برأسي ورأيتها تخرج من الغرفة.

«تبدو أفضل بكثير شيلدون. لقد جعلتني أقلق عليك فعلاً. قلقنا جميعنا عليك».

«كيف حال تومي؟» أسندتُ كتفي إلى قائمة السرير.

«إنه بخير. سيأخذه أهلنا إلى "Kings Dominion" اليوم. تعرف كم يحب حدائق الملاهي». ابتسمت عندما فكرت بتومي وكم يحب قطار الملاهي.

«الأطفال لا يعرفون الخوف». أومأت ميشيل. «لا أصدق أني أمضيت كل هذا الوقت هنا».

«لقد مررنا بأمور كثيرة شيلدون». أمسكت بيدها الأخرى.

«كيف حالك أنت؟»

«أفضل بكثير الآن. لقد ساعدني كثيراً وجود أهلنا هنا. تمكنت من نيل قسط من الراحة. بدأت أشعر أني فعلاً أعود إلى وضعي الطبيعي. فقط لو أننا نستطيع أن نعيدك إلى المنزل».

«متى يمكنني أن أخرج من هنا؟» مسحت الشريط اللاصق على يدي فوق مكان السيروم.

«قال الطبيب إنك قد تحتاج إلى يومٍ آخر أو يومين. لقد أعطوك بعض الأدوية القوية جداً». نقرتْ على كيس السيروم الذي كان ينقّطُ ببطء داخل يدي.

«ماذا حدث لي؟»

«ألا تذكر؟ لقد انهرت في غرفة تومي. ضغطت زر الإنذار فنقلوك بسرعة إلى قسم آخر من المستشفى. كنت أركض بينكما طوال الليل». نظرت إلى النافذة. «لكنك ستكون بخير. أكد الطبيب هذا لي».

«آسف ميشيل». نظرت في عيني. رأيت القلق على وجهها.

«لا بأس. لمَّا تتحسن يمكنك أن تخبرني بكل شيء، أما الآن فعليك أن تستريح فقط. سمعت ما قالته الممرضة. هل تريد أن تأكل أو تشرب شيئاً ما؟» أومأت برأسي. لم أستطع التوقف عن النظر إليها. أشعر بأني شخصٌ سيئٌ جداً لأني لم أخبرها بشيءٍ عن تومي، لكن لم يكن بإمكاني أن أسمح بأن يحدث له أي شيء. أتمنى أن تفهمني.

«هل سمعتِ أي شيء من ستانتون؟»

«لقد جاء عدة مرات ليطمئن عليك. تحدث أيضاً إلى تومي البارحة، ولكنه لم يتذكر أي شيء آخر غير الذي أخبرنا به. أعتقد أن المخدر الذي أعطوه إياه مسح معظم الأشياء من

ذاكرته. قال الطبيب إنه ربما تعود لهُ يوماً ما، لذا يجب أن ننتبه له جيداً». أمسكت بيدها ورقةً صغيرةً مطويةً. «حسناً ماذا تريد أن تأكل؟ جبن مشوي؟ حساء؟»

«سآخذ جبناً مشوياً. يبدو لذيذاً». رأيتها وهي تطلب الرقم وتطلب الطعام عبر الهاتف. «كيف حال وسائل الإعلام؟»

«لقد كانت قاسية في اليومين الأولين ولكنهم توقفوا بعدها. كان عليّ أن أشرح لتومي أنه كان مخطوفاً. لم يكن لديه فكرة قط. بقي يتحدث عن بعض الاختبارات التي كان عليه إتمامها لك وللسيد كين. لا أعرف عمّا كان يتحدث، ولكن ربما هذا له علاقة بفقدانه لذاكرته». حاولت أن أجلس أكثر. عدلتْ ميشيل السرير من أجلي. «طلبت مني نورين من القناة الإخبارية السابعة أن نظهر معها على الهواء مجدداً لنشكر كل من ساعد في البحث عن تومي ونخبرهم بأنه بخير. لكني أخبرتها أني سأنتظر حتى تتعافى أنت تماماً». ضحكت. «بالحديث عن الأخبار، كان عليك أن ترى تومي هذا الصباح. جعلته يرتدي نظارتك الشمسية الداكنة وقبعة تغطي عينيه. تعرف كم أكره ذلك النمط، لكني لا أريد أن يعرفه أحد في حديقة الملاهي». ابتسمتُ وأنا أتخيل ميشيل تضع عليه ملابسه. بعد عدة

دقائق وصل الطعام. تناولت الجبن المشوي وكأنني لم أتذوق الطعام منذ سنين. أنهيت أيضاً كأساً من جعة الزنجبيل. بعد قليل، جاء الطبيب وتحدث إلى ميشيل. شعرت أن جفوني بدأت تلتصق ببعضها مرةً أخرى، آخر شيء أذكره هو أني استسلمت للنوم وتركت ميشيل تتحدث إلى الطبيب. في المرة التالية التي فتحت فيها عيني، كانت الغرفة مظلمة فعدت إلى النوم مرة أخرى. بقيتُ على هذه الحال حتى رأيت ضوء الشمس ينسل عبر الستائر. جلست ببطء وأرجحت رجلي إلى جانب السرير. لم يكن هناك أحد في الغرفة، لذلك جلست فقط واستمتعت بالهدوء حتى سمعت الممرضة تفتح الباب بعد حين. يمكنني القول إنها دُهشتْ لرؤيتي مستيقظاً. إنها الممرضة نفسها التي كانت مع ميشيل سابقاً.

«مرحباً سيد سميث. يبدو أنك مستعد للخروج».

«أشعر أني أفضل بكثير». رفعت ساقي.

«سيكون يوماً جميلاً. هل ترغب في الخروج للمشي في باحة المستشفى؟» أومأت لها برأسي. راقبتها وهي تؤدّي بواجباتها المعتادة بتفقد وظائف أعضائي الحيوية وأجهزة المراقبة. بعد مضي عدة دقائق، أنهت عملها ودخلت ميشيل الغرفة.

«واو! لقد أخبرتني آن أنك كنت مستيقظاً لَّما دخلتْ».

«أنا مستعد للخروج من هنا ميشيل». جلست على جانب السرير.

«قالت الممرضة ربما يمكنك أن تخرج من هنا بعد الظهر، إذا بقي كل شيء على ما يرام، ستخبر الطبيب. قالت أيضاً إنه يمكنك أن تخرج إلى الحديقة. ما رأيك أن أصطحبك في نزهةٍ قصيرة بعد أن تتناول الفطور؟»

«ماذا تعنين بأن تصطحبيني؟»

«على الكرسي المتحرك». أومأت برأسي مستغرباً لكنها تجاهلتني. «يبلغك تومي سلامه. أراد أن يأتي معي لكني أعتقد أن من الأفضل له أن يبقى بعيداً عن هذا كله. لقد مرّ بما يكفي. بدأت سيارات وكالات الأنباء تغادر المكان، لذا أعتقد أنهم ينتقلون إلى قصة جديدة».

بعد فترة، وبعد أن انتهيت من تناول بعض البيض المسلوق وخبز التوست وضعتني ميشيل والممرضة على الكرسي المتحرك وأخذتني ميشيل إلى الخارج. مشينا في ساحةٍ إسمنتيةٍ صغيرةٍ، كان الهواء فيها منعشاً. كنا الوحيدين في الخارج. دفعتني ميشيل إلى وسط الساحة، إلى القرب من كرسيٍّ صغيرٍ

وجلست عليه. بقينا على هذه الحال لفترة. أمسكت يدي بيديها. «هل أنت مستعد لتتحدث شيلدون؟» نظرت إليها ثم إلى الساحة. فيها طوق كرة سلة صغير على الطرف البعيد منها. إنها أقل ارتفاعاً من عشر أقدام وهو الارتفاع النظامي لها لكنها تبدو شيئاً يستحق أن أجربه لاحقاً.

«أعتقد هذا». أدرت رأسي ببطء نحوها ونظرت في عينيها. تبدو عيناها واثقتين ودافئتين. أتمنى فقط أن تسامحني. حدثتها في البداية عن أول اتصالٍ هاتفي في الملعب ثم عن قصة البنك كاملة. توقفت عند الجزء الذي قتلتُ فيه موظفة البنك فضغطتْ على يدي بقوة بعض الشيء. ثم أخبرتها عن اقتحام مكتب سورينسون وكل الرسائل ومقاطع الفيديو التي أرسلها هاريس. قلتُ لها مرّات عدة إني لم أتمكن من إخبارها خشيةَ أن يُقتل تومي. لا أعرف إن كانت تفهم، ولكنها كانت لاتزال تستمع إليّ وتمسك يدي بقوة. وصلت إلى الجزء الأخير الذي طلب فيه مني أن أقتل سورينسون لأجل تومي. توقفت عن الحديث عندما وصلت إلى لحظة ذهابي إلى منزله لأول مرة. رأيتُ الدموع في عينيها، ولكنها أرادت مني أن أُكمل، لذلك أخبرتها أني لم أتمكن من فعل هذا.

أعتقد أنها ارتاحت قليلاً. انتقلت إلى الجزء المتعلق بالتعرف إلى جثة الولد الثاني ومقتل لورانس. أخيراً، تحدثت عن الذهاب إلى منزل سورينسون للمرة الثانية. بكتْ بشكلٍ جنوني.

«هل فعلتها شيلدون؟» مسحت عينيها بأكمامها. «ألهذا السبب قال ستانتون إنَّه وجد بصماتك في كل أنحاء المنزل؟»

«متى قال ذلك؟»

«أعتقد في اليوم التالي لعودة تومي إلى المنزل. أنت لم تقتله أليس كذلك؟» نظرت إلى الأسفل. لم أتمكن من النظر في عينيها. نهضت بسرعة عن المقعد ومشت إلى القرب من طوق كرة السلة. لا أعرف ماذا أفعل. أشعر أني أريد أن أصرخ بأعلى صوتي لأتخلص من كل شيء في داخلي، ولكني حقاً أشعر أني بحالٍ أفضل. من الجيد أن أخبر أحداً ما أخيراً بالحقيقة، خاصة ميشيل. بعد عدة دقائق، عادت إلي وجلست على المقعد. «أنا أحبك شيلدون، وأنت تعرف هذا». قبلت شفتي بقوة. أشعر بالدموع تنهمر على خديَّ، ولكني لا أعرف إن كانت دموعي أم دموعها. «أتمنى فقط لو أنك أخبرتني. لكنا تدبرنا الأمر معاً».

«لم يكن لدي خيار ميشيل. لا يمكنني أن أترك له فرصة لإيذاء تومي». شرحت لها عن كل الكاميرات التي وجدتها في المنزل وكيف أن بريان يحاول تفكيكها. تبدو قلقلة. «أرجوك سامحيني. فعلت ما كان عليّ فعله ليبقى تومي على قيد الحياة».

«لكنك قتلتَ شخصاً آخر شيلدون».

«لو لم أفعل، لكان تومي من قُتِل. أنت لم تري صور الطفلين اللذين قُتِلا. لم يكن بإمكاني أن أدع هذا يحدث لولدنا». لم تقل أي شيء.

أخيراً تحدثت. «ماذا سنفعل الآن؟»

«لا أعرف. كان همي الوحيد أن يعود تومي إلى المنزل والآن هو هناك، لم يعد هناك ما يهم الآن».

«من الممكن أن تدخل السجن شيلدون». تأملتُ عينيها.

«أعرف وينبغي أن يحدث هذا. ربما سأتصل بستانتون وأخبره بما حصل. كلما أسرعت كان أفضل، عندها يمكنك أنت وتومي أن تنتقلا». أمسكت كتفي بقوة فانكمشت، لذلك رفعت يدها في الحال.

«لا لن تخبر ستانتون بأي شيء. لديهم بصماتك فقط ويمكنك أن تقول إنك مررت به فقط. فعلتَ ما كان سيفعله أي أب آخر في تلك الحالة. كما قلت إما هو وإما تومي، وأنت اخترت ولدك. لا حاجة لأن يعرف أحد بما حدث». مسحت الدموع عن وجهها مجدداً. «طالما أنت المعني بالأمر فأنت بطل. لقد استعدت ولدنا. أحبك كثيراً». عانقتني وقبلتني مراتٍ عدة حتى جاءت أم شابة تدفع عربة ولدها الصغير إلى باحة المستشفى. بقينا هناك لساعة أخرى أو ما يقاربها. لم يقل أحد منا أي شيء. غرقنا بأفكارنا الخاصة ولكنا ارتبطنا إلى الأبد برابطنا السري.

الفصل الثالث والعشرون

أخيراً أُطلِقَ سراحي من المستشفى، واصطحبتني ميشيل إلى المنزل. حظيتُ بترحيبٍ حارٍ من الجميع، وعانقت تومي عناقاً طويلاً، ومسحت على ظهر باستر قدر ما أستطيع، ولم يغادرني منذ أن عدت. كان أبي هو من يأخذ باستر في نزهة كل يوم، لذلك دعاني إلى نزهاته. حتى الآن لا نزال غير قادرين على إخراج تومي من المنزل تحسباً لظهور أحد الصحافيين فجأةً. يبدو أنهم غادروا جميعاً، لكن يوجد كثير من السيارات الغريبة التي تمر بالقرب من المنزل طوال ساعات الليل، لذلك لسنا مستعدين أنا وميشيل لتركه يخرج. بعض أصدقائه يزورونه ويقومون بنشاطات المراهقين العادية، لذلك فإن كل شيء قد بدأ يعود إلى وضعه الطبيعي. سيعود والداي إلى منزلهما بعد مراسم دفن لورانس التي من المخطط أن تُقام غداً صباحاً. سيكون هذا أمراً قاسياً، ولكنه أمرٌ لا بدّ من فعله من أجل لورانس. لا أزال لا أصدق أنه قد رحل. أشعر بالذنب، لأني لو

تصرفتُ بشكل أسرع، لربما كان لايزال على قيد الحياة، لكن ميشيل تخبرني دائماً أنّ عليَّ تجاوز ما فعلت. لا أزال أعيش في صراع، أنام فقط عدة ساعات في الليل، لأن كل حلم أراه يكون عن لحظة سورينسون الأخيرة. لا أستطيع التوقف عن رؤية عينيه تحدقان بي وهو يفارق الحياة. أحياناً أستيقظ وأعتقد للوهلة الأولى أن الأمر كله مجرد حلم سيئ، ولكني أصطدم بالواقع وأعيش الألم نفسه مرةً أخرى. لم أفعل أي شيء حتى الآن، فقط أتجول حول المنزل. أخبرت ميشيل الجميع أني لا أزال في فترة نقاهة، ولكني فقط لست مستعداً لأواجه العالم بعد ما حدث وما فعلت. لكني تمكنتُ من إمضاء وقتٍ أكثر مع تومي. عادة نشاهد فيلماً فقط أو نلعب ألعاب الفيديو معاً، لا يمكنني أن أصف السحر الذي أشعر به لمجرد وجودي معه. لم يتذكر أي شيء آخر، يبدو أنه تجاوز الأمر كله. لقد أدَّت ميشيل عملاً رائعاً عندما شرحت له أنه كان مخطوفاً وأننا سعداء ومحظوظون لاستعادته مجدداً. من الجميل أيضاً وجود أهلنا حولنا، أعطانا هذا وقتاً للعودة إلى حياتنا. سأحاول العودة إلى العمل الأسبوع القادم. تعتقد ميشيل أن هذا سيساعدني على تجاوز كل تلك الأشياء والاستمرار في حياتي. إنها حتى لا تبدو منزعجةً مني أبداً

لأني قتلت سورينسون. منذ حديثنا في المشفى، قررت أن تساعدني. كانت رائعة. لا أخبار عن بريان. ترك لي جيم عدة رسائل ولكني لم أرد على اتصالاته بعد، سأعالج الأمور شيئاً فشيئاً. قررت أخذ باستر في نزهة أخرى اليوم. إنها نزهته الرابعة لهذا اليوم ولا يزال الوقت بعد الظهر فقط. كان أبي مشغولاً بحل الكلمات المتقاطعة، لذلك أخبرته أني سأذهب بمفردي. وصلنا إلى زاوية شارع المنزل وعدنا إليه. شاهدت باستر وهو ينطلق عبر الشارع ويدخل في مدخل المنزل، وكأنه يعيش هنا طوال حياته. أتساءل إن كان لا يزال يفكر بصاحبه السابق. ما إن رأيت مدخل المنزل، حتى رأيت ستانتون وسيارته التي كان يتكئ عليها. والآن ماذا؟ أتساءل. ركض باستر نحوه فانحنى ستانتون ومسح على رقبته.

«مرحباً سيد سميث، يبدو أن باستر بحالٍ جيدةٍ. كيف تجري الأمور معك؟» مشى باتجاهي ومد يده ليصافحني. أمسكت يده بقوة.

«أنا أفضل بكثير. وسعيدٌ بعودتي إلى المنزل وباستعادة تومي. شكراً لك على مساعدتك لنا». راقبته بفضول وهو يمشي في الطريق الذي عدنا منه لتونا.

«ما رأيك أن نقوم بنزهة قصيرة؟» نظرت إلى باستر. كان قد دخل المنزل. ربما يشرب الآن من إناء الماء الخاص به في المطبخ.

«طبعاً». استدرت ولحقت به بسرعة.

«أردت أن أطلعك على آخر ما وصلنا إليه». نظرت إليه. كان يرتدي قميصاً أبيض، وربطة عنق حمراء، ولكنه يبدو أفضل بكثير من أيِّ مرة رأيته فيها منذ أن بدأ كل هذا. «في البداية، لم نجد المشتبهين الأساسيين بعد. في الحقيقة، لا أعتقد أننا اقتربنا منهما أبداً. لدينا تعميم بحث عن الاثنين، ولكن لم يظهر شيء. وكأنهما شبحان». أذكر كيف هربا بسهولة في سيارة الـ BMW - منذ مدة. «ما أردت أن أحدثك به هو دوغلاس سورينسون». شعرت بغصةٍ في حلقي. «ماذا تعرف عنه؟» لا أعرف كيف أجيب عن هذا. شعرت أن عينيه تخترقانني، وبدأ العرق يتصبب من جبيني، أعرف أنّ عليّ أن أجيب بسرعة.

«تحدثنا عدة مرات».

«أين؟»

«في مكتبه ومنزله».

شاهدت عينيه تحدقان بشيء ما فوق رأسي لثانية. «السبب الذي جعلني أسألك هو أننا وجدنا بصماتك في كل مكان من مسرح الجريمة في منزله». شعرت أن قلبي يدق بسرعة، «وأيضاً في مكتبه». مشى ببطء وكاد يقف، «هل لديك أي تفسير؟»

لم أنظر إليه مباشرةً. «رأيته في المكانين. تحدثنا عمَّا يعرفه وكيف يمكن أن يساعدني في إيجاد تومي».

«لدينا أيضاً شاهد يدعي بأنه قد رأى سيارة شيفروليه ذهبية في شارعه في الوقت نفسه تقريباً الذي وقعت فيه الجريمة». نظرت مجدداً إلى الخلف إلى ممر منزلنا. كانت السيارة مركونة في الكراج لذلك لا يمكن رؤيتها. «ماذا تعتقد؟»

«كما قلت لك، زرتُه في منزله».

«بعد ظهر يوم الأحد؟»

«أعتقد ذلك. كان هذا في وقتٍ ما من يوم الأحد. أنا حقاً لا أذكر تماماً. كنت متوتراً قليلاً في ذلك الوقت لأن تومي كان مفقوداً».

«فهمت. أريد فقط أن أحيط بكل شيء. هل يمكنك أن تتذكر متى كنت هناك؟ هل كان هذا بعد الساعة الواحدة؟»

«أعتقد أنني كنت هناك قبل الواحدة، ولكني كما قلت أنا لا أذكر تماماً».

«إنَّ من المهم جداً لنا أن نضع تسلسلاً زمنياً للأحداث إن تمكنت من أن تتذكر. قال رجال الشرطة إنه كان يشاهد مباراةً للهنود الحمر عندما وصلوا. هل تتذكر إن كان يشاهد الهنود الحمر؟» لا أعرف إن كان ينصب لي فخاً بهذا السؤال، لذلك سأحاول أن أعطيه جواباً مبهماً.

«كان هناك شيءٌ ما عن كرة القدم، ولكني فعلاً لم أنتبه».

«لا تقل لي إنك لست من مشجعي فريق «الهنود الحمر»؟»

«فريق الدلافين». رأيته يبتسم، الأمر الذي جعل نبض قلبي ينخفض عشرين نبضة تقريباً. استدار ببطء وبدأ يعود إلى مدخل المنزل. لم يقل أي شيء آخر بقية الطريق. لمَّا وصلنا إلى سيارته مدَّ يده وصافحني مرّةً أخرى.

«متأكد أنه سيكون لدي المزيد من الأسئلة لك وسأحتاج إلى إفادتك، لذلك سأعود». شاهدته وهو يخرج من المدخل. أخذت نفساً عميقاً، ولمَّا استدرت قفزت هلعاً لرؤية ميشيل تقف خلفي تماماً.

«ماذا قال؟» مشينا ببطء في مدخل المنزل.

«قال إنهم وجدوا بصمات أصابعي في كل مكان من مسرح الجريمة».

«ماذا تعتقد أنه سيفعل؟»

«لا أعرف. قال إنه سيعود ليتحدث معي». توقفتْ وأمسكتْ يديّ بيديها وأخفضتْ صوتها.

«سنفعل أي شيء لإبقائك بعيداً عن هذا كله. أعدك». توقفتُ وعانقتها. لا أصدق كم هي داعمةٌ لي.

«شكراً، ولكن مهما حدث... مهما حدث. فقد استعدنا تومي».

«وسنحافظ عليك أيضاً شيلدون». كدت أتعثر بباستر عندما جاء يركض من الكراج وجلس عند قدمي. «أيضاً من سيعتني بباستر؟» أمضينا بقية النهار في المنزل ونلنا قسطاً من الراحة. في صباح اليوم التالي حضرنا جميعنا مراسم دفن لورانس. أبقيْتُ تومي إلى جانبي طوال الوقت في حال تعرّض إلى أيِّ مشكلةٍ عاطفية، ولكننا كنا جميعاً بخير والتقينا بعدها في أحد المطاعم وروينا قصصاً عن لورانس في أثناء تناولنا الطعام، بعضها حزين

وبعضها مضحك. بعد الغداء، دفعتُ الفاتورة وذهبتُ إلى موقف السيارات لأُخرِج سيارتي. لحسن الحظ أنها كبيرة كفاية لتتسع للجميع. لمَّا فتحت الباب لاحظت أمراً غريباً، كان باب المقعد الخلفي مفتوحاً قليلاً. أعرف أني أقفلته عندما دخلنا لأني سمعتُ صوتَ إطباقه فقد قطعت عهداً على نفسي بأن أقفل كلَّ شيءٍ بعد ما حصل لنا. مشيت إلى مؤخرة السيارة لأغلق الباب فكدت أقع أرضاً عندما رأيتُ قدماً وساقاً تتدلّيان من الباب. أسرعت وفتحت الباب، شعرت بأني سأتقيأ كل ما في جوفي عندما رأيت جثة بريان على الكرسي. كان وجهه وملابسه ملطخين بالدماء. يبدو أنّه قُتِل بعيارٍ ناريٍّ، ولكني لست متأكداً لأني ابتعدت مباشرةً. الشيء الوحيد الذي أذكره هو أني رأيت غطاءً تحت جثته يغطي المقعد. اتصلت على الفور برقم الطوارئ (٩١١) وبدأت أدور إلى جانب السيارة. لا أصدق أن هذا يحدث مجدداً. اعتقدتُ أنّ هذا سينتهي بعد استعادة تومي ومقتل سورينسون. بعد دقيقتين، سمعت صوت صفارات الإنذار. شعرت بهاتفي يرن، إنها ميشيل. أخبرتها بما حدث فقررت أن تأخذ الجميع إلى المنزل من المدخل الآخر بسيارة أجرة. بعد دقيقة، شعرت بلمسةٍ

خفيفةٍ على كتفي، إنه ستانتون يقف خلفي. استدرت بسرعة وأخبرته بما حدث. فسألني عن الغطاء إن كان لي. أنكرت معرفتي به وأخبرته أني لم أره من قبل. شرحت له من هو بريان وأننا لم نسمع عنه شيئاً منذ عدة أيام. عاد إلى السيارة وتفحص الجثة، وعدتُ إلى المطعم وأنا أشعر بألمٍ في رأسي. ما إن اقتربت من الباب، حتى بدأ هاتفي يهتزُّ. نظرت إليه وقرأت رسالة نصية أُرسِلَتْ من رقمٍ خاصٍ، «هذا ما يحدث لأصدقائك عندما يقتربون جداً من عملي». حاولت أن أفكر بما كان بريان يحاول فعله. أتمنى لو تمكنتُ من تحذيره. فجأة شعرت نفسي مسؤولاً عن حياة شخصٍ آخرٍ. دخلت المطعم واتجهت إلى الحمام، وجلستُ هناك. لا أعرف كم من الوقت بقيت فيه، لكنني عندما خرجت كان المكان خالياً وسيارةٌ تسحب سيارتي بعيداً. راقبتها وهي تختفي عبر الشارع. أتخيل أن هاريس في مكان ما يضحك على هذا. لا يزال هناك العديد من سيارات الشرطة المركونة في موقف السيارات، ورجال الشرطة في الداخل يتحدثون إلى الموظفين. مررتُ إلى جانبهم، ويبدو أن لا أحد منهم لاحظ وجودي لذلك بدأت أسير في الشارع. قررت أن أتصل بجيم

لأخبره بما حدث. اتفقنا على أن نلتقي في منزل بريان بعد عدة ساعات. تابعت سيري متجاهلاً السيارات المارة والنظرات حتى تيبستْ قدماي، وأخيراً طلبت سيارة أجرة. وصلت إلى أمام منزل بريان بعد عدة دقائق، إنه منزل صغير مؤلف من طابق واحد يقع إلى جانب الطريق. لم أتِ إلى هنا من قبل، ولكني ذُهلْتُ لأناقة المكان. الباحة والشجيرات منسقة، والممر الجانبي العاجي جديدٌ ونظيفٌ. مشيت في الممر الجانبي القصير وجلست على الدرج. لم أر سيارة جيم بعد. اتصلتُ بميشيل وأخبرتُها عن مكاني، يبدو أنها فهمت السبب. قالت إن تومي بحالٍ جيدة على الرغم مما حدث. بعد عدة دقائق، رأيت سيارة جيم تقف أمامي فخرج منها ببطء، ورأيت الحزن على وجهه، فوقفت وعانقته. بعد دقيقة، فتح الباب ودخلنا أجمل منزل مزين رأيته في حياتي، فيه سجاد فارسي يغطي أرضية خشبية لامعة جداً، وأثاث يبدو كأنه مستوردٌ من كل مكان في أنحاء العالم. نظرت إلى جيم، ولكن لا يبدو عليه أنه لاحظ أي شيء من هذا. لا أعرف حقاً لماذا نحن هنا، ولكني أتصور أنه ربما يمكننا أن نجد شيئاً ما يخبرنا لماذا قُتِل. مشينا بسرعة عبر الغرف الثلاث في الطابق الأول، لم نر أي شيء خارج

عن المألوف. يبدو أن لا أحد يعيش هنا، المكان نظيف جداً، ولكن هناك بعض اللمسات الشخصية هنا وهناك. رأيتُ صورةً على الرف فوق الموقد لبريان مع اثنين آخرين لا بد أنهما والداه. أشرتُ إلى جيم نحو الصورة واتفقنا أن نجد مكان إقامتهما لنخبرهما بالأمر. لحسن الحظ، لدي في العمل قائمة بأسماء الطوارئ الخاصة به. صعدنا درجاً صغيراً. توجد غرفتان في الطابق الثاني. الغرفة الأولى التي دخلناها لا بد أن تكون غرفة نوم بريان، لأن فيها سريراً صغيراً، أغطيته مرتبة. بحثنا في غرفته لدقيقة، ولكننا لم نجد أي شيءٍ مثيرٍ للاهتمام.

«شيلدون، عليك أن تأتي لترى هذا». خرجت من الغرفة ودخلت باب الغرفة المجاورة حيث يقف جيم. شعرتُ بأن أنفاسي تكاد تنقطع. كان هناك على الأقل ثلاثون حاسوباً، خليط من الحواسيب المحمولة والحواسيب المكتبية موزعة في أرجاء الغرفة الصغيرة، ما يجعل السير فيها شبه مستحيل، وكل واحد منها محطم إلى أجزاء. يبدو كأن أحدهم قد أخذ مطرقةً ثقيلةً ودمر شاشة ومعالج كل واحدٍ منها.

«باعتقادك ما الذي حدث هنا؟»

«أعرف أن بريان لا يفعل هذا. لمَّا أتيت إلى هنا من قبل كان المكان في حالة فوضى ولكن لم يكن هناك شيء مكسورٌ أو محطمٌ». مرَّرتُ أصابعي على القطع المكسورة من الحاسوب الذي كان إلى جانبي.

«لماذا يملك العديد من الحواسيب هنا؟» نظرت في أنحاء الغرفة بدهشة من كمية الأجهزة التقنية الموجودة فيها.

«أنت تعرف بريان. إنه يحب الحواسيب. لماذا جميعها محطمة؟ ماذا يحدث هنا شيلدون؟»

«أعتقد أن هناك من يحاول إبقاءنا بعيدين عن اكتشاف ما يحدث. يجب أن نرى إن كان أحد هذه الأجهزة لا زال يعمل». بدأنا نحاول تجميع القطع المختلفة للحواسيب مع بعضها، ولكن بعد عدة ساعات توصلنا إلى أنها جميعها قد دُمِّرَتْ تماماً.

«يبدو أن المغناطيس قد استُخْدِمَ أيضاً». أومأت برأسي.

«علينا أن نستمر في البحث. لا بد من وجود شيءٍ ما هنا». بحثنا في الغرفة لبعض الوقت، ولكن لم يكن هناك أي شيء. أعطاني جيم سواقة للأقراص المرنة من أحد الحواسيب.

«يجب أن نحتفظ بهذه كتذكارٍ منه». قلبتها بين يدي. «أنا دهش لأنه لم يكن يحمل هذه معه في العمل». نظرتُ إلى مكتب بريان، الذي يتناقض تماماً مع منزله. رأيتُ العديد من سواقات الأقراص المرنة متناثرةً حوله. جلنا مرَّة أخرى في أرجاء المنزل لنتأكد من أننا لم ننسَ أي جزءٍ منه ثم خرجنا. أوصلني جيم إلى المنزل بسيارته. وصلت إلى المنزل ولكن الشخص الوحيد الذي رحّب بي كان باستر، يبدو أن الآخرين جميعهم نائمون. وضعت السواقة وأمسكت بسلسلة باستر، ولكني توقفت فجأةً. هناك شيء مختلف في هذه السواقة. لا أعرف كيف لم ألحظ هذا من قبل. قفز باستر أمامي وسحبني باتجاه الباب، ولكنني تجاهلته. التقطت السواقة وضغطتُ الزر الذي يُخرِج عادة القرص من الداخل، ولكن بدلاً من ذلك فُتِحَتْ السواقة وكان في داخلها ورقةٌ صغيرةٌ ومفتاحٌ.

الفصل الرابع والعشرون

استيقظت على صوت طرقٍ عالٍ على الباب. نظرت من النافذة فرأيت ستانتون في الخارج مع ضابطين بالزي الرسمي. فتحتُ الباب بسرعة.

«صباح الخير سيد سميث، هل يمكننا الدخول؟» فتحت الباب وسمحت لهم بالدخول. أعطاني ورقة صغيرة. «لدينا أمر بتفتيش منزلك للبحث عن غطاءٍ مشابهٍ للغطاء الذي وضعتْ عليه جثةُ بريان».

«ما الذي تتحدث عنه؟»

«أنا آسف لأني مضطر لفعل هذا، ولكننا يجب أن نكتشف كل شيء. يجب أن ينتهي هذا». أومأت له ورأيتهم وهم يتوجهون إلى الكراج. «قتل صديقك بطلقة واحدة في الرأس. كما تعلم كان هناك كثير من الدماء، ولكن الغريب في الأمر أنه لم تكن هناك قطرة واحدة على سيارتك». بقيت عيناي مثبتتين على باب الكراج

حيث سمعتُ رجال الشرطة يبحثون في أغراضنا. «اجلس أرجوك». أشار إلى الأريكة. الأريكة نفسها التي أمضينا أنا وميشيل ساعاتٍ عليها بانتظار تومي. «سأكون صريحاً معك سيد سميث». نظرت إلى الساعة، إنها الثالثة صباحاً. «هناك فرضيتان لما يحدث هنا. نصف ضباط الشرطة مقتنعون بأنك متورطٌ في كل ما يحدث، والنصف الآخر مثلي أنا، مقتنع بأنك مجرد ضحيةٍ. إننا نتعرض لضغوطٍ كثيرةٍ لإنهاء هذا. شهدنا في الأسبوعين الماضيين جرائم أكثر مما شهدناه في خمس سنوات، لذلك صراحةً نحن نتلقى ضغطاً كبيراً من المجتمع». نظرت إلى الأسفل إلى قدمي. «لذا إن كان هناك شيءٌ لم تخبرني به، فربما الآن هو الوقت المناسب». وضعت يدي على رأسي.

«لا يوجد شيءٌ آخر. لقد أخبرتك بكل ما أعرفه». لا أصدق كيف خرج الكلام من فمي بهذه السهولة.

«وجود بصماتك في مسرح الجريمة حتماً لا يساعدك. السبب الوحيد الذي جعلهم لم يستجوبوك بعد هو أني أخبرتهم بأنك غير متورط في هذا، ولكني أريد منك أن تخبرني إن كان هناك شيء آخر، وأعتقد أن كلينا يعرف أنه يوجد». أومأت برأسي نافياً.

«اسمع، خُطِف ولده، وقُتِل أخوه والآن أحد الشبان الذين يعملون معه وُجِدَ مقتولاً في سيارته. أعتقد أنه مرّ بما يكفيه، ألا تعتقد ذلك أيضاً؟» رأيت ميشيل تقف أمام ستانتون.

«أوافقك الرأي. لقد مررتُم جميعكم بما يكفي، ولكن بعض الأمور لم تتوضح بعد وعلينا أن نجمع النهايات كلها مع بعضها. إن لم أفعل هذا فسأكون كأني لم أفعل شيئاً، ولم أؤدِّ عملي».

«فقط أرجو منك ألا تضغط عليه. تذكر أنه خرج لتوه من المستشفى». جلست إلى جانبي ووضعت ذراعها حولي. حركنا رأسينا باتجاه باب الكراج، كان رجلا الشرطة يحملان غطائين.

«إنهما نفسه أيّها المحقق». وقف ستانتون وأمسك أحد الغطائين ونظر إليّ مباشرةً.

«هل من تفسيرٍ لهذا؟» أجبته بلا.

«أنا متأكد من أنه نفسه ككل شيءٍ آخر. أحدهم يحاول أن يجعلني أبدو مذنباً».

تبع ستانتون الضابطين إلى الخارج، ووقف على الباب ونظر إلى الخلف.

«أنا متأكد من أنني سأعود. وجود الغطاء يضع المزيد من الناس في مقدمة قائمة المتهمين. آمل أن تكون مستعداً للكلام قريباً. أنت تؤذي نفسك فقط سيد سميث بعدم إخبارنا كل شيء». بعد أن أغلق الباب، شرحت لميشيل عن الغطاء وما حدث في منزل بريان. عانقتني وصعدنا إلى الطابق العلوي. أخرجت الورقة الصغيرة من جيبي، وقرأت العنوان مرّاتٍ ومرّات. لم أعد قادراً على العودة إلى النوم، لذلك بحثت عن العنوان في محرك البحث «غوغل» ووجدته. إنه يبعد عن هنا مسافة ساعةٍ إلى الجنوب في شارع ٢٩. يبدو أنه منطقةٌ ريفيةٌ جميلةٌ، على الرغم من أنه من الصعب أن تراها لأن الصور على «غوغل» ليست واضحةً كثيراً، لكنه يبدو تنظيماً سكنياً صغيراً. غفوت على الأريكة واستيقظت على لسان باستر الرطب. أخذته أنا وتومي في نزهة إلى الشارع. إن الوقت باكر ولا أحد في الخارج، لذا لا أعتقد أن أحداً سيزعجنا. حافظتُ على تومي قريباً مني قدر الإمكان. ولم نتحدث عما حدث معه. لم يفعل أي منا هذا قط. إنه أمرٌ مؤلمٌ جداً، وهو لا يتذكر كثيراً وأنا وميشيل لا نريد أن نتذكر. لا أزال غير قادرٍ على رفع ناظري عنه. لا أزل أنظر إليه وكأنني أراه لأول مرة. لمَّا عُدنا كان والداي ووالدا ميشيل

قد حزموا حقائبهم واستعدوا للعودة إلى منازلهم. ودعنا والدي ميشيل، وذهبت أنا وتومي مع والديّ إلى المطار. لم نخرج من السيارة لذلك لم يتعرف أحد إلى تومي. قررنا أن نتوقف في ملعب البيسبول ونلعب الكرة. أمضينا عدة ساعات نضرب الكرات ونمسكها. ركض تومي على القواعد عدة مرات، وسألني متى يمكنه البدء في اللعب مجدداً، فأخبرته بأنني سأتصل بالمدرب عندما نصل إلى المنزل، أخيراً أعدْتُه إلى المنزل. وانطلقت إلى حيث يجب أن أذهب. برمجت العنوان بسرعة على جهاز تحديد الموقع GPS واتبعت التعليمات. لا أعرف ما سأجد، ولكني أعرف أنه عليّ أن أذهب. قررت أن أتوقف في الإكسندريا لأزور الصديقة الجديدة الثرية، ماري. ركنتُ السيارة أمام مكتب الجمعية الخيرية العائدة لها فرأيتها تجلس في الداخل. تبدو بمفردها. طرقت الباب فسارت نحوي بفضول، يبدو أنها عرفتني عندما اقتربت أكثر، تبدو مترددةً في فتح الباب.

«أهلاً، ماذا يمكنني أن أفعل لأجلك؟ كنت هنا قبل أيام قليلة تسألني عن أبناء هاريس، صحيح؟» أومأت برأسي. «لم أسمع أو أر أي إشارةٍ منهم». كانت تمسك بالباب المفتوح.

«هل يمكنني أن أدخل؟» نظرت إلى الخلف، إلى المكتب، ثم خطت جانباً وسمحت لي بالدخول. دخلت ولم أر أي شخص آخر في الداخل. «هل يوجد أحد هنا؟» أومأت برأسها بـ لا. «أردت أن أخبرك أنك ربما تكونين في خطر». نظرت إليّ باستغراب.

«ماذا تعني؟»

«دوغلاس سورينسون مات». لا أصدق أني قلت هذا طالما أنا الشخص الذي قتله.

«ماذا؟ مات دوغ. كيف؟»

«في الحقيقة قُتل بعيارٍ ناريٍّ في منزله». يبدو كلامي غريباً جداً. رأيت الانفعال يعلو وجهها.

«يا إلهي! رحل دوغ. لا أصدق هذا. لقد كان رجلاً رائعاً. ماذا عن أسرته؟»

«إنهم جميعاً بخير. أعتقد أنهم لم يكونوا في المنزل». اتكأتْ على مكتبها.

«تمهل قليلاً. لماذا تخبرني بهذا؟»

«اعتقدت أنه يجب أن تعرفي. خاصةً بعد أن أخبرتني أن أموالك ستعود إليه إذا حدث لكِ شيءٌ ما». جلست على طاولة المكتب ومسحت دموعها بأكمامها.

«هذا ليس صحيحاً تماماً. لا تعود له فعلياً، بل تتحول إلى وديعةٍ يكون هو مسؤولاً عنها، ولكن شكراً لك على لإخباري لأن هذا الأمر حتماً سيغير كل شيء. أعتقد أنني التالية».

«ربما عليكِ أن تختبئي حتى يتبيّن كل شيء لك». راقبتها وهي تنظر إلى مكتبها.

«هذه هي المشكلة. لا أعتقد أنه يمكنني أن أكتشف كل شيء. دوغ كان مسؤولاً عن كل شيء. في الحقيقة، كان مسؤولاً عن استثمار المال والحفاظ عليه، وعن الجمعية الخيرية أيضاً. لا أعرف ماذا سأفعل الآن». وضعتُ ذراعي حولها واتكأتْ على كتفي. «لم يعمل أيَّ شيء مع الشركة التي يعمل معها، فعل كلَّ شيءٍ بمفرده».

«يجب أن يكون هناك حرّاس آخرون». أبعدتني عنها ومشت إلى أمام المكتب.

«لا يوجد أي أحد. كان علينا أن نُبقيَ كل شيءٍ سريّاً لأنني كنت أعرف أن أولاد هاريس سيتتبعونه عاجلاً أو آجلاً».

«إن كنت لا تمانعين بالسؤال، ما نوع المال الذي نتحدث عنه؟» توقفت ونظرت إلي نظرة قاسية.

«قرابة خمسين مليوناً»، أومأت برأسي.

«كيف لم يحصلا على أي شيءٍ منه؟»

«لأنهما حثالة، لهذا السبب... كلاهما، أتمنى أن أراهما يموتان ميتةً شنيعةً». راقبتها وهي تضرب قبضتها بعنف على المكتب. «يجب عليّ أن أذهب. لدي عمل أعمله». سارت بسرعة نحو الخلف إلى المكتب الذي تحدثنا فيه المرة الماضية. وقفت ورأيتها تختفي فخرجتُ من الباب الأمامي وعدت إلى سيارتي. انطلقت وشغلت جهاز الـ GPS. قادني إلى غرب الإكسندريا، وأخيراً إلى شارع ٢٩ جنوباً. تبعت الطريق ما يقارب الساعة حتى تلقيتُ أمراً من الجهاز بأن أتجه نحو اليمين. غيرت مساري فشعرت حينها أني أسافر عبر الزمن. يبدو كل شيءٍ هنا كأنه بُني منذ مئات السنين. كانت هناك مزارع ريفية قديمة، وإسطبلات فيها أبقار وأحصنة تركض حولها. لا أصدق أن جهاز تحديد المواقع GPS يحوي معلوماتٍ عن هذه المنطقة. تابعت طريقي حتى تلقيت أمراً آخر بأن أتجه نحو اليسار. ذُهلتُ عندما دخلتُ منطقةً سكنيةً

صغيرةً فيها منازل صغيرة مؤلفة من طابق واحد، وتبدو أكثر حداثةً من الأبنية المحيطة. لا أعرف ما الذي أتوقع أن أجده أو ماذا سأفعل، ولكن أعتقد أنني أدين بهذا إلى كل أولئك الأشخاص الذين فقدوا حيواتهم منذ أن خُطِفَ تومي وحتى وجدته، خاصةً بريان طالما أنه هو من كان لديه هذا العنوان مخبأً. دخلتُ شارعاً صغيراً فيه عدة منازل فقط، أصابتني الدهشة عندما مررتُ أمام منزلٍ أزرقَ صغيرٍ وقفتْ أمامه شاحنتان مزودتان بأجهزة استقبال، فصرخ جهاز تحديد المواقع الـ GPS «وصلت إلى غايتك». توقفت أمام المنزل وخرجت من السيارة، إنها سيارة صغيرة، لذلك تمكنت من البقاء متخفياً بعض الشيء في المنطقة. دخلت الممر متجاوزاً الشاحنتين الضخمتين ومشيت في الممر الجانبي. لا أعرف لماذا ولكني طرقتُ الباب. شعرت بقوة غير خارقة تجبرني على ذلك. بعد دقيقة، فتحَ لي الباب رجلٌ ضخمٌ ذو لحيةٍ يضع حلقةً ذهبيةً براقةً في أذنه ويمسك زجاجة من الجعة من نوع «بودوايزر».

«ماذا تريد؟» لم يكن لدي أي جواب مسبق، لذلك حدقت فيه وأنا لا أعرف ما أفعل.

«أنا ضائع. هل يمكنني أن أستعير هاتفك؟» نظر إلي واقترب مني. فرجعتُ خطوةً إلى الوراء.

«ألا تملك هاتفاً خلوياً؟» نظرتُ إلى سيارتي.

«لا توجد إشارة».

«ما الذي جعلك تعتقد أن لدي هاتفاً؟ هل يبدو هذا المكان مكاناً عاماً؟» اقترب مني أكثر فتراجعت ببطء. أومأتُ. حدق بي لدقيقة طويلة. «انتظر لحظة، هل أعرفك؟»

«لا أعتقد ذلك. أنا لست من هذه المنطقة». أشعر أن جبيني يتصبب عرقاً.

«هل أنت متأكد؟» استدار ودخل المنزل. بعد دقيقة، ظهر ومعه رجلٌ آخر. إنه أقصر منه بقليل، ولكنه أعرض بكثير، يرتدي قبعة بيسبول بالمقلوب، شعره بني مجعد قذر بارز من الأمام. «هل نعرف هذا الرجل؟» رأيته يتفحصني.

«ربما يكون أحد أصدقاء "D". يبدو مألوفاً حقاً. ماذا تريد؟»

«أريد فقط أن أستعير هاتفك لأتصل بزوجتي». استدار ودخل المنزل. «عشرة دولارات وأجر مكالمتك بسرعة». أخرجت ورقةً

نقديةً من فئة العشرة دولارات وأعطيته إياها. وضعها في جيبه بسرعة، ودخلا المنزل فتبعتهما. دخلنا غرفة صغيرة، فيها شاشة تلفاز مسطحة كبيرة، وأريكتان ممزقتان، وبطانيات خشنة قديمة عليها. لم يكن هناك كثير من الأثاث في الغرفة باستثناء رف للكتب وطاولتين وضِعَ عليهما كيسان مفتوحان من الشيبس. رأيتُ علب الجعة مكدسة في المطبخ، والأطباق والأكواب الفارغة في كل مكان. جلسا على الأريكة وحدقا بالتلفاز. وقفت في الممر في حين تجاهلا وجودي. أخيراً، وبعد دقائق عدة، رفع الرجل الثاني نظره إلي.

«استخدم الهاتف الموجود في تلك الغرفة، فلا أكون مضطراً للنظر إليك». أشار إلى مدخلٍ مغلقٍ في المطبخ. دخلت المطبخ الصغير بحذر وقفزت فوق صندوقٍ صغيرٍ وإناء للماء أكبر بكثير من أن يكون مخصصاً لقطة. أنا متوترٌ قليلاً من فتح الباب، ولكني فعلت هذا ببطء. وأنا على وشك دخول الغرفة شعرت بأن جسدي تعطل، كل عصب في جسدي كان ينبض وأنا أدخل الغرفة، لا أصدق هذا، كيف وصلت إلى هنا؟ حاولت أن أهدئ نفسي. فاختلست النظر إلى الخلف فرأيتهما لا يزالان يجلسان على الأريكتين. أشعر بالصدمة مما أراه، لدرجة

أني لم أسمع صوت هرير كلب (German Shepherd Dog)[1] خلفي. استدرت بسرعة وأغلقت الباب قبل أن يدخل الغرفة. يمكنني سماعه يحك ببراثنه على الباب، ولكني تجاهلته وأخرجت هاتفي والتقطتُ العديد من الصور قدر ما أستطيع. أنا أقف في الغرفة نفسها التي كان تومي محتجزاً فيها.

(١) German Shepherd Dog: سلالة كلاب تأخذ اسمها من بلدها الأصلي ألمانيا. يُسمى بالعربية «كلب الراعي الألماني» ويُعد أفضل كلاب العالم في التعلق بالإنسان وإخلاصه له.

الفصل الخامس والعشرون

أنا هنا منذ خمس دقائق. وجدت الهاتف واتصلت برقمٍ خطأً احتياطاً. أسمع صوت الكلب الألماني في الخارج، لذلك أنا خائفٌ قليلاً من فتح الباب. لا أصدق أنني في الغرفة نفسها التي كان تومي محتجزاً فيها. الأثاث مرتب تماماً كما كان عليه في مقطع الفيديو. لا توجد أي نوافذ. أدرت مقبض الباب بهدوء وشرعتُ أفتحه، ولكني أغلقته بسرعة عندما رأيت الكلاب يسيل لعابها وتختلس النظر من شق الباب. لا أعرف ماذا أفعل، أشعر أني محتجز وأتساءل إن كان أحدهم قد نصب لي فخاً، وهل يعرفون من أنا. صرخت مرات عدة طلباً للمساعدة، ولكني لم أسمع سوى صوت مخالب كلاب الشيبارد الألمانية وهي تثب على أرض المطبخ، تابعتُ الصراخ طلباً للمساعدة وأخيراً سمعت صوت خطى أقدامٍ مختلفة عن خطى الكلب.

«ممَّ أنت خائف؟ لن يعضكَ». فُتِح الباب بسرعة، الشيء التالي الذي أعرفه أنني كنت مستلقياً على ظهري، وقائمتا الكلب على صدري.

«أبعده عني». شعرت بلعابه يسيل على وجهي. «أبعده عني الآن».

«أخبرتك أنه لن يعضك». قال الرجل الآخر الذي كان يقف عند الباب ضاحكاً.

«مخالبه تنغرس في جسدي. أبعده عني».

«عشرون دولاراً وسأناديه حالاً». أصبح الرجل الآخر خلفه الآن. كانا يضحكان بطريقةٍ جنونية.

«حسناً. أياً يكن. فقط أبعده عنه». بعد دقيقة، سمعته ينادي الكلب، وأخيراً نزع مخالبه عني وابتعد. جلست بهدوء وفركت صدري وبطني. رأيت بضع قطرات من الدم على قميصي. وقفت وأخرجت محفظتي وأعطيتهما عشرين دولاراً، ولكنهما لم يبتعدا عن مدخل الغرفة.

«هذه العشرون دولاراً لكلينا معاً». أومأت، وأعطيت الرجل الآخر ذا اللحية عشرين دولاراً وانطلقت بسرعة خارجاً من الباب. مشيت بسرعة نحو سيارتي وانطلقت. رأيت أحد الرجلين يقف عند الباب الأمامي ويلوح لي. فأدرت رأسي وتابعت طريقي

من دون أن أنظر إلى الخلف. بعد ساعة ونصف توقفت في مدخل منزلنا، وتوقفت عن الارتجاف أخيراً.

«شيلدون، ماذا حدث لك؟» نظرت إلى قميصي، كانت الدماء قد جفت.

«هاجمني كلب." وضعت ميشيل ذراعها حولي.

«أرجوك كن حذراً». شرحت لها ما حدث. لم تصدق أنني كنت في المكان نفسه الذي كان تومي محتجزاً فيه. «هل ستخبر الشرطة بهذا؟»

«لا أستطيع، سيعرفون عندها أنني متورط في الأمر». أومأت برأسها موافقةً إياي الرأي.

«ماذا ستفعل؟»

«لا أعرف. لا يمكنني أن أدعهم ينجون بفعلتهم هذه». سمحت لي بالمرور.

«ألا يمكنك أن تدع هذا الأمر؟ لقد استعدنا تومي، شيلدون. هذا كل ما كان يهم في الأمر. أنت قلت هذا بنفسك». دخلنا المطبخ وخلعت قميصي. أمسكت ميشيل بسرعة منشفة مبللة وبدأت تنظيف الدم عن جسدي.

«أتمنى لو أستطيع، ولكن بعد ما فعله بلورانس وبريان وأولئك الأطفال، يجب أن أكتشف على الأقل مكان وجوده».
اندفعت إلى صدري بقوة.

«لا أريدك أن تتأذى».

«أعرف، ولكنه أخذ تومي وجعلني أفعل ما فعلته بسورينسون. هذا ليس عدلاً». أومأتْ. «من يعرف ماذا سيفعل ستانتون؟ من الممكن أن أكون في السجن الأسبوع القادم على أي حال».

«لا تقل هذا. تذكر ما أخبرتك به، سنفعل أي شيء لكي لا يحدث هذا». جلست إلى الطاولة وشربت كثيراً من الماء. دخل تومي المطبخ، وأخبرناه أنا وميشيل أنني قد وقعت. لا يبدو أنه قد لاحظ أي فرق، لذلك تركنا الأمر عند هذا الحد. ارتديت قميصاً آخر وأخذت باستر في نزهة، يبدو أنه لا يريد أن يبتعد عني هذه المرة أيضاً، يجب أن أستمر في المشي إلى مكان العشب لأجعله يبتعد عن الطريق العام. قطعنا نصف المسافة لمَّا بدأ هاتفي يهتزُّ. إنه «رقم خاص». نقرت على الرسالة وفتحت الرابط. توقفت فوراً، ما جعل باستر ينبح. شاهدتُ مقطع فيديو داخل منزل سورينسون. شاهدت نفسي عندما أخرجت المسدس وضغطت على الزناد،

رأيت الانفجار الصغير وسورينسون يتهاوى. أغمضت عيني جيداً قدر ما استطعت، ورأيت عيني سورينسون الميتتين تنظران إليّ مجدداً. أشعر أني أريد الصراخ. أغلقت الرسالة بسرعة، لحسن الحظ فقد حُذفَتْ مباشرةً. جلس باستر عند قدمي ونظر إليّ وهو يهزّ ذيله. انحنيت ومسحت على ظهره. أشعر بأني تجمدت. لا أصدق ما رأيته. بعد دقيقة، بدأ الهاتف يهتز مجدداً. أجبت عنه وأنا أعرف من المتصل.

«شيلدون... شيلدون... شيلدون... ماذا تفعل، تتجسس في الجوار؟ اعتقدتُ أننا أنهينا عملنا». نظرتُ إلى باستر، لم يتحرك. عيناه مثبتتان علي. «رأيت ما حدث لصديقك المسكين، لا أريد أن يحدث لك شيء كهذا أو حتى أسوأ من ذلك إذا ما انتهى مقطع الفيديو الصغير الذي رأيته بين يدي الشرطة».

«أنا لا أفعل أي شيء».

«أعتقد أنها كانت مجرد مصادفة أن تصل إلى المكان نفسه الذي كانت ممتلكاتك محجوزة فيه. أنا متأثر حقاً لأنك تمكنت من إيجاده. كيف كان شعورك؟ تريد أن تستخدم الهاتف، هاه؟ قد تنجح هذه الحيلة مع ذلك الثنائي الغبي، ولكن لا تقلق فقد تدبرت أمرهما».

«هل قتلتهما أيضاً؟» خطوتُ خطوات عدة على العشب.

«دعنا نقُل إني انتهيت من أمرهما فقط. كيف حال ممتلكاتك، هل تأقلم مع مكانه الصحيح؟ أتمنى أن تكون كل أموره بخير. أفهم سبب رغبتك في الوصول إلي، ولكن لا يمكن الوصول إليّ شيلدون، لذلك أرجوك لا تقحم نفسك في هذا فأنت لا تزال تملك حريتك».

أخيراً ابتعد باستر عني عدة خطوات ومشى على العشب. «أعرف أن صديقنا المحقق يحاول أن يثبت تورطك في ما يحدث وأكره أن أضيف له سبباً لذلك لأننا عقدنا صفقةً بيننا، ولكن إذا أصررت على ما تفعله فسأكون سعيداً، أكثر من كوني مجبراً، بأن أقدم له هذا المعروف». أبعدتُ الهاتف عن أذني وأردت أن أتحدث، ولكنه رحل. وضعت الهاتف في جيبي وعدتُ إلى المنزل. في اليوم التالي، استيقظت باكراً وانطلقت بالسيارة جنوباً لساعة ونصف الساعة. لمَّا وصلتُ إلى تنظيمٍ سكنيٍّ صغيرٍ أدركت أن أمراً سيئاً حدث هنا. هناك كثير من سيارات الشرطة في كل مكان والشريط الأصفر الخاص بمسرح الجريمة يلف ساحة المنزل الذي كنت فيه بالأمس. أريد أن أسألهم عن الكلب، ولكن آخر

ما أحتاجه الآن هو إثارة المزيد من الشبهات حولي. قررت أن أعود إلى عملي اليوم. لا أعرف ما سأفعل أو كيف سأعود إليه، ولكني أعتقد أني في حاجة لأعود إلى حياتي الطبيعية على الرغم من كل ما حدث. سيبدأ تومي مدرسته اليوم، أعتقد أنه متحمس للعودة. تحدثتُ أنا وميشيل معه ومع مدرسيه عمّا يمكن توقع حدوثه. عرفنا أنَّ الشرطة وافقت على إبقاء شرطيٍّ في المدرسة لعدة أسابيع لنتأكد من أن كل شيءٍ آمن. ركنتُ السيارة في موقف سيارات مكتبي ودخلتُ من الباب الخلفي. لا أذكر آخر مرّة كنت فيها هنا. يبدو هذا منذ وقتٍ طويلٍ وغير مهم الآن. توجهتُ إلى مكتبي فرأيت الباب مفتوحاً قليلاً. عادةً أنا أقفله بسبب المعدات الحساسة التي أعمل عليها. دهشتُ عندما دخلتُ المكتب ووجدتُ جيم يجلس إلى مكتبي، إنه يستخدم حاسوبي.

«صباح الخير شيلدون».

«مرحباً جيم، ما الجديد» جلست على كرسيٍّ مقابل المكتب. في البداية تساءلت إن كان جيم قد ترقى في الأيام القليلة الماضية وأخذ مكاني، ولكنه عندها أخرج قرصاً مرناً. يبدو مثل الأقراص التي كان بريان يستخدمها في حاسوبه.

«بحثتُ في كلِّ أغراض بريان فوجدتُ هذا». رفع بيده قرصاً مرناً أزرق. «وحاسوبك هو الأسهل استخداماً لتشغيل نظام هذه الأقراص». اقتربتُ.

«هل وجدتَ أي شيء؟»

«لستُ متأكداً». اقتربتُ من المكتب ووقفت أمام شاشة الحاسوب. وضع جيم القرص في السواقة وبعد دقيقة نقر على ملفٍ نصيٍّ. لا أصدق ما أراه. إنها سلسلة من الرسائل الإلكترونية المتبادلة بين شخصين. جفلتُ عندما قرأتُ الرسالة الأولى، كانا يتحدثان عن موعدٍ في ملعب البيسبول بعد جريمة قتل سورينسون، وعن استخدام عقار يمحو الذاكرة. لحسن الحظ، لم يُذكر في الرسالة أنني القاتل. «ما كل هذا؟ لا بدّ أنه مهم لأنه كان يخبئه في علبة الأقراص الجديدة ولا أحد يستخدم هذه الأقراص أبداً، خاصةً بريان».

«كيف وجدتها؟»

«كنت أظن أنه لا بدّ من وجود سببٍ لقتله. أنت تعرفه». أومأت ونظرتُ إلى الشاشة مرة أخرى. قرأت الرد الأول، كان يتحدث عن خطف ماري والتخلص منها بعد الحصول على

المال. نظرتُ إلى جيم. كانت عيناه مثبتتين على الشاشة تحتي. هناك عنوانٌ آخر مذكور. إنه في Mclean, Virginia. أتساءل إن كان هذا منزل والدتهما. لا أصدق كيف وصل بريان إلى هذا. وصلا في حديثهما إلى مناقشة ما الذي سيفعلانه بالمال. هناك حديث عن عطلٍ في جزر الباهاما والاستمتاع بحياة الرفاهية.

«هل هناك من طريقةٍ لاسترداد هذه المحادثات؟»

«ماذا تعني؟» نظرتُ إلى الشاشة وراقبت جيم وهو يُخرج القرص من مكانه.

«أعني هل تعتقد أنه بإمكانك أن تخترق هذه الحسابات الإلكترونية؟» وقف وفصل السواقة عن حاسوبي.

«لستُ متأكداً. سأحاول. ربما لدي معلوماتٌ كافية للوصول إلى كلمات المرور. لدي العناوين أيضاً». نظر إليّ. «ألا تعتقد أن علينا أن نخبر الشرطة؟ أعني أنهما هنا يتحدثان عن جريمة قتلٍ. ربما يكون لهذا علاقةٌ ببريان».

«في الحقيقة سنفعل، ولكني أعتقد أننا ندين إلى بريان بأن نكتشف الأمر كله أولاً». يبدو أنه اقتنع بهذا.

«سأستمر في البحث بين أغراضه لأرى إن كان هناك أي شيءٍ آخر».

«أرجوك أخبرني إذا وجدتَ أي شيءٍ آخر». رأيته يغادر مكتبي. اتصلتُ بالمنزل وتحدثت إلى تومي وميشيل وتمنيت لهما يوماً ممتعاً. يبدو سعيداً وواثقاً بعد عودته إلينا. أمضيتُ بقية النهار وأنا أفكر في كل ما حدث. قررتُ أن أغادر باكراً. وتوجهت مباشرةً إلى منطقة الإكسندريا وذهبتُ إلى مكتب ماري. رأيتُ فيه الموظفتين اللتين رأيتهما من قبل. اقتربت إحداهما مني.

«أنت الشخص الذي أتى لرؤية ماري في المرة السابقة، إنها ليست هنا. لم تأتِ إلى هنا اليوم. حاولنا أن نتصل بها ولكنها لم تجب». أشعر أن نبض قلبي يتسارع.

«هل لديك عنوان منزلها؟» نظرتْ إلى الأسفل.

«لا يمكنني أن أعطيك إياه».

«أعرف، ولكنها قد تكون في خطر. سيكون من المفيد أن أطمئن عليها».

تلعثمت لدقيقة ثم أومأت برأسها وأعطتني ورقةً صغيرةً عليها العنوان. فقدْتُ توازني عندما قرأتُ العنوان. إنه العنوان

نفسه الذي رأيناه في الملف الذي وجده جيم. شكرتها وأسرعت إلى الباب.

بعد فترة، وصلتُ إلى شارعٍ يبعد ميلين شرق تايسون كورنر "Tyson Corner" في ماكلين "Mclea". إنه حيٌّ راقٍ جداً. مساحة أبنيته كلها أكثر من خمسة آلاف متر مربع، وفيها كراج متعدد للسيارات. وقفت أمام مستعمرةٍ قرميديةٍ ضخمة. لا توجد سيارات في الممر ويمكنني القول إنّ كل الأضواء مطفأة. لا يبدو أنه يوجد أحدٌ في المنزل، وليس لدي فكرة إن كانت تعيش مع أحد أو أنها تقيم في هذا المنزل الكبير بمفردها. أنا لا أعرف كثيراً عنها. أتمنى فقط ألاّ أكون قد تأخرتُ كثيراً في تحذيرها وألا يصلا إليها قبلي. خرجتُ من سيارتي ومشيتُ بهدوءٍ في مدخل المنزل حتى وصلتُ إلى بابٍ ريفيٍّ مزدوج ملوّن بدأت أطرقُ عليه. بعد عدة دقائق، استسلمت وقررتُ أن أتجول حول المنزل وأنظر من نوافذه. لا أعرف ما الذي أبحث عنه ولكني على الأقل أشعر أن عليّ أن أفعل ذلك، ولم أرَ شيئاً سوى الظلام. تابعتُ تجوالي حول المنزل حتى وصلتُ إلى الباحة الخلفية، وسمعتُ نباح كلبٍ من بعيد، ولكن المنازل بعيدة جداً عن بعضها فلم أعرف أين هو. تبدو

الباحة الخلفية كأنها ساحةٌ كبيرة خضراء ملونة محاطة بشجر القرانيا التي تشعرك بأنك في كهفٍ أخضر. يوجد سياج عشبي صغير على طول الساحة حيث يلتقي العشب بالشجر. إلى اليسار، هناك قسمٌ من المنزل يمتد إلى الخلف، كأنّه غرفة للاستجمام فيها قطع من الأثاث الملون الزاهي تملأ الغرفة. اقتربت وألقيتُ نظرةً عن كثب فرأيت الباب على الطرف المقابل مفتوحاً على مصراعيه. مشيتُ نحوه، ولم أسمع أي صوت ولكني بقيت أقول «مرحباً» في حال كانت هي في الداخل، ولكن لا جواب. أنا متردد قليلاً في دخول الغرفة. لا أريد أن أدخل من دون إذن، ولكنّ قدميَّ قادتاني إلى الداخل وهما تقنعانني أن هناك شخصاً ما في خطر فتابعت طريقي. صعدتُ درجتين ودخلتُ غرفةً دافئة مزينة بألوان خضراء مزرقة زاهية، وأثاثٍ من الخيزران عليه وسادات ملائمة، كان لها تأثير مريح جداً علي. تابعتُ قول «مرحباً»، ولكن لا جواب. كل شيء يبدو هادئاً بشكلٍ غريب. قررتُ أن أستمر في الدخول. أدرتُ مقبض الباب الذي يبدو أنه يؤدي إلى المنزل الأساسي وأنا متأكد من أنه مفتوح. دخلت، يمكنني القول مباشرةً إنه منزل طبقةٍ راقيةٍ جداً تفوقُ طبقتي بكثير، يبدو كالمتحف، فيه مقتنيات أثرية في كل

مكان من الساعات إلى الكراسي. مشيت بحذر بين كل تلك الأشياء لكي لا أوقع أياً منها. تابعتُ إلقاء التحية، ولكني بالمقابل لم أسمع أي شيء. أعتقد أني سأجد جثتها ملقاة على الأرض كما في أفلام الرعب، لذلك كلما نظرتُ في اتجاهٍ مختلف أحضر نفسي لهذا المشهد. فجأةً جفلتُ عندما اهتزّ هاتفي حتى أدركتُ مَن المتصل. ضغطتُ على زر الرد.

«مرحباً».

«مرحباً شيلدون، أين أنت؟»

كذبتُ وأخبرتُ ميشيل أني غادرتُ مكان عملي للتو. أتمنى لو أني غير قادر على الكذب بهذه السهولة، ولكن يبدو أن كل شيء قد تغير منذ أن اختطف تومي، أو على الأقل هذا ما أقوله لنفسي دائماً.

«هل تومي بخير؟» توقفتُ واتكأتُ على الحائط قرب موقدٍ ضخم له رفٌّ مليء بالمزهريات الصغيرة.

«إنه بخير. أمضى يوماً رائعاً بعد عودته إلى المدرسة. لم أرَه متحمساً هكذا من قبل». تنهدتُ بهدوء. «اتصلتُ بك لأخبرك أن

ستانتون كان هنا قبل قليل، وقال لي إن لديهم شاهداً رآك وشاحنتك أمام منزل سورينسون في الوقت نفسه الذي قُتِل فيه».

«حقاً؟»

«نعم، إنه في طريقه إلى مكتبك. أعتقد أنهم سيخدعونك». فجأةً تذكرتُ ملف الفيديو الذي أرسله هاريس لي. «ماذا ستفعل؟»

«سأخبره الحقيقة. سأقول له إني كنتُ هناك».

«ولكنه سيضعك في السجن».

«سأقول له إنه كان على قيد الحياة عندما غادرت». نظرتُ إلى يساري. أعتقد أني أسمع صوت شيءٍ يخبط ولكني تجاهلته، يبدو صوتاً عادياً. دخلتُ المطبخ ووضعت كوعيّ على المجلى الكبير. فيه موقد مؤلف من أربعة رؤوس، وله حوضان.

«أنا خائفة شيلدون».

«لا يمكنهم إثبات ذلك». فكرتُ في مقطع الفيديو مرةً أخرى. «وإذا تمكنوا من ذلك، فعلى الأقل استعدنا تومي». سمعتُ الصوتَ نفسه مرّة أخرى. هذه المرة يبدو أعلى وأقرب.

«عليّ أن أذهب الآن». لا تزال عيناي إلى اليسار، ولكني لا أرى أي شيءٍ غير اعتيادي.

«أرجوك شيلدون كن حذراً. تذكر أنا أحتاج إليك أيضاً». ودعتها بسرعة ودخلتُ على رؤوس أصابعي من المطبخ إلى غرفة الطعام. اختبأت تحت طاولةٍ ضخمة من خشب الماهوغاني التي تتسع لعشرين شخصاً. لديّ شعور مقلق بأني لستُ وحدي في المنزل. نظرتُ خلفي، أصبح الباب بعيداً جداً لأعود منه لذلك تابعتُ الدخول. دخلتُ غرفةَ جلوسٍ كبيرة فيها شاشة كبيرة وطاولة بلياردو. تابعتُ تجوالي حتى وصلت إلى بهوٍ فيه درجٌ مزدوج أمامي. اخترت الطرف الأيمن منه وبدأت الصعود. لا أزال مقتنعاً أني سأجد جثتها لذلك حواسي كلها متنبهة. وصلتُ إلى أعلى الدرج. توقفت ونظرتُ إلى البهو من الطابق الثاني ورأيتُ أشعة الشمس المتبقية تغيب عبر زجاج النافذة مشكلةً موشوراً كبيراً ملوناً على منتصف أرض البهو. استدرتُ وتابعتُ طريقي نحو الطرف الأيمن من درج البهو. هناك كثير من الأبواب على الجانبين. فتحتُ الباب الأول فوجدت غرفة نوم فارغة. أغلقتُ الباب بهدوء وعدْتُ. توقفتُ فجأةً، هناك شيءٌ يتحرك خلفي، استدرت.

«مرحباً، من هناك؟» وقفتُ في مكاني، لم أتحرك وحبستُ أنفاسي، لا أعرف إن كان عليّ أن أهرب أو أبقى في مكاني. خطوتُ خطوتين نحو الشيء الذي يتحرك. فجأةً ظهر لي رجلٌ من بابٍ على الجهة اليسرى من البهو بعيداً عن الدرج، عرفته فوراً، ولكنَّ عينيَّ كانتا تنظران إلى المسدس الذي بيده وكان يصوبه نحوي.

«حسناً... حسناً... شيلدون، ما الذي جاء بك إلى هنا؟» بقيتُ في مكاني. لا أصدق أني أقف أمامه. «هل تبحث عن صديقتنا الجيدة ماري؟» لم أُجبه. «ذهبت منذ وقتٍ طويل واعتنينا بها جيداً».

«أرجوك لا تؤذِها».

«لماذا هذا الاهتمام المفاجئ بها شيلدون؟» تمسكتُ بالدرابزين.

«أعتقد أنه تأذى ما يكفي من الناس».

«أوافقك الرأي. أعتقد أنني حذرتك مما سيحدث لك إن لم تهتم بشؤونك الخاصة فقط». نظرتُ إلى وجهه، لا توجد أي عاطفةٍ فيه، فقط عيناه الفارغتان تحدقان بي. كان يرتدي كنزة بولو زرقاء فاتحة، وبنطال جينز باهتاً، وشعره كثيف يرفعه عن جبينه، لا

يبدو ذلك القاتل الشرير الذي هو عليه، يبدو كرجل أعمال ذكي ناجح يتجول في منزله، أو كعارض أزياء بملامحه الداكنة. كان يصوب مسدسه إليّ مباشرةً. لا يبعد عني أكثر من خمس أقدام. أرى قدميه تتحركان نحوي ببطء. «أعتقد أنك تأخرت كثيراً شيلدون. لم تأخذ بنصيحتي. ألا توافقني على ذلك؟ كنت أعتقد أنّ صفقتنا انتهت، ولكن من الواضح أني كنتُ مخطئاً لأنك ها هنا الآن تقحم نفسك في شؤوني مرّةً أخرى».

«انظر، أعرف أنَّ هذا كله بسبب مالٍ تريد الحصول عليه. أرجوك فقط دعها وشأنها».

«أنت تعرف إذاً هاه؟ لقد اكتشفت كل شيء، صحيح شيلدون. تظن نفسك ذكياً جداً بقدومك إلى هنا وإيجادي». ضغطتُ على الدرابزين بقوة. «حسناً ماذا ستفعل الآن شيلدون؟ أنا لدي مسدس وأنت تقف أعلى الدرج، سيكون عاراً عليّ إذا وقعت من أعلاه، ألا تعتقد ذلك؟» نظرتُ إلى الأسفل، لا أزال أرى الموشور.

«أرجوك فقط دعها تذهب وأعدك أني سأدعك وشأنك».

«حقاً ستفعل، هاه؟ ولكنك أصبحت تعرف كلّ شيء، لذلك لا يمكنني أن أدعك تذهب وهذا عارٌ عليّ لأني قطعتُ

عهداً على نفسي ألا أتسبب بالأذى لشخصٍ عقدْتُ صفقةً ناجحةً معه. كنا ناجحين، ألا تعتقد ذلك؟»

رأيته يقترب مني خطوةً أخرى. «إذا كان قتل رجلٍ بريءٍ هو ما تسميه عملاً ناجحاً؟»

«أعتقد أني أعطيتك الخيار في أن تضغط على الزناد أو لا».
ضحكت.

«الخيار؟ بعض الخيارات».

«ولكني أعطيتك الخيار أليس كذلك؟ ما جعل القرار خاصاً بك، وأعتقد أنه كان الخيار الصحيح أليس كذلك؟ رأيتُ ممتلكاتك باكراً، يبدو أنه يبلي حسناً في المدرسة». اقتربتُ خطوةً منه، أصبحت المسافة بيننا لا تزيد عن ثلاث أقدام.

«ابقَ بعيداً عنه. لقد عانى ما يكفي. أنا معك الآن. لا حاجة لك به الآن أبداً». شعرتُ بغصةٍ في حلقي.

«اهدأ شيلدون صديقي. لقد أعطيتك وعداً بأني لن أتسبب بأي أذى لممتلكاتك. أردتُ الاطمئنان عليه وحسب». رأيت إصبعه على الزناد.

«لا تطمئن عليه أبداً. دعه وشأنه». رأيتُ ابتسامةً صغيرة ترتسم على وجهه.

«أتعرف شيلدون. أنا أحبك. أنت شجاع. وأحب هذا الأمر فيك».

«أنا لا أحبك. لو لم تكن تحمل ذلك المسدس، لكنت أنا من سيرميك من أعلى الدرج». ضحك.

«ولكنك لا تملك مسدساً الآن أليس كذلك؟» أومأت. «إذاً، هذا هو السؤال: ماذا سنفعل الآن؟» نظرتُ إلى الأسفل مرّةً أخرى.

«أعتقد أن الأمر يعود إليك». ابتسم مرّةً أخرى ورفع المسدس وصوبه نحو رأسي. أغلقتُ عيني، والشيء التالي الذي شعرتُ بِهِ هو صوت اصطدام قوي، وألمٌ حاد في مؤخرة رأسي. شعرتُ بنفسي أقع أرضاً وأصبح كل شيءٍ داكناً تماماً.

الفصل السادس والعشرون

لا أعرف أين أنا، ولكني أشعر أن شاحنة قد مرت فوق رأسي. فتحتُ عيني ببطء، فوجدت نفسي مستلقياً على بساط في غرفة كبيرة تبدو كأنها قبو. كان البساط ذا لون أبيض فاتح. ويبدو جديداً جداً. مددت يدي إلى مؤخرة رأسي. فشعرت بوجود ضمادٍ كبير. حاولت أن أتحسس حجمه، ولكن مجرد لمسه يؤلمني، لذلك تركته وشأنه. يبدو بارداً ثخيناً، أتمنى أن أعرف أين أنا، تذكرت، لقد تلقيتُ ضربةً على رأسي. جلست بحذر، ولمَّا استقام رأسي شعرتُ بدوارٍ، لذلك وضعت يدي تحت ذقني كي لا أقع. أدرت رأسي ونظرت في أرجاء الغرفة، وأول شيء لاحظته هو عدم وجود أي أثاث أو أي شيء. فقط أربعة جدران بيضاء والبساط. نظرت خلفي بطرف عيني، أعتقد أني رأيت شخصاً مستلقياً خلفي. يبدو أنها امرأة، ولكن لا يمكنني أن أتأكد لأن عيني لا تركزان. لا يمكنني أيضاً أن أحدد إن كانت ميتةً أو على قيد الحياة. حاولت أن أرتكز على ركبتي لأزحف،

لكن الدوار أجبرني على البقاء على الأرض لذلك استمررتُ في النظر إليها. أعتقد أني رأيت ظهرها يتحرك، أتمنى أن تكون نائمةً فقط. لم أر أي ضِمادٍ على رأسها، ولكن شعرها أطول من شعري لذلك لا يمكنني أن أتأكد من هذا. يوجد ضوءٌ واحدٌ مشعٌّ في السقف فوقي، وما عدا ذلك لا يوجد أي شيء لمعرفة إن كان الوقت ليلاً أو نهاراً. هذا يذكرني بحالتي عندما كنت في المستشفى منذ عدة أيام. تلمست هاتفي بسرعة في جيبي، ولكنه أُخِذَ مني، إذاً، من وضعني هنا أخذ مني كل شيء. استدرت نحو المرأة وحاولت أن أناديها، ولكن لم يخرج شيءٌ من فمي. تابعت المحاولة حتى بدأت حبالي الصوتية تهتزُّ، أخيراً وبعد عشر محاولات، سمعت صوتي فعلاً فالتفَتتْ إليَّ. إنها ماري كلوسن. في البداية حاولتُ أن أبتسم، ولكن تعابير وجهها جعلتني أتوقف. وقفتْ ببطء ومشت نحوي وجلست إلى جانبي.

«كيف تشعر الآن؟» وضعت يدي بلطف على الضماد.

«إنه يؤلمني». اقتربت مني ونظرت إلى مؤخرة رأسي.

«أراهن أنه يؤلم. رأيت كل ما حدث».

«ماذا حدث؟»

«ألا تذكر؟»

«قليلاً. أتذكر أن أحدهم أطلقَ النار عليّ ثم استيقظت هنا». استدارتْ ونظرتْ إليّ.

«لم تصب بطلقٍ ناري. لقد ضربك شان بعصا البيسبول على رأسك من الوراء».

«ماذا عن المسدس؟»

«كان فرانك يحمله. لم يطلق النار قط. أنت لم تر شان قط». حاولت أن أجلس بشكلٍ أفضل. ساعدتني ماري لأتكئ.

«أين نحن؟»

«أتذكر منزل والدتهما الذي أخبرتك عنه، هذا هو». نظرت في أرجاء الغرفة مرة أخرى.

«لا يوجد أي مخرج. تفقدتُ المكان. لقد أقفلا الباب في الأعلى، وكما ترى لا يوجد أبواب أو نوافذ هنا».

«منذ متى وأنا هنا؟» نظرت إلى ساعتها. تبدو ساعة روليكس باهظة الثمن.

«لقد أحضراك إلى هنا البارحة بعد أن ضربك شان. ساعدت فرانك في تضميد جرحك، كنت تنزف بشدة. اعتقدت أنهما قتلاك». مدّتْ يدها ولمست الضماد. «لدي المزيد من الضماد والمسكنات لك هناك». أشارت إلى المكان الذي كانت تستلقي فيه. «هل يؤلمك هذا؟»

«نعم». أومأت برأسي ببطء. أشعر بثقل الضماد على رأسي. نهضت بسرعة وعادت بزجاجة فيها كبسولات دوائية صغيرة بنية اللون، ووضعت اثنتين منها في يدي. أعطتني زجاجة ماء مغلقة ففتحتُها بسرعة وبلعتُ الكبسولتين.

«والآن، استدر ودعني أتفقد ذلك الضماد. أنت محظوظ. لقد عملتُ في مدرسة للتمريض قبل أن أرث المال». شعرت بيديها تنزع الضماد بحذر، وبعد دقيقة، ضغطت بضمادٍ جديدٍ على الجرح. كان الألم لا يُحتمل، إنه يلسعني عندما تضغط، ولكن لحسن الحظ أنهتْ عملها بسرعة. «تأكدت من أن فرانك قد أحضر المسكنات والضماد قبل أن يضعنا هنا. أخبرته أنك لن تصمدَ طويلاً إذا لم يحضرها في الحال».

«كنت في المنزل أيضاً؟»

«نعم. كانا يحتجزانني في الطابق العلوي ثم أتيت أنت. لم أصدق ذلك. على أي حال ماذا كنت تفعل هناك؟» استندتُ على أكواعي.

«كنت قادماً لأخبرك بأنك التالية. رأيت رسالةً إلكترونية من أحدهما».

«شكراً لك. آسفة جداً لحدوث هذا. لقد كنت حقاً شجاعاً بوقوفك أمام المسدس. أردت أن أصرخ وأحذرك من شان، ولكنهما ألصقا فمي بإحكام، فقط راقبتُ كل ما حدث». مسحت فمها بيدها.

«كما قلتُ لكَ، اعتقدتُ أنك ميت. قلتُ لهما مراراً إنّ علينا أخذك إلى قسم الإسعاف، ولكنهما قالا إن هذا مستحيل. ثم حملاك إلى كراج السيارات ووضعاك في سيارتك». أومأتُ برأسي. «وهناك سمحا لي بتضميد جرحك. كانت هناك دماء في كل مكان. لا أصدق أنك على قيد الحياة، كنت أتفقدك طوال الليل، لمّا سمعتك تتحدث الآن لم أصدق».

«شكراً جزيلاً لك. أعتقد أنك أنقذت حياتي».

«أنت كنت آتياً لتحاول إنقاذ حياتي. أعني لا أعرف أحداً سيجرؤ على دخول منزل كذلك المنزل وهو لا يعرف ما ينتظره في الداخل». ربتت على كتفي بلطف. «أنت بطلي».

«لو أني فعلتُ ذلك بشكلٍ صحيح لما كنا محتجزين هنا الآن. ماذا سيحدث لنا باعتقادك؟» نظرت خلفي باتجاه الدرج الذي يقود إلى الأعلى. «أعرف أني لن أخرج من هنا. يريدان مني أن أوقع على ورقة تنازلٍ عن المال كله وعندها سيقتلانني. أعرف أن هذه هي خطتهما».

«هل أنت متأكدة؟» نظرتُ إليها عن قرب. رأيت الدفء في عينيها.

«هذا ما كانا يحاولان فعله قبل أن يسمعاك تخطو على درج منزلي. فعلاً لم يكن لديهما فكرة من يكون هذا».

«ماذا يحدث إذا لم توقعي».

«لا يحصلان عليه، خاصةً الآن، لأن سورينسون مات. أتمنى حقاً لو أنه لا يزال موجوداً». نظرت إلى الأسفل إلى البساط، ورأيت حذائي اهترأ بأكمله. «ولكن جزءاً من التوقيع يتطلّب

أن أتصل بالشركة التي تحتفظ بصندوق الائتمان وأعطيهم الرمز السري لتحرير المال».

«إذاً، لا تعطيهم الرمز وحسب».

«لم أفعل هذا بعد، لكنك لا تعرف هذين الاثنين. سيفعلان أي شيء ليحصلا على المال. إنهما يخططان لهذا منذ سنوات، وسيستخدمان التعذيب أو أي شيء يلزم لإجباري على إجراء ذلك الاتصال». طوت ذراعيها. «إنها مسألة وقت فقط. لمَّا مات سورينسون تغير كل شيء لأنه الشخص الوحيد الذي يحق له التصرف بالمال، أمر غريب أليس كذلك؟ نقودي، ولكن محاميَّ هو من يتحكم بها».

«لماذا؟» أشعر أن المسكّن بـدأ يخفف الألم، أو على الأقل يقلل الجزء المتورم.

«إنها قصةٌ طويلةٌ. تتلخص كلها في الطريقة التي وصل فيها المال إليَّ. وللحصول على المال، ما يهم هو اتصالي بالشركة وإعطاؤهم الرمز السري ليصبح المال حراً. لطالما تساءلت إن كان دوغ هو الشخص الذي سيجعلني أفعل هذا بسبب

الطريقة التي جرى ترتيب الأمر وفقها. لقد كان سيحصل على المال كله إذا حدث شيء لي». أغمضت عيني بارتباك. لست متأكداً إن كان هذا بسبب المسكن أو أن القصة قد شوشتني، ولكن يبدو أنها لاحظت ارتباكي وحيرتي.

«حسناً، عملياً هو لن يحصل على المال، ولكن الوصي على المال سيحصل عليه، وهذا يعني أنه هو من سيحصل عليه حتماً، ولكن يمكنني أن ألغي هذا بالرمز السري». ابتسمت. «هذا أمر مثير للشك أعرف، لكن دوغ كان رجلاً جيداً ساعدني في استثمار المال ووضعه في جمعيةٍ خيرية، وهذا شغفي الحقيقي». أدارت رأسها بسرعة نحو السلالم. «أعتذر، اعتقدت أني سمعت شيئاً ما، أنا على وشك أن ألقى حتفي».

«أفهم ذلك طبعاً. هل هما في الأعلى؟» أشرتُ إلى السلالم.

«كانا هناك، لكنهما غادرا منذ ساعات عدة، سمعتُ وقع خطواتهما وبعدها سمعتُ صوت محرك السيارة». أومأتُ.

«إذاً، ما هي جمعيتك التي أنت شغوف بها؟» رأيت وجهها يشرق.

«إنها جمعية للأطفال الفقراء. أنت تعرف أن الأطفال الذين يعيشون في الفقر، ويذهبون إلى النوم جياعاً، لا يتلقون العناية التي يستحقونها. أنا أحب الأطفال، ربما لأني لم أتمكن من أن أنجب طفلاً لي».

«هذا رائع!»

«أنا أحب هذا العمل. لقد أتيت إلى مكتبنا عدة مرات. أعتذر لأننا كنا وجلين منك في البداية. كثير من المرات يكون لدينا أطفال في الغرفة الخلفية، هربوا من منازلهم حيث يتعرضون للعنف الجسدي، فيأتي أحد الوالدين للبحث عنهم».

«أفهم ذلك تماماً. أعتقد أن ما تفعلينه به عملٌ رائعٌ».

«أتمنى أن أستطيع فعل أكثر من ذلك. أعتقد أننا بدأنا نُحدث أثراً ما، والآن حصل هذا. سينتهي كل شيء في غضون ساعات عندما يضغطان علي ويحصلان على الرمز».

«لا بد من وجود شيء يمكننا عمله». هزت رأسها نافيةً.

«لا يوجد. الآن سورينسون ميت، كل ما يمكننا فعله هو أن ننتظر. كما أخبرتك، هذان الرجلان هما أقسى شخصين قابلتهما

في حياتي. الأسوأ هو فرانك، وهو أذكى شخص رأيته في حياتي». فكرت في كل أحاديثي معه ووافقتها الرأي.

«لا أعتقد أنه اجتاز الصف العاشر، ولكنه لم يكن في حاجةٍ إلى ذلك. ربما كان بإمكانه أن يكمل دراسته الثانوية في أشهر قليلة لو أراد ذلك. إنه بذلك الذكاء. لهذا أعرف أنه سيحصل على الرمز مني أو ربما أعطيه إياه وحسب لأوفر على نفسي العناء والألم». أومأتُ برأسي.

«يجب أن نفكر في شيءٍ ما. علينا فعل هذا من أجل كل الأطفال الذين ساعدتهم».

«أوافقك الرأي، ولكن من الأفضل أن نفكر سريعاً في شيءٍ ما لأن وقتنا بدأ ينفد». نظرت باتجاه السلالم.

«متى تعتقدين أنهما سيعودان؟»

«لا أدري. أشك أنهما سيعودان قريباً. أعرف أنهما متورطان في قتل دوغ، لذلك يريدان أن يخرجا من هنا قبل أن تلقي الشرطة القبض عليهما. كانا مندهشين جداً لأنك وجدتهما في منزلي، ربما أخفتهما. بالمناسبة، أنت لم تخبرني قط كيف تعرفت إليهما؟»

«أنا لا أعرفهما حقاً. المرة الأولى التي قابلتهما فيها كانت في الليلة التي تسبق ضربهما لي بالمضرب». تلمست مؤخرة رأسي مرةً أخرى.

«لقد أتيت إلى مكتبي تسأل عن فرانك». نظرت إلى السقف ثم إلى ماري. شعرها الداكن الطويل كان منسدلاً على إحدى عينيها البنيتين الواسعتين.

«كنت هناك عندما قُتل فرانك. لم أر ذلك، ولكني أعرف أنهما من فعلا هذا». نظرت إلى السلالم مجدداً.

«هل عانى؟» رأيت الدموع تفيض من عينيها.

«لا أعرف لأخبرك. أعتقد أنه مات بسرعة. في الواقع إن باستر معي في منزلي». مسحت عينيها وحاولت أن تبتسم.

«باستر... كيف حاله؟ كان فرانك يحب ذلك الكلب. كانا أفضل صديقين».

«إنه بخير. إنه يبقى مع ولدي».

«انتظر لحظة. هل كان فرانك وشان متورطين في قضية خطف ولدك؟» أومأت.

«خبأه رجلان لدى فرانك لساعة أو ما يقاربها، إلى الجنوب من هنا».

«هل كانا فظيّ المظهر وضخمين؟»

«نعم».

«ربما كانا أخويه. أعتقد أن له خمسة إخوة». نظرت إلي بإمعان. تلمست جرحي مرّةً أخرى. «كيف أصبح الألم؟»

«أفضل بكثير، شكراً. أعتقد أنه قتل إخوته لأني وجدت المنزل». هزت رأسها.

«هذا لا يفاجئني، سيتخلص من أي شخصٍ يقف في طريقه. لقد كان هكذا دائماً منذ أن عرفته. يجب أن تسمع ما فعل بوالدته».

هززت رأسي. «سمعت بذلك، في حادث سيارة، صحيح؟»

«نعم، لقد قتل أمه ووالدنا... آه أنا أكرهه حقاً. فرانك لا يستحق هذا، كان فقط يحاول أن يعيش حياةً هادئة. كنت عنده منذ عدة أسابيع على العشاء، كان لطيفاً جداً».

«أنا سعيدة لأن ولدك عاد إليك سليماً ومعافى. أنت محظوظ». أومأت. «أتذكر أني قرأت عن هذا، لم يكن لدي أدنى فكرة أن هذا عمل شان وفرانك. حتى عندما أتيت إلى مكتبنا، لم أنتبه إلى الأمر».

«كيف عرفت بذلك؟»

«أشعر بالذنب. ربما كان بإمكاني أن أساعدك أكثر. حسناً أخبرني القصة كاملةً. يبدو أن لدينا بعض الوقت لنقتله بالحديث». أمضيت الساعة أو ما يزيد وأنا أشرح لها كل شيء، من الطريقة التي أُخذ فيها تومي من المدرسة إلى الاتصالات التي تلقيتها على هاتفي. تركت الجزء المتعلق بقتل سورينسون. استمعت إلى كل شيء بانتباهٍ شديد. شعرتُ كم أن الأطفال محظوظون بأن يكون لديهم شخص مثلها يعمل لأجلهم. أحضرت لي ولها زجاجة ماءٍ أخرى وشربنا بصمت حتى سمعنا صوت محرك السيارة وضجةً داويةً فوقنا.

الفصل السابع والعشرون

«لقد عادا». نظرنا إلى الأعلى باتجاه السلالم. أسمع وقع خطوات أقدامٍ عالياً على السقف فوقنا. رأيت اللطافة تغادر وجه ماري ليحل محلها التوتر. لا أعرف ما سيحل بي، ولكني أشعر أني أستحق أي شيءٍ سيحصل الآن طالما تومي بأمان، لذا لا آبه بهذا كثيراً، على الأقل هذا ما أقوله لنفسي. أنا متأكد أن ميشيل وتومي في المنزل قلقان جداً علي، ولكن لا شيء يمكنني فعله، فكل شيء خارج عن سيطرتي، وحياتي بين يدي الوحش الذي في الأعلى. أخيراً أصبحت قادراً على الجلوس بشكل مستقيم إذ بدأ المسكّن يأخذ مفعوله في جسدي. قفزت ماري عندما سمعنا صوت القفل وفتح الباب أعلى الدرج، لم أتمكن من رؤية الباب من المكان الذي أجلس فيه، ولكن الضوء القادم منه أنار الدرج. أدرنا رأسينا نحوه، رأيتُ فرانك هاريس ينزل الدرج ببطء. كان بحوزته مسدس صغير يرفعه أمامه. ورأيت عينيه الداكنتين تنظران إليّ أولاً ثم إلى ماري.

«سعيد برؤيتك مرةً أخرى شيلدون. أعتذر بشأن الضربة التي تلقيتها على رأسك، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة». وصل إلى نهاية السلم واقترب ببطء ووقف أمامنا. المسدس أمامه، ولكن من الواضح أننا لا نشكل أي خطرٍ أو تهديدٍ لذلك كانت يده مسترخيةً قليلاً. «أتمنى أن يكون الألم قد خفّ وأصبح محتملاً. أنا متأكد من أن أختي قد أحاطتك بكثير من الرعاية الطبية، كانت قاسيةً جداً معنا لأننا فعلنا هذا بك». رأيت عينيه تلقيان نظرةً خاطفة على رأسي. «يجب أن أعترف، يبدو جيداً جداً من هنا». أومأتُ.

«لا تنادنني بأختك». رأيت الغضب يظهر على تقاسيم وجهها.

«ماري، نحن أقارب كما تعلمين. والدتك تزوجت من والدي. لا بدّ أنك سمعتِ بالنهاية المروعة للسيد فرانك هاريس».

«كان رجلاً طيباً. لم يكن عليك أن تفعل هذا به». نظر إلي.

«حسناً، أرى أنكما تبادلتما الأحاديث. لا تأخذا راحتكما كثيراً فلن تبقيا هنا طويلاً. شيلدون ستعود إلى حيث تنتمي وماري ستنتقلين إلى مكان آخر».

«أرجوك. لستَ مضطراً لأن تؤذي أحداً آخر. ألم يعانِ ما يكفي من الناس حتى الآن؟» نظرتُ إلى فرانك. كان يستند إلى

الدرابزين. يبدو مسترخياً جداً. كان يرتدي قميصاً وبنطالاً داكن اللون. يمكن قبوله كقاطع طريقٍ إيطالي في فيلم.

«تذكر ما أخبرتك به شيلدون. كل معركة فيها قتلى غير مقصودين».

«لا نريد المزيد من القتلى». وضع المسدس بين يديه.

«أتمنى لو كان الأمر كذلك، ولكن يجب أن ينتهي هذا بسرعة. لدينا بعض الأشياء لننجزها وبعدها سنحتاج خدماتك لفترة قصيرة ماري. عندها نمضي في طريقنا وأنت شيلدون ستكون حراً». نظر إليَّ نظرةً مطولة. أشعر أنّ عينيه الخبيثتين تخترقانني. أردت أن أمدّ يدي إليه وأخنقه، ولكني غير قادرٍ على الحراك حتى. «بالمناسبة، زوجتك وولدك بخير. قلقان قليلاً ولكنهما بخير». حاولت أن أقف. «هوّن عليك يا شيلدون. أنت تعاني من جرحٍ كبيرٍ».

«ابقَ بعيداً عن أسرتي».

«شيلدون، وعدتك بأني سأعيده لك من دون أن يصاب بأذى. أعتذر عن الحالة التي كان عليها، ولكن لم أُرد للطفل أن يتذكر أي شيء. لم أعد محتاجاً إليه قط. لدي أعين وآذان في كل

مكان، وببساطة سمعتُ أنها بخير». جلستُ. أشعر بأن جرحي ينبض. «أؤكد لك، ستغادر هذا المكان بعد فترةٍ قصيرةٍ من دون أن تُصاب بأذى أنت وأسرتك». نظر نحو ماري. «من جهة أخرى، أختي العزيزة ماري قد تكون لها نهاية مختلفة حسب شروطٍ أخرى، ولكن يمكنها أن تجعل الأمور أسهل بكثير إذا قررت أن تتعاون معنا». نظرتُ إلى ماري. كانت تنظر إلى قدميها.

«أنا متأثرٌ جداً لأنك وجدت أختي بل أكثر من ذلك وجدتَ منزلها. إنه مكان جميل جداً ألا توافقني الرأي؟» لم أجبه. «أنا مهتمٌّ جداً بمعرفة الطريقة التي وصلت بها إلى هذه المعلومات. هل هذا له علاقة بصديقك بريان؟» أشعر أن النبض يزيد. «صديقك المسكين تلقى طلقة في رأسه». أردت أن أنقضَّ عليه بيدي. «لا تقلق شيلدون، شارف كل شيء على الانتهاء. لو اهتممت بشؤونك فقط كما اتفقنا سابقاً لما كنت في هذه الحالة، ولما تعرضت لذلك الجرح البليغ في رأسك».

«أرجوك دعها تذهب». نظرت إلى ماري. اختفت كل تعابير وجهها.

«أعتذر لا يمكنني فعل هذا حتى أحصل على شيء منها. هي تعرف ما أريد وسوف تعطيني إياه. كما قلت من قبل، معاناتها بين يديها». نظر إلي. «كما تعرف شيلدون، أنا أحب أن أعطي دفة القيادة للآخرين ليصنعوا قراراتهم الخاصة». استشطتُ غضباً من كلامه، فاندفعت بسرعة باتجاه ماري لأجد نفسي واقفاً بينهما. ظهرتْ ابتسامة صغيرة على وجه فرانك.

«أرى أنكما متضامنان. لا تتعلق بها كثيراً شيلدون فهذه المرأة لن تبقى لفترة طويلة». خطا باتجاه الدرج. «يجب أن أذهب، عليّ أن أحضِّرَ بعض الأشياء وعندها سنكون مستعدين للمرحلة الأخيرة». صعد الدرج. «أوه، كدت أنسى. لدي بعض الطعام لكما، سأعود حالاً». نظرنا أنا وماري إلى بعضنا. تبدو كأنها تخدرت. بعد دقيقة، عاد فرانك ووضع صندوق بيتزا أمامنا. «سأعود غداً لأخذ ما أحتاجه منك». نظر إلى ماري مباشرةً. «استمتعا». ركض صاعداً الدرج، واختفى الضوء، وعندها سمعت صوت القفل.

«يجب أن تأكل شيلدون. أرجوك تناول بعض البيتزا». أومأتُ. «سوف تحتاج إلى كل طاقتك إذا أتيحت لنا فرصة الخروج من

هنا». قربتُ الصندوق مني وفتحتُ الغطاء. شممتُ رائحتها فذكرتني كم أنا جائع. تناولت بعض القطع فشعرت بتحسن كبير بسرعة. أقنعتُ ماري بأن تتناول عدة لقمات على الأقل ففعلت ذلك على مضضٍ.

«يجب أن نعرف ما سنفعل». نظرنا إلى الأعلى عندما سمعنا صوت محرك السيارة. بعد دقيقة اختفى الصوت.

«أعتقد أنَّ من الأفضل أن أدعهما يأخذانني وسأخبرهما بما يريدان معرفته، عندها تصبح حراً». أومأت برأسي نافياً.

«لم أقطع كل هذه المسافة لأستسلم بتلك السهولة».

«في حالتك هذه شيلدون، لا يمكنك أن تفعل شيئاً. تذكر، لديهم أسلحة».

«لا بد من وجود طريقة ما. أخبريني ماذا تعرفين عنهما أيضاً؟» نظرت إلى يسارها.

«قابلتهما عندما تزوجت أمي والدهما. لم يزورانا في البداية، ولم أفكر في الأمر كثيراً، ولكن الآن يبدو أن لذلك مغزى».

«ماذا تعنين؟» تناولتْ لقمة أخرى.

«أعتقد أنهما عندما علما أن أمي تملك مالاً، قررا أن يبدأا بالتقرب منها علَّهما يحصلان على شيء منه».

«كيف جمعت والدتك كل مالها؟» ظهرت ابتسامة عريضة على وجهها.

«لقد بدأت شركة خاصة بها، «مسرح الطفل»، ربما رأيتهم في الأسواق التجارية». أغمضت عيني وتذكرتُ السَّوق التجاري الذي أمامنا، تذكرت أني رأيتهم مع ميشيل وتومي. «وبعد أن أصبحت ناجحة، باعتها وصفَّت كل أعمالها التجارية فحصلتْ على كل ذلك المال». رأيت ملامح وجهها تنقلب من السعادة إلى الحزن. «ثم توفيت بعد سنتين تقريباً. ولم تستطع مئة مليون دولار إنقاذ حياتها».

«مئة مليون؟»

«نعم. قلتُ لك إنها خمسون، ولكنها في الحقيقة مئة. لست متأكدةً إن كان شان وفرانك يعرفان هذا. لدي عشرة ملايين في الجمعية والباقي في حسابي المصرفي ويجري استثمارها. يمكنني ببساطة أن أعيش من مال الاستثمارات ولا أعمل يوماً آخر في حياتي أبداً. ولكني لا أستطيع تحمُّل أن أملك كل ذلك المال في

حين يموت الأطفال جوعاً، لذلك أسست الجمعية. أحبها كثيراً». ابتسمتُ. «أمي هي من أدخلني هذا العمل. اعتادت أن تتبرع بالملابس للأطفال المحتاجين طوال حياتها وكنت أذهب معها وأرى كيف يعيشون. كان هذا يجعلني أبكي كل ليلة». اقتربتُ منها ووضعتُ ذراعي على كتفها.

«أنتِ شخصٌ رائع، لقد عملتِ كثيراً من الأعمال الخيّرة في هذا العالم».

«سأتخلى عن المال كله الآن إن كان هذا يعني أني أستطيع الخروج من هنا والعودة إلى فعل ما أحب. أعرف أن أمي ستكون سعيدةً جداً بهذا. كانت أماً عزباء وكل ما أرادتْ فعله هو أن توفر لنا حياةً لائقة، وقد نجحت في هذا أكثر مما كانت تتخيل، ثم التقت بـ فرانك». ألقت ببقايا الطعام في الصندوق وأغلقت الغطاء. «كان رجلاً رائعاً. التقيا عندما كانت تحلُّ مشكلة أحد الزبائن الذي انزلق ووقع في المتجر فأُغرما ببعضهما. أمضيا فقط عدة سنوات مع بعضهما، كانا شريكين رائعين. لم أرها بمثل تلك السعادة من قبل، ثم توفيت». مسحتُ على كتفها. «ماتت بسرعة، عانت شهراً واحداً، وبعد

ثلاثة أشهر رحلت». مسحتْ الدموع من عينيها. «لا أصدق أن الأمر انتهى إلى هذا». شعرتُ بها ترتجف تحت ذراعي. «لو أني فقط أدركتُ خطر هذين الولدين. كيف يمكن لولدين أن يكونا مختلفين تماماً عن والدهما».

«يحدث هذا».

«أعتقد ذلك. لا يوجد ما أخبرك به عن فرانك وشان غير الذي تعرفه. أخبرتك عن شدة ذكائهما أو على الأقل فرانك. إنه على مستوى مختلف كثيراً عن شان. شان يكاد يتدبر أمره ويفعل ما يطلبه منه فرانك، حسب ما أخبرتني أمي فإن الأمر كان دائماً كذلك». أومأت. «لذلك إذا حاولت أن تفعل شيئاً ما، فعليك أن تحاول فعله مع شان وليس فرانك. فرانك ذكي جداً ليقع في أي شيء، ولكن لا بدّ أنك أنت أيضاً ذكيٌّ جداً، لقد تمكنت من تتبع أثري ووجدت فرانك وشان في منزلي». ابتسمتْ. «واستعدت ولدك من بين أيديهم لذلك لا بدّ أنك فعلت شيئاً ما بالشكل الصحيح». فكرتُ بأن أخبرها عن سورينسون، ولكني قررت أن أنتظر حتى يحين الوقت المناسب لذلك. «كلاهما قوي جداً كما ترى، وفي مثل حالتك هذه ربما لن تكون فكرة جيدة أن تحاول

مهاجمتهما، لذلك لا أعرف حقاً ما يمكننا أن نفعل إلا أن تدعني أعطيهما الرمز السري لتخرج من هنا».

«أرفض أن أقف متفرجاً وأدعهم يفعلون هذا بك. لقد فعلت كثيراً من الأعمال الجيدة في هذا العالم، وهما قتلا العديد من الأشخاص. يجب أن نوقفهما». ابتعدت عني بهدوء.

«حسناً. لماذا لا نأخذ بعض الوقت لنفكر في ما يمكننا فعله ونحصل على بعض الراحة. معنا حتى الغد». وافقتها الرأي. صنعتُ كرةً من سترتي واستعملتها كوسادة. أشعر أن تأثير المسكن جعلني أحس بالنعاس قليلاً.

استيقظت بعد فترة، وأول شيء لاحظته هو ألم رأسي الشديد. نظرت حولي فلم أر ماري في أي مكان. جلست بسرعة. لم أشعر بتصلبٍ في الجرح، كان يؤلمني فقط. خطر في بالي مباشرةً أن هاري قد أخذها عندما كنت مستغرقاً في النوم. أصبحت قادراً على الوقوف على قدمي. فتجولتُ ببطء في أنحاء الغرفة. كان هناك حمام صغير في أقصى اليمين لم أره من قبل، نظرت داخله بسرعة، لم تكن هناك، نظرت إلى أسفل الدرج، ثم نظرت إلى أعلاه، فوجدتها جالسةً هناك في الأعلى.

رأسها مدفون بين يديها. صعدت الدرج بحذر وجلست على درجةٍ تحت درجتها. أزاحت يديها فرأيت علامات يديها على وجهها، وعينيها الحمراوين من البكاء.

«لا بأس».

«لا. لا يمكن أن ينتهي الأمر هكذا. أنت على حق. يجب أن نحاول فعل شيء ما لإيقافهما. أخبرني ما تريد مني أن أفعل وسأفعله. سأموت بكل الأحوال». وضعت يدي على مؤخرة رأسي.

«لا لن تموتي. سوف نحاول أن نفاجئهم. كنت أفكر في هذا».

«يا إلهي، أيها المسكين، لا بدّ أن ألم رأسك يقتلك. سأحضر لك بعض المسكنات وأغير لك الضماد. سيؤلمك كثيراً». وقفتُ ودفعتني بلطف إلى الدرجة التالية. وقفت بصعوبة ونزلت الدرج ببطء. تبعتها إلى الطرف الآخر من الغرفة وطلبت مني الجلوس وهي تغير لي الضماد. تناولتُ كبسولتين من الدواء وزجاجة ماء بأكملها، وقضيتُ على آخر قطعةٍ من البيتزا الباردة. حاولت أن أقنع ماري بأن تتناول المزيد لكنها رفضت.

«سيكونان هنا في أيِّ لحظة. أنا أنتظرهما».

«أهذا السبب كنت تجلسين أعلى الدرج؟» أومأتْ.

«أردتُ أن يأخذاني أنا فقط ويدعاك وشأنك. يجب أن تعود إلى أسرتك. ليس لدي أحد الآن. رأيت أسرتك». أومأتُ.

«هل أصبحنا حقاً في الغد؟ هل نمت كل ذلك الوقت؟»

«نعم، أنت في حاجة إلى الراحة. لم أستطع النوم. فكرت ملياً. أعتقد أني عشتُ حياةً جيدةً جداً لذلك لا ينبغي لي أن أقلق». وضعت إصبعي على شفتي.

«لقد أوحيتِ لي بفكرةٍ رائعة». استدارت ونظرت إلي. «يجب أن ننتظر في أعلى الدرج، ولمَّا يفتحان الباب فسنفاجئهما ونقفز عليهما. إنها الفرصةُ الوحيدة التي لدينا». راقبتها وهي تفكر في الأمر.

«ماذا لو كانا مستعدين وأطلقا النار علينا؟»

«ليس لدينا شيء لنخسره، كما قلتِ سنموت بكل الأحوال، على الأقل يمكننا أن نحاول؟»

«لا يمكنني أن أستغل تلك الفرصة معك. سمعتَ ما قاله».

«هل تصدقينه؟» هزت برأسها.

«كيف حاله؟» لمستْ جرحي.

«أفضل بكثير، شكراً جزيلاً لك لاعتنائك بي».

«على الرحب والسعة في أي وقت، إن كنتَ تعتقد حقاً أن هذا سيجدي نفعاً فأنا مستعدة لفعله. ماذا سنفعل عندما نفاجئهما؟» أمضيت الدقائق العشر التالية أشرح لها خطتي، لا أعتقد أن فرصة نجاح خطتنا كبيرة، ولكني لم أخبرها بذلك. سلَّمنا للأمر الواقع، وتناولنا قطعة أخرى من البيتزا وزجاجة من الماء. بدأت فعلاً أشعر أني أعود إلى وضعي الطبيعي بفضل المسكنات. أمضينا الساعات العديدة التالية نتحدث عن ماضيينا، وتحركنا عندما سمعنا صوت محرك السيارة وخطى أقدام تبدو لأكثر من شخص فوقنا. صعدنا بسرعة على رؤوس أصابعنا إلى أعلى الدرج، كل واحد منا على جهة ننتظر الفرصة لننقذ حياتنا أو ننهيها بشكل أسرع. لا أعرف أيَّ واحدة منهما ستكون النهاية. نظرت إلى ماري فأومأت لي. بعد دقيقة، سمعنا صوت نقر معدني حاد على قفل الباب لفتحه.

الفصل الثامن والعشرون

لَمَّا انفتح الباب مددت رجلي وقفزت على جسد شان هاريس الضخم الذي كان مذهولاً. شعرت به ينزلق ويقع على أرض المطبخ الصلبة. طار مسدسه من يده وانزلق على الأرض باتجاه خزائن تبعد خمس أقدام عنه. لا أرى ماري، ولكني أشعر أن أحدهم خلفي يدفعني أرضاً، لذلك تخيلت أنه لا بد أن تكون هي. غرس شان يديه الضخمتين في كتفي محاولاً دفعي بعيداً عنه. حاولت أن أصل إلى المسدس ولكنه كان بعيداً جداً.

«أحضري المسدس ماري... المسدس». صرخت، ولكني لم أرها تتحرك نحوه. في الحقيقة لم أرها تتحرك قط، بل شعرت فقط بثقلها على قدمي تثبتني أرضاً. حاولت لكم وجه شان ولكن يبدو أن هذا لا يجدي نفعاً. حاول أن يتقلب وينهض من تحتي، ولكني دفعته بقوة قدر ما استطعت. بقينا على هذه الحال لعدة ثوانٍ حتى شعرت بيدي تقبض على ضماد جرحي. عليّ أن

أتوقف عن لكمه وأمد يدي إلى الضماد لأمنعه من السقوط. كان الألم شديداً جداً لأتحمله. شعرت بشان ينزلق من تحتي، وحاولت أن أتجاهل ألم رأسي وأعود إلى القتال، ولكن قد فات الأوان. تمكن شان من الخلاص مني وانزلق نحو الخزائن، فركلته بقدمي وضربته على معدته. قطّب جبينه متجهماً، وفي الحال استدار نحوي ودفعني إلى الأمام بذراعه اليمنى، وأمسك بفخذي وضربني بقوة ما أجبرني على التقاط أنفاسي. استدار نحو المسدس وبدأ يزحف باتجاهه. بذلتُ قصارى جهدي ونهضت على ركبتي وحاولت أن أرمي نفسي على ظهره فسقط أرضاً مرةً أخرى. استدار نحوي وحاول ضربي مجدداً، ولكنه أخفق في الاقتراب من وجهي. ضربته بكوعي على رأسه ما جعله يتلوى لثانية. تعافى بسرعة وركلني بقدمه وأمسك بي من رقبتي. فسقطت أرضاً وأمسكت بكاحله فلم يعد بإمكانه الزحف باتجاه المسدس.

«ألم تنتهيا بعد؟» استدرت بسرعة فرأيت فرانك يقف خلفي، وهو يصوب مسدسه إلى رأس ماري. «انهض يا شان، انتهى وقت التسلية». نظر إليّ. «خاب أملي بك شيلدون. ما زلت لا

تتبع تعليماتي. لا أعرف ما سأفعل بك الآن. رجاءً قفا كلاكما». صوب المسدس نحوي. «شان اذهب وأحضر مسدسك، ولا تدعه بعيداً عن متناولك مرة أخرى، رجاءً». دفع ماري أمامه باتجاه باب القبو المفتوح. «حسناً. دعينا نصعد الدرج وننتهي من هذا طالما أنك لا تريدين أن تسمعي». نظر إلى شان. «هل تعتقد أنَّ بإمكانك أن تعالج أمره شان؟» سمعت شان يرد بشيء ما. «هنا، سأسهل هذا عليك». رأيت يده تتحرك بسرعة أمام عيني وتحط على مؤخرة رأسي. وقعت على الأرض أتلوى من الألم. كان كل شيء يدور والأضواء تومض في عيني. بعد دقيقة، عاد التركيز إلى عيني وشعرت بشان يمسك بي ويسحبني على الدرج. تمسكت بقوة بالدرابزين ونزلت الدرج ببطء. شعرت بساقيّ تتأرجحان، والمسدس في ظهري، الفولاذ الصلب ينغرس مباشرة في عمودي الفقري وينغرس أكثر كلما اجتزت درجة. لمَّا وصلت إلى أسفل الدرج كان فرانك يقف أمام ماري التي كانت تجلس في المكان نفسه الذي كنت نائماً فيه. مسدسه مصوب نحو رأسها. رأيت الدموع في عينيها وهي تنظر إلي. أعتقد أنها كانت تحاول أن تبتسم.

«دعه يجلس هناك»، أشار فرانك إلى بقعة تبعد عشر أقدام عن ماري. «أريده أن يرى هذا». شعرت بيد شان الضخمة تقودني إلى البقعة التي أشار إليها فرانك. ضغط على جرحي وأنا أجلس فتأوهت من الألم وشعرت بغشاوة على عيني. يجب أن أفكر في خطة أخرى بسرعة وإلا فسنخسر كلانا. كانت ماري تنظر إلي، شعرت كأني خذلتها. «حسناً أختي الحبيبة، أعطيني الرمز السري». لا تزال عيناه متسمرتين علي. أعتقد أنها تغمزني، ولكني لست متأكداً من ذلك لأن الشيء التالي الذي رأيته هو يد فرانك تمسح على وجهها وتضرب أنفها بشدة. تناثر الدم في كل مكان. تحركت باتجاهها، ولكن شان ضغط على الجرح مرة أخرى ووقعت على بطني. «والآن ماذا؟» لم تجب. استمرت في النظر باتجاهي. أتمنى لو أن هناك ما أستطيع عمله، ولكن بوجود شان خلفي ومسدسه موجه نحو رأسي، فإنَّ خياراتي محدودة إلى حد ما. رأيته وهو يرفع قدمه ويضعها مباشرة على بطنها، فانحنت وتقيأت على الأرض أمامها. رأيتُ الألم والعذاب في وجهها. «فقط أعطيني ذلك الرمز اللعين وسينتهي هذا كله». لم تجب. وضع عقب المسدس على ذقنها،

ورأيت رأسها يتأرجح إلى الأمام والخلف وخيط من الدم القاتم يتجمع على ذقنها. رفعت يديها إلى ذقنها وأنفها، كانت الدماء تغطيهما. «أعدك سيتوقف هذا إذا أعطيتني ما أريد. أليس هذا صحيحاً شيلدون؟ أنا رجل ألتزم بوعودي». أشحت نظري بعيداً عنه بسرعة، وشعرت بضغط يد شان والمسدس يزيدان على رأسي. حاولت أن أتكئ ولكنه بقي يلاحقني بهما. نظرتُ إلى ماري، إنها ترتعش من الألم، والدماء تملأ وجهها ويديها. أستطيع رؤية عينيها فقط. استمرت تنظر نحوي، ولكني لا أستطيع أبداً أن أحدد إن كانت تنظر إليّ بسبب كل تلك الدماء. «دعينا نجرب هذا مرة أخرى أختي وبعدها سننتقل إلى أساليب أقسى». لم أصدق ما رأيته، لقد أمسك فرانك أذنيها معاً بكلتا يديه وأخذ يطويهما بقوةٍ. وقعت ماري وهي تضغط يديها على عظام أذنيها التي تكسّرت. لم أعد أحتمل هذا قط. نهضت على قدمي، ولكن سرعان ما دفعني شان أرضاً. شعرت أن الرؤية أصبحت ضبابية واختل توازني. «والآن هل أنت مستعدة؟» لم تجب ماري. كانت ملقاةً على الأرض تتألم. رأيتها تغمض عينيها وفمها مليء بالدماء وتمسك

فكها من شدة الألم الذي تعانيه. نظر فرانك إلي. «حسناً دعينا نجربه. ابدأ بضربه على مؤخرة رأسه حتى تتحدث». حنيت رأسي إلى الأرض لأستبق الألم الذي على وشك أن يحل بي. شعرت بقبضة شان القاسية تهشم جمجمتي. أصبح كل شيء أسود لعدة ثوانٍ. ما أذكره بعدها أني كنتُ ملقىً على الأرض، حينما فتحت عيني. نظرت نحو ماري، كانت مسلتقيةً على جانبها تحدق بي بعينين خائفتين. حاولت أن أصل إليها ولكن يدي وذراعي لم تتجاوبا مع دماغي قط. «هل نعطي شيلدون لكمة أخرى على رأسه؟ لا أعرف كم لكمة بعد يمكنه أن يتحمل». في البداية لم تجب ماري، ثمَّ رفعت جسدها بطريقة ما وتمكنت من الجلوس. كانت تسند رأسها بيديها الرقيقتين، وحاولت أن تتحدث ولكن صوتها كان منخفضاً جداً ليُسمع. انحنى فرانك نحوها. «ماذا قلتِ؟»

همست. «سأخبرك، فقط دعه وشأنه». أخرج فرانك دفتر ملاحظات صغيراً من جيبه الخلفي، يشبه الدفتر الذي يحمله ستانتون دائماً. رأيت فمها يتحرك، ولكني لم أسمع ما خرج من فيها. كان فرانك يكتب شيئاً ما في دفتره.

«حصلت عليه. حصلنا على ما كان دائماً لنا يا أخي». نظر إلى شان وأومأ له. رأيت فرانك يخطو خطوة إلى الوراء. بطرف عيني رأيت شان يرفع مسدسه ويصوبه نحو ماري. سوف يقتلانها. حاولت أن أقف وأمنعه، ولكني لم أستطع أن أتحرك. أغمضتُ عيني، أخذت نفساً عميقاً وقفزت بكل ما أوتيت من قوة وأمسكت بذراع شان. أصدر المسدس صوتاً عالياً ورأيتُ أثر الانفجار الصغير يخرج من فوهته. أمسكت بذراعه ولويتها، وانتهى الأمر، وأنا الآن أصوب المسدس نحوه. وضعتُ إصبعي على الزناد وضغطته فأصابت الطلقة صدر شان. تابعتُ الضغط على الزناد حتى توقف المسدس عن الإطلاق، وتهاوى على الأرض. العينان الخاويتان كعيني سورينسون عادتا لتحدقا بي. استدرت بسرعة، كان فرانك يصوب مسدسه نحوي، ورأيت إصبعه يتحرك على الزناد.

هذه هي النهاية. أنا أستعد للموت. نظرت إلى ماري، كانت مستلقيةً على ظهرها على بعد عدة خطوات. كان الدم يتدفق من مؤخرة رأسها، لقد تأخرت كثيراً، فرصاصة مسدس شان قد أصابتها. نظرت إلى فرانك، بدت على وجهه نظرة غريبة. أغمضت عيني وفكرت في ميشيل وتومي وكيف أنني لن أراهما مرة أخرى.

أتمنى أن يفهماني. سمعت صوت الانفجار القوي ينطلق من المسدس وتهيأتُ لأثره، ولكن بدلاً من ذلك سمعت صوتاً من خلفي. فتحت عيني ببطء فرأيت فرانك ملقىً على ظهره، مسدسه في مكان ما خلفه، وهناك بركة من الدماء حول وجهه. استدرت فوجدتُ ستانتون يقف أسفل الدرج. حاولت أن أبتسم، ولكنه رفع يده في الهواء واجتازني متوجهاً نحو فرانك. راقبته وهو يقترب منه ليتفقد نبضه ونَفَسَه. برضاً، نهض وكرر الفعل نفسه مع شان الذي كان خلفي. رأيته يتجه نحو ماري وهز رأسه بعد أن تفحصها. شعرت أن معدتي تتقلّب وبدأت أتقيأ.

«سيد سميث، هل أنت بخير؟» أومأت وأدرت رأسي عندما اندفع العديد من رجال الشرطة بزيهم الرسمي على الدرج شاهرين أسلحتهم. أشار إليهم ستانتون حالاً ليتوقفوا فأخفضوا أسلحتهم.

«هل ماتت؟» أدار ستانتون رأسه نحو ماري وأومأ.

«أنا آسف». سمعت أصوات صفارات الإنذار ومحركات السيارات في الأعلى. شعرت بأحد رجال الشرطة يضع يده تحتي وقادني إلى أعلى الدرج. دخلنا المطبخ حيث قفزت على شان، إنه مطبخ مهجور، فيه طاولة صغيرة مصنوعة من شجر السنديان،

وضعت على أحد أطراف المطبخ أمام النافذة مع كرسيين. قادني الشرطي إلى أحد الكرسيين وجلست. رأسي كان ينبض بشدة والغرفة تدور. رأيت المزيد من رجال الشرطة يمرون أمامي وينزلون الدرج. بعد عدة دقائق، وقف مسعفان أمامي، أحدهما عمل مباشرةً على علاج جرح رأسي. شعرت به وهو يزيل الضماد ويضع نوعاً من المرهم، كان بارداً ورطباً. شعرت بأني فقدتُ وعيي واستعدته عدة مرات، ولكني أخيراً استعدت وعيي وأصبح كل شيء واضحاً أمامي. أعطوني العديد من الكبسولات الدوائية لأتناولها، ولم أسألهم حتى ما هي هذه الأدوية. سمعتهم يتمتمون بشيء ما ولكني لم أعرهم أي انتباه حتى. نظرت في أرجاء المطبخ الصغير، جدرانه فارغة مدهونة بلون أصفر باهت. يبدو أن لا شيء فيه قد مُسَّ منذ سنوات. أتساءل إن كان هذا هو المكان الذي أمضى فيه فرانك وشان وقتهما يأملان بالاستيلاء على المال. ربما هنا في هذا المكان خططا لاختطاف تومي. بعد عدة دقائق، أخذني المسعفان إلى غرفة خارج المطبخ فيها أريكة وتلفاز صغير. استلقيت وراقبتهما وهما يقيسان ضغط دمي مرة أخرى ويجريان الفحوصات المعتادة. أكدا لي أني سأكون بخير، وأن جرح رأسي ليس سيئاً جداً، وأخبراني أن المسكّن سيبدأ مفعوله

سريعاً. استلقيت وأغمضت عيني وتخيلت أن شيئاً من هذا لم يحدث قط. حقاً شعرت بشيء من الراحة لمعرفتي أن شان وفرانك قد رحلا إلى الأبد. أشعر بالحزن لأن ماري انضمت إليهما. كان لديها خطط كثيرة لتنفّذها. أتمنى لو تمكنت أن أفعل أكثر من ذلك. سمعت صوت ستانتون بعد عدة دقائق في المطبخ، نظرتُ إلى الأعلى فرأيته يتحدث مع ضابطين آخرين. بعد دقيقة، دخل الغرفة ووقف أمامي.

«كيف تشعر؟» جلست ببطء.

«أفضل بكثير»، نظرت إلى المسعفين اللذين وافقاني على ذلك.«هل يمكنك أن ترافقني إلى الخارج لدقيقة؟» نظرنا إلى المسعفين، فوافقا على ذلك. مدّ ستانتون يده وساعدني على النهوض، وضع يده على كتفي وقادني عبر الغرفة الصغيرة إلى المطبخ ومنه خرجنا من بابٍ لم أره من قبل ثم إلى مدخل المنزل. أغمضتُ عيني قليلاً من ضوء الشمس عندما خرجت إلى الهواء الطلق. رأيت على الأقل اثنتي عشرة سيارة من سيارات الشرطة بأضوائها الزرقاء تطوق المكان، وبعض سيارات الإسعاف خلفها. نحن في حي يبدو قديماً. رأيت منزلين أو ثلاثة عبر الشارع على نمط المنزل الذي خرجت منه لتوي. جميعها بيوتٌ صغيرة مؤلفة من طابق واحد، لها

كساء خارجي باهت، ولها ساحات معشبة بنيت في هذه المنطقة في وقت ما بعد أو إبَّان الحرب العالمية الثانية لكل الجنود العائدين. مررنا بالقرب من سيارة BMW داكنة، يبدو أنها السيارة التي رأيتها عندما صادفت هذين الرجلين لأول مرة. تابعنا المسير حتى وصلنا إلى سيارة أعتقد أنها لستانتون لأنه تمهل عندها وقادني إلى باب الركاب الأمامي وساعدني على الدخول إليها. أغلقت الباب وشاهدته يسير أمام السيارة. جلس إلى جانبي وأغلق الباب. ضغط أزراراً عدة فتوقفت الأضواء.

«أنا سعيد لأنك بخير سيد سميث، لديك كثير من الناس القلقين بشأنك، خاصة زوجتك وولدك». أومأت برأسي وأسندتُ ظهري إلى المقعد الكبير. «لست متأكداً إن كنت تعرف هذا أم لا، ولكن قبل اختفائك أصدرنا أمراً باعتقالك». أدرت رأسي بسرعة نحوه. «كنا نعتقد أنك عرفت بأمر الاعتقال فغادرت المنطقة، ولكني أرى أن ليس هذا ما حدث فعلاً». أومأت.

«كيف وجدتموني هنا؟»

«جيم لاوسون، زميلك في العمل اتصل بي منذ عدة ساعات وقال إنه وجد هذا العنوان في بريدٍ إلكترونيٍّ حصل عليه. لم

أسأله كيف حصل عليه، ولكني اعتقدت أنَّ من الأفضل أن أتفقده وأنا سعيد لأني فعلت هذا».

«وأنا أيضاً» ابتسم.

«هناك بعض الأشياء اكتشفتها هذا الصباح ربما عليك أن تعرفها». نظرت إليه بفضول. «أولاً، سورينسون متورط في هذا الأمر كله منذ البداية».

«ماذا؟»

«نعم، من الواضح أنه وأبناء هاريس خططوا لقتل السيدة كلوسن والحصول على مالها كله، ولكن فرانك هاريس اكتشف أن لسورينسون سلطة على المال وذلك عندما خطفوا تومي، وأعتقد أنك تعرف البقية». نظرت إليه ورأيته يومئ برأسه. «نعم، كان سورينسون مخادعاً. شارك أيضاً في بعض عمليات القتل التي حصلت مؤخراً. نعتقد أنه هو من أطلق النار على أحد الأولاد من الذين تعرَّفت إلى جثثهم». بلعت كمية كبيرة من الهواء.

«سورينسون؟»

«نعم، من الواضح أنه جرى اختيار ولدك كهدف لأن لهم أخاً ثالثاً يُدعى مارك هاريس». نظر إلي. «هل يعني هذ الاسم

شيئاً لك؟» فكرت به لدقيقة وأومأت برأسي. «كان يعمل لديك لفترة مؤقتة».

«ذلك هو مارك هاريس؟»

«نعم، إنه هو. أعتقد أنك قد طردته».

«نعم، كان وقحاً واشتبهنا به بسرقة أشياء من المكتب».

«حسناً، انتهى أمره بانتحاره وألقى إخوته باللوم عليك وعلى شركتك في ذلك. سمعت بأمر الفيروسات». أومأت. «هناك شيء آخر». شعرت فجأة بالعرق يتصبب من جبيني وبدأت يدي تتوتر. «أعتقد أنك تعرف عمّا سأتحدث عنه». أومأت. «حسناً لسبب ما حذفته عن طريق الخطأ والآن فقد اختفى». غمزني، ثم وضع يده في جيبه وأخرج هاتفاً. «هذا هاتف فرانك، وجدته معه، فيه نسخة عن مقطع الفيديو. اعتقدت أنَّ من الأفضل أن أعطيك إياه فيمكنك أن تتلفه أو تفعل به ما تريد». أومأت برأسي. «أيضاً لدي هذا الحاسوب جرى ختمه ليصل إليّ مباشرةً. أؤكد لك أن القرص الصلب داخله سيضيعُ أو يتحطم بالمصادفة. فقط أريدك أن تعرف، أنني سأفعل الشيء نفسه لو كنت مكانك». وضع يده على كتفي. «لا أحد سيفسد حيوات أخرى بعد الآن».

«أشكرك... أشكرك كثيراً على كل شيء». ابتسم.

«أخبرني شيئاً واحداً فقط». نظرت إليه. «كيف كان يتواصل معك؟»

«عبر هاتفي الأيفون».

«هذا ما اعتقدته». صافحني. «كنت سأعرض عليك توصيلك إلى منزلك، ولكني أعتقد أنك تفضل الذهاب إلى المنزل مع هذين الاثنين». وأشار إلى النافذة قربي. رأيت ميشيل وتومي يقفان قريباً منا. فتحت الباب بسرعة ودفعته.

«في الحقيقة سيد سميث هناك شيء آخر». مد يده إلى جيب معطفه مرةً أخرى وأخرج ظرفاً أبيض. «هذا لك». وجدناه في منزل السيدة كلاوسون. أمسكت الظرف بيدي. كان مفضوضاً، فتحته بسرعة وقرأت الورقة داخله. إنها ورقة موقعة فيها رموز سرية في أسفلها تعطيني الحق الشرعي بالتصرف بالمال كله، المئة مليون دولار كلها. «إنها قانونية. أصبح المال كله ملكاً لك. لا تقلق أنت تستحقه». لم أنبس ببنت شفة. خرجت من السيارة بهدوء وأسرعت إلى ذراعي كلٍّ من ميشيل وتومي المفتوحتين.

الخاتمة

مضت ستة أشهر منذ أن أنقذ المحقق ستانتون حياتي. يبدو أن هذا حدث منذ زمنٍ طويل. تومي بحال جيدة جداً وتجاوز كل ما حدث معه بسهولة. إننا نأخذه لزيارة الطبيبة النفسية مرة كل أسبوع، ولكنها أكدت لنا أنه بخير وربما لن يكون في حاجة إلى خدماتها في وقت قريب. عاد يلعب كرة البيسبول وأنا أحد مدربيه. يبدو أمراً غريباً أن أعود إلى ملعب "Lee". تأتي ميشيل لتشجعنا في أثناء كل لعبة. في الحقيقة لقد ربحنا لعبتين متتاليتين بفضل قبضة تومي المحكمة. لم أعد أعمل مديراً للمعلوماتية. أنا الآن رئيس جمعيات «ماري كلوسن» الخيرية في منطقة "Old Town Alexandria" وأنا أحب عملي هذا. أمضي أيامي أبحث عن الأطفال الذين يحتاجون إلى المساعدة وأصل إليهم لأوفر لهم كل ما أمكن. جعلنا منزل «ماري كلوسن» الكبير مقراً مؤقتاً لإيواء الأطفال الذين نقرر أنهم لم يعد بإمكانهم العيش في منازلهم مطلقاً. لدينا فريق كامل، حتى باستر جزء منه، إنه يحب الأطفال. إنها هديةٌ كبيرةٌ وتحدٍ كبير أن نحاول

تخليد اسم ماري، ولكن بمساعدة فريقها والعديد من المتطوعين يبدو أننا سنصل إلى غايتنا، ولحسن الحظ لم نخذلها. لم أعتد بعد على أن يكون لدي مئة مليون دولار في البنك. لا أعتقد أننا أنفقنا شيئاً من المال، اشترينا سقفاً جديداً لمنزلنا وأمضينا عطلة على شاطئ كارولينا الشمالي الشهر الماضي، ولكن ما عدا ذلك لم يتغير أي شيء في حياتنا. تبرعت بثلاثة مبالغ نقدية من دون الإعلام عن اسمي لأسرَتي الولدين اللذين قتلهما فرانك، وأيضاً لزوجة سورينسون وابنته. قطعت عهداً على نفسي بأني سأعتني بهم طالما أنا على قيد الحياة. بالتأكيد ميشيل توافقني على هذا. أيضاً أرسلت بعض التبرعات إلى قسم الشرطة. جيم لا يزال يعمل في الشركة وقد رُقّي إلى منصبي القديم. أنا ممتن له فعلاً لإعطائه المعلومات التي أنقذت حياتي. وحتى المحقق ستانتون أصبح يتوقف في ملعب "Lee" في كل لعبة ليطمئن على تومي. قلل ساعات عمله ليمضي وقتاً أكثر مع أسرته. لم يبدُ بحالٍ جيدةٍ هكذا من قبل. أعتقد أنه يتطلع إلى قضاء عطلة ممتعة قريباً.

المحتوى

الصفحة

الصفحة

جون غرين وود

(١٩٢١-١٩٨٦)

- كاتب إنكليزي ولد في بوكستون، دربيشاير، المملكة المتحدة هو الاسم المستعار لِ جون بوكستون هيلتون.
- اشتهر بأعماله البوليسيَّة:
- من أعماله:
- سلسلة سيمون كنوورثي.
- سلسلة موسلي.

لميس حيدر إسماعيل

- وُلدت في دمشق عام ١٩٨٧م.

- تحمل الإجازة في اللغة الإنكليزية وآدابها – جامعة دمشق.

- القرار القاتل – باكورة أعمالها.

الطبعة الأولى / ٢٠١٨م

كلمة الغلاف

عرف فن الرواية ما نسميه الرواية البوليسية منذ زمن طويل، وكانت أغاثا كريستي رائدتها. تطور هذا النمط من الكتابة كثيراً في العقود الأخيرة، وربما أسهمت الكتابة للسينما والتلفزيون في تطويره وانتشاره لما يكتنز من عناصر تشويق تحبس الأنفاس حتى النهاية.

إنها جانب من دراما الحياة الواقعية التي تشدُّ كثيراً من القرّاء والمشاهدين إلى قراءتها ومتابعتها حتى المشهد الأخير من دون شعور بملل، بل بأعصاب مشدودة تريد حلاً يأتي على الأغلب لصالح القارئ والمشاهد، وربما هو جائزته بعد مشوار حافل بالإثارة.

سيرة القارئ في هذه الرواية أنموذجاً لفن يثيره معظم الوقت. سندع الباقي للقارئ يكتشفه بنفسه، وهذا جزء من هدفنا، أن نشجّع القراءة لتغدو عادة. والرواية البوليسية بالإضافة إلى كل شيء آخر، مجرّد أداة مؤالفة؛ فهل تكون؟